مجلة علمية نصف سنوية محكمة تصدر عن هيئة علماء فلسطين

ISSN: ٢٦٥١-٥٤٠٧

السنة السابعة مجلد١٣ العدد الثالث عشر ١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٤م

رئيس هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور عبد الجبار سعيد

أستاذ السنة وعلوم الحديث- كلية الشريعة- جامعة قطر

مدير التحرير

الدكتور مجدي قويدر

أعضاء هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور أيمن صالح- أستاذ الفقه وأصوله
الأستاذ الدكتور عبد القادر بخوش- أستاذ العقيدة والفكر الإسلامي
الأستاذ الدكتور محمد آيدين- أستاذ التفسير وعلوم القرآن
الدكتور محمد الشيب- أستاذ الفقه وأصوله المساعد
الدكتور محمد همام ملحم- أستاذ الفقه وأصوله المشارك
الدكتور منذر زيتون- أستاذ الفقه وأصوله المساعد

مستشارو هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور أحمد الريسوني- المغرب

الأستاذ الدكتور علي القره داغي- قطر

الأستاذ الدكتور عبد الحكيم السعدي- قطر

الأستاذ الدكتور محمد عثمان شبير- الأردن

الأستاذ الدكتور أحمد أغراتشي- تركيا

الأستاذ الدكتور صالح الرقب- فلسطين

الأستاذ الدكتور خليل إبراهيم كوتلاي - تركيا

الأستاذ الدكتور إحسان ثريا صيرما- تركيا

اسم المجلة	مجلة المرقاة للدراسات والبحوث الإسلامية
الطبعة	ديسمبر/ كانون أول 2024
رقم الإيداع	52302
دار النشر والطباعة	**İKDAM matbaa ve yayın evi** ikitelli OSB mah. Aykosan Çarşı blok Sk. Aykosan Sitesi Çarşı blok no: 11/ iç kapı no: 526 Başakşehir/ İstanbul

الموقع الإلكتروني للمجلة: https: / /www.almirqat.com /

المراسلات على البريد الإلكتروني: almirqatmagazine@gmail.com

FİLİSTİN ALİMLER HEYETİ DERNEĞİ
Göztepe Mahallesi, İstoç- Oto Market, Cadde No 3 , N03 Blok, No:6, İç- Kapı:119 / İSTANBUL

ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر الكاتب ولا يعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة أو هيئة علماء فلسطين

المجلة مدرجة في قواعد البيانات التالية

Arcif Analytics e-Marefa دار المنظومة DAR ALMANDUMAH

تعليمات النشر في مجلة «المرقاة» للدراسات والبحوث الإسلامية الصادرة عن هيئة علماء فلسطين

١- ألا يكون البحث قد سبق نشره، أو قدّم لأية جهة أخرىٰ من أجل النشر. وعلىٰ الباحث أن يقدم تعهداً خطياً بذلك يقرّ فيه بأن بحثه عمل أصيل له، وأنه ليس مستلاً من رسالة للدكتوراه أو الماجستير أو كتاب منشور له.

٢- أن يكون البحث متسما بالعمق والأصالة، وأن يضيف نشره جديداً إلىٰ المعرفة، ويعالج القضايا المُعاصرة المستجدة، وأن يلتزم الباحث بالموضوعية والتجرد العلمي.

٣- أن يتصف البحث بحسن الصياغة العلمية، ومراعاة سلامة اللغة وخلوها من الأخطاء اللغوية والنحوية، ومراعاة قواعد الإملاء وعلامات الترقيم، والدقة في توثيق النصوص والتخريج .

٤- لهيئة التحرير الحق في تحديد أولويات نشر البحوث، وتعطىٰ الأولوية للموضوعات المتعلقة بالقضية الفلسطينية.

٥- لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه علىٰ هيئة التحرير إلا لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، ويتحمل الباحث نفقات التحكيم وغيرها من النفقات التي تحملتها المجلة في حال طلبه سحب البحث قبل نشره.

٦- في حال قبول البحث للنشر، تؤول كافة حقوق الملكية الفكرية للمجلة ويوقع الباحث علىٰ ذلك، ولا يجوز للمؤلف نشره في أي منفذ نشر آخر ورقياً أو إلكترونياً، إلا بموافقة المجلة.

٧- الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

٨- لا تدفع المجلة مكافآت ولا تتقاضىٰ أية مبالغ مقابل البحوث المنشورة أو مراجعات الكتب أو أي أعمال فكرية ما لم تكن بتكليف. ولا تعاد أصول البحوث المقدمة للنشر في المجلة إلىٰ أصحابها.

٩- يقدم الباحث سيرة ذاتية موجزة مع البحث بالإضافة إلىٰ ملخصين باللغة العربية والإنجليزية علىٰ ألا يزيد كل منهما عن مائتي كلمة.

١٠- تخضع البحوث والدراسات المقدمة للنشر إلىٰ عملية فحص وتحكيم سرية وفق المعايير والضوابط التي التزمت بها المجلة، ويقوم بعملية التحكيم اثنان من المحكمين المتخصصين علىٰ

الأقل، بهدف الارتقاء بالبحث العلمي وتطويره.

١١- تحتفظ هيئة التحرير بحق رفض أي بحث مقدم للمجلة دون بيان أسباب عدم النشر.

١٢- يحق لهيئة التحرير إجراء التغييرات الشكلية اللازمة علىٰ البحث وفق سياسات النشر في المجلة.

١٣- يرسل للباحث خطاب النشر مع نسخة إلكترونية من المجلة التي تم نشر بحثه فيها.

١٤- ألا يزيد البحث عن ٨٠٠٠ كلمة أي بحدود ٣٠ صفحة بما في ذلك الأشكال والرسوم والجداول والمراجع، وتسلّم نسختان إلكترونيتان من البحث عبر موقع المجلة أو البريد الإلكتروني (almirqatmagazine@gmail.com)، باستخدام برنامج (Microsoft Word) نسخة بصيغة doc أو dox وأخرىٰ بصيغة pdf. ويستخدم خط (Traditional Arabic) للغة العربية بحجم (١٦)، وبحجم (١٣) للحاشية. ويستخدم خط (Times New Roman) للغة الإنجليزية بحجم (١١)، وبحجم (٩) للحاشية والمستخلص. أما العناوين فتكون بخط أسود بارز(BOLD).

١٥- نظام التوثيق في الهوامش:

*عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة، ورقم الآية، وبينهما نقطتان، [مثل البقرة: ٢].

* عزو الحديث بذكر المخرج، والمدون الحديثي، والكتاب، والباب، ورقم الحديث.

* يحال إلىٰ المصادر والمراجع كما يلي:

*عند أول إحالة إلىٰ المصدر أو المرجع: يذكر اسم المؤلف، ثم اسم الكتاب كاملاً، ثم اسم المحقق (إن وجد)، ثم مكان النشر، ثم الناشر، ثم رقم الطبعة، ثم تاريخها، ثم رقم الجزء والصفحة، مثاله:ياسين، عبد السلام- تنوير المؤمنات، بيروت، دار لبنان، ط ١، ٢٠٠٣ م، ١/ ٨.

* وفي الإحالات الموالية لنفس المصدر يكتفىٰ بذكر اسم المؤلف والكتاب مختصراً، ورقم الجزء والصفحةأ مثاله ياسين، عبد السلام- تنوير المؤمنات ١/ ٨.

محتويات العدد

كلمة الافتتاحية ٦

سلاح الوعي ٧

د. مجدي قويدر

الصِّرَاعُ عَلَىٰ الْمُصْطَلَحِ مع الكيان الصهيوني ١١

د. جميل محمَّد جبريل عدوان

الأبعاد الاستراتيجية لمعركة طوفان الأقصىٰ -رؤية سُننية- ٣٤

د. كمال الصيد

دَوْرُ العُلَماءِ فِي نُصْرَةِ مَعْرَكَةِ الطُّوفانِ: بَيْنَ الواقِعِ، وَالمَأْمُولِ ٣٨

د. رمزي غالب كريّم

معركة الطوفان ووَعْدُ الآخِرَةِ في ضوء سورة الإسراء ١٣٥

د. علي المر

جهود الشيخ أحمد بن حمد الخليلي في نصرة القضية الفلسطينية..... ١٧٣

أ. محمد بن سعيد بن خلفان الرزيقي

كلمة الافتتاحية

سلاح الوعي

د. مجدي قويدر

إن مواجهة الباطل والانتصار عليه، والنيلِ منه، وزواله من الأرض، والقضاء علىٰ تسلطه علىٰ العباد، وتطاوله علىٰ الحق، وتسلّط الإنسان علىٰ أخيه الإنسان، واعتداء بعض الأمم علىٰ أرض غيرها وسلب حقوقها، كلّ ذلك يخضع لقوانين وسنن ربانية، لا تحيد ولا تتخلف، ولا يمكن لأحد تجاوزها، ولا القفز من فوقها، وقد عرض القرآن الكريم المرتكزات الأساسية لهذه السنن، وحثّ المؤمنين علىٰ السير في الأرض، والاعتبار بأحوال الأمم الغابرة والتفكّر بسبب انقراضها وانهيارها؛ لتكون الأمة المسلمة علىٰ بيّنة من أمرها، وبصيرة بمواضع أقدامها؛ ومن هنا كان لابد من العودة إلىٰ القرآن والتحقق برؤيته في طبيعة الصراع مع الصهاينة، وإدراك السنن التي يخضع لها الصراع بين الحق والباطل لرؤية أبعاد القضية الفلسطينية الضاربة في أعماق التاريخ وحقائقه السننية، وامتداداتها وتشعباتها وتشابكها، وتأثيراتها، ومآلاتها ومستقبلها، فنجد القرآن الكريم يكشف لنا عن جذور القضية وطبيعتها وبعدها العقائدي السنني، ويكشف طبيعة العدو وصفاته الماكرة الخبيثة، ومستقبل الصراع المبني علىٰ وعد الله في سورة الإسراء المسمىٰ بـ «وعد الآخرة» وفق الرؤية القرآنية بوصفه حتمية سننية، وقانونا إلهيا، ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ الآخرة لِيَسُوءُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ المسجد كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء:٧]، ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ الآخرة جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً﴾ [الإسراء: ١٠٤] ومعركة وعد الآخرة المذكور في سورة الإسراء مرتين، معركة حاسمة وحدَث عظيم ينتظره المؤمنون، ومواجهة شاملة ودامية بين أهل الإيمان وأهل الكفر، واليهود المحتلون لأرض فلسطين يساقون لفيفاً من مختلف أصقاع العالم لموعد الآخرة

بمقتضىٰ هذا القانون الإلهي الذي هو من صميم سنته في الصراع؛ لمواجهة قدرهم المحتوم، وشهود نهاية إفسادهم، وزوال كيانهم عن بيت المقدس في القريب العاجل إن شاء الله.

وقد كشف لنا القرآن الكريم عن الشخصية اليهودية الماكرة، وطبيعتها الخبيثة، وانحرافها، واعوجاج سلوكها وحقدها الدفين علىٰ الإسلام، وموقفها العدائي من المؤمنين، فقال: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة:٨٢]، ومعرفة العدو عملية استطلاعية متقدمة نخوضها علىٰ الأرض، وهي بداية الاشتباك ومقدمة الصدام، والوعي بطبيعة شخصية العدو من أهم الأسلحة في كسب المعركة مع العدو الصهيوني، وهي جزء لا يتجزأ من المعركة، وهي بداية الطريق للانتصار عليه، ومعرفة الجذور التاريخية للصراع، وشخصية العدو، وتركيبته النفسية، ومعرفة قوة الخصم شروط ضرورية لإحداث التغيير الحقيقي الفاعل والمؤثر في تحولات الصراع.

ومن هنا فإن مصير المعركة مع اليهود علىٰ أرض فلسطين مرهون بفهم هذا العدو، ومعرفته علىٰ حقيقته، معرفة محيطة ومستوعبة، ومعرفة تركيبة نفسيته، ومقومات شخصيته، وأخلاقه وصفاته، وأحلامه وطموحاته، ومنطلقاته الفكرية والعقائدية، ومعرفة مخططاته، وأدواته ووسائله، وما الذي يجمع شعبه وما الذي يفرقه، وما هي نقاط قوته وما هي نقاط ضعفه، وما هي أسبابه الذاتية، وما هي أحلافه وأسبابه الخارجية؟ وغير ذلك من الإمكانات والمقومات كي نفهم التفاصيل الدقيقة التي تكشف لنا ماهية هذا العدو المتغطرس، وندرك حقيقته، ونبني استراتيجية المواجهة معه علىٰ أساس صحيح يعتمد علىٰ المعلومات الأمنية والعسكرية المستمدة من الواقع؛ حتىٰ نتمكن من هزيمته وطرده من أرضنا المقدسة.

ولهذا، فليس عبثا أن تكون المساحة التعبيرية للحديث عن اليهود كبيرة، وقد استغرقت السور الطويلة في القرآن، فتناولت صفاتهم، وأخلاقهم، وجرائمهم في

قتلهم الأنبياء، ونكثهم العهود، وأكل أموال الناس بالباطل، والشهادة للكافرين أنهم أهدىٰ من المؤمنين سبيلاً، ومكرهم، وكيدهم، وخيانتهم، وخديعتهم وغيرها، إن هذه الرذائل متأصلة في جبلتهم تنتقل من جيل إلىٰ جيل، ولا يختلف الأحفاد فيها عن الأجداد، ومن الجدير بالذكر أن القرآن الكريم أحصىٰ عشرين خلقا وصفة ذميمة لليهود تتوارثها أجيالهم، وتسري في عروقهم، وكأنها جينات لا تنفك عن تكوينهم وفطرتهم، فالشخصية اليهودية مجمع الرذائل والقبائح، مجردة من كل خير وفضيلة؛ لذلك يشكّل اليهود خطرا حقيقيا يهدد الإنسانية جمعاء، والأمة الإسلامية علىٰ وجه الخصوص، فعداؤهم للمسلمين قديم، ومكرهم عظيم، وصراعهم معنا طويل وممتد منذ بعثة النبي صلىٰ الله عليه وسلم.

ولا يخفىٰ عليكم -السادة الأعزاء- أن الوعي بطبيعة الصراع وجذوره وأبعاده ومستقبله وآثاره جزء لا يتجزأ من المعركة، وعنصر أساس في تحريك وتفعيل دور الأمة في المشاركة والنصرة، وقد رافقت عملية الطوفان كتابات علمية سياسية واستراتيجية وإعلامية وتحليلية كثيرة، وبقي الجانب الشرعي والسنني التأصيلي والتنزيلي لهذه المعركة خافتا من الأبحاث الرصينة، والرؤية الاستشرافية المتحققة بالرؤية القرآنية والقراءة السننية للصراع، وقد انبرت مجلة المرقاة لملأ هذا الفراغ، وسد الثغرة العلمية، فخصصنا هذا العدد من مجلتنا ليكون لبنة قوية وإسهاما في التأصيل العلمي، وإثارة الوعي السنني المتحقق بالرؤية القرآنية لطبيعة الصراع وجذوره وخلفياته العقدية والفكرية، وقد شاركَ في إثراء هذا العدد المبارك أساتذة أفاضل منهم الدكتور جميل عدوان الذي تناول موضوع «الصِّرَاعُ عَلَىٰ الْمُصْطَلَحِ مع الكيان الصهيوني»، والدكتور رمزي كريم «دَوْرُ العُلَماءِ فِي نُصْرَةِ مَعْرَكَةِ الطُوفانِ: بَيْنَ الواقِعِ، وَالمَأْمُولِ» والدكتور كمال الصيد الذي تناول «الأبعاد الاستراتيجية لمعركة طوفان الأقصىٰ رؤية سُننية»، والدكتور علي المر الذي قام بتحليل آيات سورة الإسراء في بحثه «معركة الطوفان ووَعْدُ الآخِرَةِ في ضوء سورة الإسراء» والأستاذ محمد الرزيقي الذي تحدث عن «جهود الشيخ أحمد الخليلي مفتي سلطنة عمان في نصرة القضية الفلسطينية»

وعلىٰ أهمية هذه الأبحاث وقيمتها العلمية، وتقديرنا الكبير لأصحابها، فإننا ندعو العلماء والباحثين لمزيد من البحث والتأصيل العلمي الفقهي لمعركة طوفان الأقصىٰ ونوازلها السياسية والاقتصادية والاجتماعية و العسكرية، وآثارها وانعكاساتها علىٰ مستقبل الصراع.

وختاما الله نسأل الفرج القريب لأهلنا في غزة، وأن يقوي صمودهم، ويشدّ عودهم، وينصرهم علىٰ عدوهم.

الصِّرَاعُ عَلَىٰ الْمُصْطَلَحِ مع الكيان الصهيوني

د. جميل محمَّد جبريل عدوان[١]

ملخص البحث

الصراع بين الحقّ والباطل سَنَّة كونية أزلية، والعداوة بينهما مستمرة حتىٰ يرث الله الأرض ومن عليها. والصراع علىٰ المصطلح جانب من جوانب هذا الصراع الفكري لأي أمة كانت، وهو الآن حقيقة واقعة لا يمكن إنكارها في عصر الهيمنة العالمية أو ما يسمونها (العولمة)، ليس في السياسة والاقتصاد والأمن والتكنولوجيا فحسب؛ وإنّما في كل جوانب الحياة، ومنها اللغة والإعلام ومتعلقاتهما؛ لنجد أنفسنا –نحن العرب والمسلمين– نعيش في أيامنا هذه (معركة مصطلحات) حقيقية، هي امتداد لمعارك القيم والتقاليد والأعراف وأنماط الحياة المستمرة، حيث بدأت هذه الدول المهيمنة والمسيطرة بمحاولات استعادة موقعها التاريخي وريادتها الحضارية منذ قرنين تقريبًا من الزمن.

كلمات مفتاحية: صراع، عولمة، مصطلح، الصهيونية، العربية.

Abstract

The conflict between truth and falsehood is an eternal cosmic law, and the enmity between them will continue until God

(١) الأستاذ المشارك في علوم اللُّغة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأقصىٰ –غزة– فلسطين، jamil462285@hotmail.com
تاريخ استلام البحث، ٩/ ٩/ ٢٠٢٤م، وتاريخ قبوله للنشر، ١٧/ ١١/ ٢٠٢٤م.

inherits the earth and those on it. The struggle over the term is an aspect of this intellectual struggle for any nation, and it is now an undeniable reality in the era of global hegemony or what they call (globalization), not only in politics, economics, security and technology; But in all aspects of life, including language, media and their related matters. We find ourselves - we Arabs and Muslims - living in our days a real (battle of terminology), which is an extension of the ongoing battles of values, traditions, customs and lifestyles, as these hegemonic and controlling countries began attempts to regain their historical position and civilizational leadership nearly two centuries ago.

.**Keywords**: conflict. globalization. term. Zionism. Arabic.

مقدِّمةٌ

منذ اغتصاب فلسطين في العام ١٩٤٨م إلىٰ يومنا هذا؛ وما برح الإعلام الصهيوني يوظّف كلّ ما يملك من وسائل ويسخّرها لخدمة أهداف مشروعه الصهيوني؛ ليؤكّد علىٰ أن فلسطين التاريخية ليست أرضًا محتلَّة كما يدعّي الفلسطينيون؛ بل أرض يهودية محرَّرة، وأن دولة الكيان «إسرائيل» الحالية ما هي إلا تكرار لإسرائيل القديمة، وأن تاريخ فلسطين بدأ بمملكة داود عليه السلام في القرن العاشر قبل الميلاد، وينتهي بإسرائيل الجديدة التي تمثّل بعثًا وإحياءً لإسرائيل القديمة والتاريخية.

وقد غيَّرت الحركة الصهيونية منذ مؤتمر «بازل» عام ١٨٩٨م أسماء الأماكن والآثار الفلسطينية، وطمست أية أدلة علىٰ عروبتها أو إسلاميتها أو امتدادها الحضاري الإنساني غير اليهودي؛ مستخدمةً أدواتها الثقافية والإعلامية التي تمكّنها من صناعة المصطلحات وصياغة التعريفات، التي تُعدُّ نقاطًا مرجعيةً تسهم في تحديد قوانين اللعبة السياسية، وقوالبَ يُصَبُّ داخلها الرأي العام.

كما بذلت الحركة الصهيونية جهودًا كبيرة في محاولاتها اختلاق علاقة ما بين اليهود وبين أرض فلسطين التاريخية، فعمدت إلىٰ تغيير أسماء المواقع والأماكن والبلدات الفلسطينية، وربطها بالتوراة والتاريخ اليهودي المزيَّف، وقاموا بعملية تزوير وتغيير واسعة لمجمل معالم فلسطين، وأنفقت أموالًا طائلةً من أجل تثبيت دعاوىٰ تاريخية مفتعلة.

وقد حاول هذا البحث كشف النقاب عن هذه المخططات الصهيونية، والأهداف التي يرمي الاحتلال الصهيوني إلىٰ تحقيقها علىٰ الأرض الفلسطينية، من خلال تغيير المصطلح العربيّ الفلسطينيّ، واستبدال مصطلحات عبرانية توراتية يهودية به.

المطلب الأول: حتمية الصراع بين الحقّ والباطل

الصراع بين الحقّ والباطل سنَّةً كونية أزلية، والعداوة بينهما مستمرة حتىٰ يرث الله الأرض ومن عليها، يقول الله ﷻ: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ**﴾ [هود:١١٨-١١٩]، كما أنَّ الله ﷻ خلق عباده ليبتليهم ويختبرهم، ومن ألوان الاختبار والابتلاء أن يكون لعباده المؤمنين عدوٌّ من غيرهم أو من أنفسهم، ثم يقوم الصراع بين هاتين الفئتين. وقد تنوعت في زماننا هذا ألوان الصراع وتعددت، ومن أعتاها وأشدها: الغزو الفكري، وزعزعة الثوابت؛ فعمد أعداؤنا إلىٰ غزو المسلمين فكريًا؛ لزعزعة ثوابتهم، فرسموا الخطط، واعتمدوا التدرج والتستر وراء الشعارات البراقة التي ينفذون من ورائها ما يريدون.

والصراع علىٰ المصطلح جانب من جوانب هذا الصراع الفكري لأي أمة كانت، وهو الآن حقيقة واقعة لا يمكن إنكارها في عصر الهيمنة العالمية أو ما يسمونها (العولمة)، ليس في السياسة والاقتصاد والأمن والتكنولوجيا فحسب؛ وإنّما في كل جوانب الحياة، ومنها اللغة والإعلام ومتعلقاتهما؛ لنجد أنفسنا –نحن العرب والمسلمين- نعيش في أيامنا هذه (معركة مصطلحات) حقيقية، هي امتداد لمعارك القيم والتقاليد والأعراف وأنماط الحياة المستمرة، حيث بدأت هذه الدول المهيمنة والمسيطرة بمحاولات استعادة موقعها التاريخي وريادتها الحضارية منذ قرنين تقريبًا من الزمن[1].

أولاً: المفاهيم الشرعية منطلق الصراع

إنَّ تغيير المصطلحات وتسمية الأشياء بغير اسمها فتنة من أعظم الفتن، وتلبيس يلبّس به إبليس وحزبه علىٰ الناس، ليوقعوهم في معصية ربهم ﷻ. فحين خلق الله ﷻ آدم عليه السلام علَّمه الأسماء كلها، يقول الله ﷻ: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾ [البقرة:٣١]،

(١) للاستزادة؛ انظر: عمارة، محمد – معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، دار نهضة مصر، ط٢، ٢٠٠٤م، ص٣٨.

وخلاصة كلام المفسرين في هذا الأمر «أنَّ الله تعالىٰ عَلَّم آدَمَ عليه السلام أسماءَ كلِّ شيء»[١]، فالله ﷻ أظهر شرف آدم عليه السلام بأن علَّمه الأسماء الصحيحة للأشياء، ثم أمر الملائكة بالسجود له؛ فسجدوا، إلا إبليس؛ أبىٰ واستكبر.

وجاء تفصيل ما وسوس به إبليس لآدم عليه السلام في قول الله ﷻ: ﴿**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَىٰ**﴾ [طه:١٢٠]. فإبليس لم يصرّح لآدم عليه السلام أنه يريد منه أن يعصي ربَّه ﷻ، بل خادعه، وكذب عليه، وحلف له بالله تعالىٰ أنه ناصح له ولزوجه، قال الله تَعالىٰ: ﴿**فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ**﴾ [الأعراف:٢٠،٢١]، وأن نصيحته «الطيبة» هي الأكل من ﴿شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَىٰ﴾.

ومما تقدّم يتبيّن أنّ الله ﷻ علَّم آدم عليه السلام أسماء المخلوقات والموجودات؛ ليعرفها، ويفرّق بينها، ويتعامل مع ما تدلّ عليه، وهذه هي وظيفة المصطلح في كل زمان ومكان، حيث يتحقق مطلوب البشر في التحديد والوصف، وتستبين الأمور، وتنفصل المعاني بعضها عن بعض في دلالتها علىٰ الحسيّات أو المعنويّات، وتستقيم أمور الناس، ويتعارف أهل كل لغة وجنس ولون وصنف وجهة وعمل وفنّ وحال علىٰ قواعد حديثهم ومسائل منطقهم.

وقد تمثَّل هذا الحرص علىٰ المصطلح وتأطيره ورسم حدوده ورسومه عند النبيّ

(١) انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم – مجموع الفتاوىٰ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، ٧/ ٩٤.
ابن كثير، إسماعيل بن عمر، أبو الفداء – تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م. وممَّن قال من السَّلف بذلك: ابن عبَّاس ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقَتادَة. انظر: الطبري، محمد بن جرير، أبو جعفر – جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، ١/ ٥٤١.

ﷺ، في أحاديث ووقائع عدة مارس فيها الضبط اللفظي والضبط الدلالي للمصطلح، قولًا أو فعلًا، وكان النبيّ ﷺحريصًا في هذا المجال علىٰ تعديل المصطلح وضبطه أو تغييره عند الاقتضاء بقدر الإمكان في مختلف جوانب الحياة، فقد وجَدَ مصطلحاتٍ وألفاظًا وأعرافًا قبل الإسلام، فأقرَّ منها قسمًا، ولم يقرَّ قسمًا آخر، وهو ما كان منها يتعارض مع الثوابت العقدية ومقتضياتها، أو مما يُكره أو يُستبشع، فألغىٰ الأولىٰ أو استبدل بها المأثور الشرعي، واستبدل بالثانية ما هو أفضل وأنسب.

كما أشار النبيّ ﷺ بلفظ صريح إلىٰ ظاهرة التغيير اللفظي والإبدال الدلالي اللذَينِ سيحدثان لاحقًا في بعض جوانب الحياة عامة والتشريع خاصة، بقوله: (**لَيَشْرَبَنَّ أُناسٌ مِنْ أُمَّتِي الخَمْرَ، يُسَمُّونَها بِغَيرِ اسْمِها**...)[1]. وهذا ما وقع حقيقةً، ويمكن رصد أمثلة عدة اتبع فيها متقدمون ومتأخرون سُبلًا غير صحيحة في هذا المجال، وشابهوا أهل الخمر في صرف اسمها إلىٰ لفظ يريدونه ويُدلِّسون به علىٰ وصفها الحقيقي وفعلها الخطير، وواقع اليوم شاهدٌ علىٰ أفعال هؤلاء التي لا تحوجنا إلىٰ دليل. ومعركتنا اليوم مع قوىٰ الشرّ العالمية هي الأكثر نشاطًا والأوسع انتشارًا، مما كان عليه الأمر في مراحلها الزمنية الأولىٰ، حتىٰ أضحىٰ الوصف المناسب لما نعانيه ونكابده في هذه الأوقات، هو (الاجتياح) أو (الاحتلال) أو (الحلول والاستحلال)؛ حيث تمّ غزونا بالمصطلحات الوافدة السليم منها وغير السليم، والتي احتلت كثيرًا من (معسكرات) و(قواعد) و(مكامن) و(مواضع) الثقافتين العربية والإسلامية في هذا الزمن[2].

ثانيًا: المفاهيم ودورها في بناء الإنسان المسلم والحفاظ علىٰ هويته

المعركة بين الخير والشر قديمة عتيقة، وستدوم ما دامت الحياة الدنيا، وإن جهاد

---

(١) صحيح. عن أبي مالك الأشعري. انظر: الألباني، محمد ناصر الدين، أبو عبد الرحمن – صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو مذيل بالحواشي، ٢/ ٩٥٩.

(٢) الضاري: مثنىٰ حارث – الغزو المصطلحي؛ مفهومه، وشواهده، وواقعه في العراق، مركز الأمة للدراسات والتطوير، منشور بتاريخ: ٧أغسطس، ٢٠٢١م، https: //alummacenter.com /?p=2394.

الباطل فرض علىٰ كل مسلم ومسلمة، وفي ذلك يقول رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «**جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ**»(١). فأشار هذا الحديث إلىٰ جهاد الباطل بالمال واللسان، ولم يقصره علىٰ جهاد السنان فقط، وقد أمر ربنا ﷻ نبيَّه ﷺ بجهاد الكفار، فقال سبحانه: ﴿**فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا**﴾ [الفرقان:٥٢]، والخِطابُ في هذه الآية وإنْ كان للنبيِّ صلىٰ الله عليه وسلم، فالحُكمُ شاملٌ لِأُمَّتِه، والآية تدعو بوضوح إلىٰ نُصرة الحَقِّ، وقمع الباطل، بكُلِّ الطاقة، وبلا فُتورٍ، فهي نصٌّ صريحٌ في أنَّ الدعوة إلىٰ اللهِ تعالىٰ، وإحقاق الحقِّ، وإبطال الباطلِ من أكبر أنواع الجهاد، وأشدها علىٰ أعداء الملة والدين، وأعظمها تأثيرا في نفوس العالمين(٢).

فضلًا عما تقدَّم؛ فإن المصطلح في حضارتنا وتراثنا ليس منقطعًا عن غيره كما هو في الثقافات الأخرىٰ؛ بل هو مرتبط أشد الارتباط بمنظومة التشريع الإسلامي، التي بدأت بذرة ثم أصبحت وارفة الظلال، يروم بعضهم اقتلاعها فلما عجز عن ذلك؛ عاد إلىٰ أغصانها قطعًا وتخريبًا. والإرث اللغوي لدىٰ الأمة المسلمة غير منفكٍ عن الإرث المصطلحي في الرواية والنقل الذي أبدعه علماء الحديث؛ فالأول: يُعنىٰ باللغة التي هي وسيلة التخاطب وأداة كثير من العلوم. والثاني: يُعنىٰ بوسيلة نقل هذه العلوم وهو السند.

وكلا الإرثين فخر هذه الأمة، وغير موجودين عند باقي الأمم بهذه الصورة وهذا التكامل؛ وقد اعترف بذلك كثيرون، ونبَّهوا علىٰ أهميتهما؛ لكننا للأسف، نجد أغلب هجمات الغزو الفكري والمصطلحي تتوجه صوب هاتين الوجهتين، في محاولات محمومة؛ لتحريف الأوعية الأولىٰ والجذور الرئيسة لها، والتشكيك في قواعد تلقّيها،

(١) صحيح. من حديث أنس بن مالك ﷺ. انظر: الألباني – صحيح الجامع الصغير وزياداته، مصدر سابق، ١/ ٥٩٣.

(٢) القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر، أبو عبد الله – الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م، ١٣/ ٥٨.

سواء أكانت سماعًا أو قياسًا في اللغة، أو سماعًا وتدوينًا في الحديث[١].

المطلب الثاني: تعريف المصطلح ونشأته

أولاً: تعريف المصطلح لغةً (صلح): الاتِّفاق[٢]، والصلح: اسم من المصالحة، وهي المسالمة بعد المنازعة[٣]، والصاد واللام والحاء أصلٌ واحدٌ، يدلُّ علىٰ خِلاف الفَساد. يقال: صلُحَ الشَّيءُ يصلُحُ صلاحًا[٤]. والاصطلاح: المصدر، ويُشتق منه اسم المفعول: المصطلَح.

ثانيًا: تعريف المصطلح اصطلاحًا

جذر (مصطلح) من: صلح، وربما كنّوا بالصالح عن الشيء الذي هو إلىٰ الكثرة؛ ويدلّ جذر اللفظة دلالة حسّية عند العربي تشير إلىٰ المواجه للفساد والانحلال، ثمّ استخدم اللفظ علىٰ معنًىٰ مجرد عندما انبرىٰ اللُّغويون إلىٰ تقعيد اللغة، ثمّ أخذت اللفظة مجراها في الاشتقاق، فأضحت من (مُفتعَل) وزنًا، ويحمل هذا الوزن في دلالته معنىٰ تدخل الإنسان ومهارته العقلية في الفعل[٥].

وقد وردت للمصطلح تعريفات عدة، منها:

---

(١) الضاري: مثنىٰ حارث – الغزو المصطلحي، مصدر سابق.

(٢) الجرجاني: علي بن محمد – التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ، ص٢٢.

(٣) المناوي: محمد عبد الرؤوف – التوقيف علىٰ مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط١، ١٤١٠هـ، ١/ ٤٦٠.

(٤) ابن فارس: أحمد بن زكريا، أبو الحسين – معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق، دار الفكر، ١٩٧٩م، ٣/ ٣٠٣. وابن منظور: محمد، جمال الدين – لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط٣، ١٩٩٤م، ٢/ ٥١٦.

(٥) التهانوي: محمد بن علي – موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، وعلي دحروج، نقل الفارسي إلىٰ العربية: عبد الله الخالدي، ترجمة: جورج زيناني، بيروت، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦م، ص٢٧.

١. اتفاق طائفة علىٰ وضع اللفظ بإزاء المعنىٰ. وثانية بقوله: هو إخراج اللفظ من معنىٰ لغوي إلىٰ آخر؛ لمناسبة بينهما. وثالثة بقوله: هو إخراج الشيء عن معنىٰ لغوي إلىٰ معنىٰ آخر؛ لبيان المراد[١].

٢. لفظ معيَّن بين قوم معيَّنين[٢].

٣. العُرف الخاصّ، يعني ما يتعارف عليه أهل علم من العلوم، فإذا كان هذا المصطلح لا يتضمن مخالفة لما تقرَّر في علم من العلوم؛ فإنه لا مشاحة فيه[٣].

٤. اتفاق طائفة مخصوصة من القوم علىٰ وضع الشيء أو الكلمة[٤].

٥. مصالحة، أو توفيق، أو حلّ وسط. ويُستعمل مجازًا بمعنىٰ صلح ومصالحة وعقد واتفاق[٥].

٦. ما تمَّ الاتّفاق عليه، كلمة أو مجموعة من الكلمات لها معنًىٰ معيَّن[٦].

نخلص من التعريفات السابقة بتعريف جامع للمصطلح؛ وهو: ما اتفقت عليه أمّة من الناس علىٰ كلمة أو مجموعة كلمات لها معنًىٰ معيَّن عندهم؛ بهدف استخدامه وتداوله بينهم، والرجوع والتحاكم إليه عند الحاجة.

---

(١) التهانوي: محمد بن علي – كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص٢٨،٢٩.

(٢) الجرجاني: علي بن محمد بن علي – التعريفات، ١/ ٤٤.

(٣) الحكمي: حافظ بن أحمد بن علي – شرح اللؤلؤ المكنون في أحوال الأسانيد والمتون، شرح: عبد الكريم الخضير، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير، الكتاب مرقَّم آليًا، ١/ ٧.

(٤) الأزدي: علي بن الحسن، أبو الحسن، الملقَّب بكراع النمل – المُنَجَّد في اللغة، تحقيق: أحمد مختار عمر، وضاحي عبد الباقي، القاهرة، عالم الكتب، ط٢، ١٩٨٨م، حرف أ.

(٥) دوزي: رينهارت بيتر آن – تكملة المعاجم العربية، نقله إلىٰ العربية وعلَّق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، وجمال الخياط، العراق، وزارة الثقافة والإعلام، ط١، من ١٩٧٩ – ٢٠٠٠م، ٦/ ٤٦٣.

(٦) عمر: أحمد مختار – معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، ٢/ ١٣١٤.

ثالثاً: نشأة المصطلح

يُعدّ علم المصطلح أحد فروع علم اللغة التطبيقي، ويُطلق عليه «علم الوضع»، وقد شغل علماء المسلمين من قديم، فألَّفوا فيه مؤلَّفات كثيرة، كما ازداد الاهتمام به تأصيلاً وتطبيقًا خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين، ثمَّ تضاءل الاهتمام به في الفترة الأخيرة في معاهدنا العلمية وجامعاتنا، مع أنه يضع القواعد والضوابط المنظِّمة لعملية الاصطلاح[١].

وإنَّ مقولة: المصطلحات والألفاظ مجرد أوعية توضع فيها المضامين، وأدوات تحمل المعاني التي هي ميراث لكل المذاهب والملل والحضارات؛ لهي حقٌّ يُراد به باطل، فعبارة: «**لا مشاحَّة في الاصطلاح**» التي قررها علماؤنا الأقدمون كانوا يريدون بهـا الإشارة إلىٰ أن الحقيقة يجب أن نحصّلها من المعاني وليس من الألفاظ، لأن من طلب الحقيقة من الألفاظ؛ هلك[٢].

وقد شنَّ اليهود حربًا علىٰ المصطلح مع نزول رسالة الإسلام علىٰ نبيّنا محمد ﷺ، إذ توقعوا أن تنزَّل عليهم، وكانوا يتوعدون قريشًا بالمحق عندما يخرج من بينهم النبيُّ الخاتم ﷺ، والموجودة أوصافه في كتبهم، فلما جاء من العرب الذين يحتقرونهم ويهوِّنون من شأنهم؛ اشتدَّ حقدهم، واستعرت عداوتهم، وبدأوا يكيدون بالإسلام وأهله؛ فقاموا بدسِّ الخرافات في بعض تفاسير القرآن الكريم، فيما يُعرف بـ«الإسرائيليات».

وقد حذَّرنا القرآن الكريم منهم، فقال الله ﷻ: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [البقرة:١٠٤]. وذلك أن اليهود

---

(١) زكي: عبد المعطي – حرب المصطلحات: وسائل صهيونية وإستراتيجيات عربية مطلوبة، موقع علامات: www.alamatonline.net، بتصرف.

(٢) الغزالي: محمد، أبو حامد – معيار العلم في فن المنطق، تحقيق: سليمان دنيا، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦١م، ١/ ١٦.

كانوا يعانون من الكلام بما فيه تورية لما يقصدونه، فإذا أرادوا أن يقولوا: اسمع لنا؛ يقولوا: راعنا، يوهمونه في ظاهر اللفظ أنهم يريدون: انظرنا حتىٰ نكلمك بما تريد، ويريدون به السبَّ بالرعونة؛ لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ، أي: قلبًا للكلام بها[١]. يورون بالرعونة وخفّة العقل، وسفاهة الرأي، فنهىٰ الله تعالىٰ عباده المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وأفعالهم.

وكذلك جاءت الأحاديث بالإخبار عنهم؛ ففي حديث أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها «**أَنَّ اليَهُودَ دَخَلُوا علَىٰ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَلَعَنْتُهُمْ، فَقَالَ: مَالَكِ؟ قُلْتُ: أَوَ لَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: فَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ: وعَلَيْكُمْ**». مطابقته للتَّرْجَمَة تُؤْخذ من قَوْله: (وَعَلَيْكُم)، لِأَن مَعْنَاهُ: وَعَلَيْكُم السام، أَي: الْمَوْت، وَهُوَ دُعَاء من النَّبِيّ ﷺ، وَقد جَاءَ فِي الحَدِيث: «**يُسْتَجَابُ لنا فيهِم، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُم فِينَا**»[٢].

ولا تزال الحرب علىٰ المصطلح مستعرةً؛ وأصبح العدوّ الصهيوني يصدّر إلينا المئات بل الآلاف من المصطلحات التي يختلقها ويزوّرها؛ لكيِّ وعي الأمة، وتغيير هويتها وثقافتها وتاريخها وحضارتها، والتسليم بالمشروع الصهيوني في بلادنا أمرًا واقعًا وسيفًا مسلَّطًا علىٰ رقابنا، ولكن هيهات هيهات؛ ففلسطين أرض وقف إسلامي، وهي مسرىٰ رسول الله ﷺ، وأمانته عندنا، وستعود يقينًا إلىٰ حضن الإسلام الدافئ وقلبه النابض وشريعته الغرّاء.

رابعًا: أهمية ضبط المصطلح ومراجعته

تبرز أهمية إعادة النظر في المفاهيم والمصطلحات المستخدمة للأسباب الآتية[٣]:

(١) السمرقندي: نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو الليث – بحر العلوم=تفسير السمرقندي، ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير، المكتبة الشاملة، ١/ ٣٠٧. وابن كثير: إسماعيل بن عمر، أبو الفداء – تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ط١، ١٤١٩هـ، ١/ ٣٧٣.

(٢) العيني: محمود بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين – عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، المكتبة الشاملة، ١٤/ ٢٠٦.

(٣) زكي: عبد المعطي – حرب المصطلحات، مصدر سابق، بتصرف.

١. إعادة الوعي للأمة ورجالاتها؛ حيث حاول أعداؤنا كيَّه في قلوبهم ونفوسهم؛ ليبعدوهم عن أرضهم ومقدّساتهم وتراثهم ومصدر عزّتهم.

٢. تحقيق الانضباط في حياة الأمّة؛ للخروج من فوضىٰ المفاهيم المتسلِّلة إلىٰ إعلامها، بما يخالف رؤيتها لقضاياها المصيرية وثقافتها وحضارتها.

٣. تأكيد هويتنا الإسلامية العربية الفلسطينية، والاختصاص والتمايز لمنظومة مفاهيمنا ذات الطابع العربي والمصدر والوسائل والغايات والأهداف الأصيلة والنبيلة.

٤. العمل مع جمهور المتلقين المسلمين والعرب والفلسطينيين بوحدة المفاهيم؛ لتكون قادرةً علىٰ أن تمسَّ حقيقة تكوينه الحضاري، مما يؤدي إلىٰ تفجّر الطاقة الحضارية الكامنة إلىٰ أقصىٰ مدىٰ، وبلورة خطاب سياسي وإعلامي عربي فعّال؛ لمواجهة الحرب المعلنة علىٰ الذاكرة العربية والعالمية بشأن الجرائم الصهيونية في أراضينا المحتلة، وآخرها الحرب المستعرة اليوم علىٰ قطاع غزة.

المطلب الثالث: السَّيطرة علىٰ المصطلح

لجأت الصهيونية العالمية وخاصّة في بلادنا فلسطين إلىٰ بثِّ أسماء عبرية توراتية تلمودية في لغة الإعلام العالمي، وللأسف؛ سارع كثير من إعلامنا العربي إلىٰ نقلها دون تمحيص ودراسة ومراجعة، وأصبح يكرّر هذه المدسوسات الإسرائيلية ويعمّمها علىٰ الرأي العام بقصد أو بدون قصد؛ الأمر الذي شوَّه التاريخ عمومًا وتاريخ الصراع العربي خصوصًا، فتمّ نقل المصطلحات دون إعمال فكر أو اجتهاد أو فحص أو تمحيص[١].

(١) مطر: موزة – المركز الفلسطيني للإعلام: أحدث إصدارات اتحاد الصحفيين العرب، صحيفة الاتحاد الإماراتية، بتاريخ: ١/ ١/ ٢٠٠٣، www.palestine-info.com، بتصرف.

أولاً: أهداف السيطرة علىٰ المصطلح[١]

يحاول العدوّ الصهيوني جاهدًا النيل من لغتنا ومصطلحاتنا؛ من خلال:

١. إدراكه أن حربه مع الفلسطينيين حرب وجود؛ لذا يحاول مسخ شخصيتهم الحضارية ومحو هويتهم العربية الإسلامية واقتلاعها من جذورها التاريخية، معتبرًا أنّ تحقيق ذلك هو الأساس في بقائه علىٰ أرضهم المحتلَّة.

٢. محاولته كسر الحاجز النفسي لدىٰ العرب والفلسطينيين؛ للتكيف مع سياسة الأمر الواقع، فانتصاراته العسكرية لم تحقّق له القبول والاندماج في الوجدان العربيّ، فما زال هو العدوّ، وما زالت الجماهير العربية عصيَّةً علىٰ كل محاولات التطبيع.

٣. مراهنته علىٰ عنصر الزمن، ومع استغلال التقدم التقنيّ والتكنولوجيّ الهائل، ومع تفوقه الإعلامي الكمّي والنوعي علىٰ تطويع العقل والوجدان العربي والفلسطينيّ، وجعله أكثر قبولاً بالمشروع الصهيوني وإسرائيل كيانًا طبيعيًا في الوطن العربي، وهو الأمر الذي فشل فيه حتىٰ الآن، رغم اتفاقيات التطبيع التي عقدها مع عدد من الدول العربية والإسلامية.

ثانيًا: طرق السيطرة علىٰ المصطلح

إنَّ تحديد المفاهيم وضبط المصطلح عملية في صميم قضية الهوية الوطنية، فهو انعكاس للجوهر الحضاري، ومنظومة فكرية يفترض فيها الانسجام والتكامل، لأن الإنسان بوصفه فردًا وباعتباره جزءًا من مجتمعه وأمته يعبِّر عن رؤيته للواقع من خلال اللغة.

وقد حاول العدوّ الصهيوني أن يباغتنا بالمصطلح من جبهات عدّة، منها[٢]:

١. سطوه علىٰ لغتنا ونهب تراثها الحيّ والتشبع به، حيث تضافرت جهود كثير من

(١) زكي: عبد المعطي – حرب المصطلحات، مصدر سابق، بتصرف.

(٢) مطر: موزة – المركز الفلسطيني للإعلام، مصدر سابق، بتصرّف.

يهود العالم في تحقيق هذا المطلب منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر لإحياء اللغة العبرية من مواتها الطويل، وشعورهم بنقص حادّ في معجمهم العبري لتلبية مطالب الدولة اليهودية المزمع إنشاؤها؛ فلم يجدوا أمامهم مصدرًا غنيًا يستكملون منه ذلك النقص سوىٰ اللغة العربية الثريَّة، فطبقوا عليها الرؤية التلمودية في جواز نهب «الأغيار» واغتصاب حقوقهم.

٢. تسريبه مصطلحات من بنات أفكاره عبر وسائل الإعلام العالمية، كأن يطلق علىٰ ما يقوم به من قتل للأبرياء وهدم للبنايات واكتساح للأراضي مصطلح: «الدفاع عن النفس»، ويطلق في المقابل علىٰ مقاومة الاحتلال وردِّ العدوان والجهاد في سبيل الحرية مصطلح «الإرهاب ومعاداة السامية».

٣. ترهيبه الفلسطينيين وإثارة الرعب في نفوسهم إذا ما حاولوا تغيير الأسماء المحرَّفة التي وضعها، مثلما حصل مع الكثيرين، واعتبره «تحريضًا علىٰ دولة إسرائيل».

٤. محاولته فرض المصطلحات، وهي سياسة ممنهجة سعىٰ من خلالها إلىٰ إضفاء شرعية علىٰ احتلال فلسطين، وتسويقه باعتباره فعلاً طبيعيًا وعاديًّا.

ثانيًا: سمات المصطلح الصّهيوني

اتسم الخطاب الصهيوني للعالم بمنطلقات عدة نابعة من عقيدته المحرَّفة الزائفة، يهدف من خلالها إلىٰ تمييع القضية الفلسطينية وتصفيتها والقضاء عليها. من ذلك[1]:

١. المراوغة: فالصهيونية حركة أنشأها ويدعمها الاستعمار الغربي، ولذلك بداهة يتوجه الخطاب الصهيوني إليها وإلىٰ الرأي العام غير اليهودي فيها، وفي الداخل الإسرائيلي يتوجه إلىٰ جماعات يهودية تنتمي إلىٰ تشكيلات ثقافية وحضارية واجتماعية مختلفة، وهذا يجعل نحت المصطلحات الصهيونية عملية بالغة الدقة والمهارة، ويجعل الخطاب غير متجانس، وتعتريه فجوات كثيرة؛ مما يوجب الحذر منه والتعامل معه بقدر عالٍ من اليقظة.

(١) زكي: عبد المعطي – حرب المصطلحات، مصدر سابق، بتصرف.

٢. تجاهل الأصول التاريخية: وكأن الواقع مجرد عمليات وإجراءات وأحداث ليس لها أصول تاريخية، فالصراع مع العرب لمجرد رفضهم قرار التقسيم، والصهيونية تعبير عن الحلم اليهودي بالعودة لأرض الميعاد، ولذلك تتحول عندهم المقاومة المشروعة إلىٰ إرهاب، وتصبح هجمات إسرائيل علىٰ العرب مجرد دفاع مشروع عن النفس، ومن ثمَّ تبدو تسمية جيشهم بجيش الدفاع أمرًا منطقيًا.

٣. تغليب عنصر المكان علىٰ الزمان: فتتحول فلسطين إلىٰ أرض إسرائيل، والوطن العربي إلىٰ المنطقة، وتتحدد الحدود بما يحقّق الأمن الإسرائيلي دون اعتبار للتاريخ.

٤. النظر للظواهر الصهيونية من الداخل: مما يعزلها عن غيرها من الظواهر المماثلة في المجتمعات الإنسانية، فالإبادة النازية حدث وقع لليهود فقط، دونما ذكر لما حدث للغجر والمثقفين البولنديين والعجزة حتىٰ الألمان منهم، مما يعني أن الأغيار يضطهدون اليهود وحدهم؛ مما يوجب إنشاء وطن قومي يؤويهم.

٥. استخدام مصطلحات دينية يهودية في سياقات تاريخية مختلفة: ففلسطين هي أرض الميعاد أو إسرائيل، مع أن الجماعات اليهودية في فلسطين لا صلة تاريخية لها بفلسطين، وكأن هناك استمرارًا تاريخيًا منذ وجد اليهود في فلسطين لفتره قصيرة لا تتعدىٰ مائتي سنة، مقارنة بالوجود العربي الذي استمرّ آلاف السنين.

٦. الخلط المتعمّد بين بعض المصطلحات: وكأن هناك ترادفًا بينها، كالخلط بين مصطلحات اليهودي والصهيوني والإسرائيلي، وأحيانًا العبراني، علىٰ الرغم من اختلاف دلالة كل مصطلح.

٧. استخدام مصطلحات لها معنيان؛ معنًىٰ معجميّ مباشر مقبول، ومعنًىٰ حضاريّ كامن يعنيه الصهاينة، فالسلام هو سلامهم الذي يحقق لهم الأمن، والقانون الدولي العام هو الذي يؤيّد سياستهم، وهكذا.

٨. أيقنة بعض المصطلحات: بحيث يصبح المصطلح مرجعية في ذاته مثل: (٦ ملايين يهودي) الذي يشير إلىٰ المحرقة النازية في عرفهم.

٩. إشاعة بعض الصور التي تختزل الواقع: فإسرائيل هي واحة الديمقراطية، رغم ما تقوم به من تمييز وإرهاب ضد السكان العرب، وهي نموذج اقتصادي متميز رغم المساعدات الغربية اللامحدودة التي تصبّ فيها، وهي الراغبة في العيش بسلام مع جيرانها، مع أنها من أكثر الدول تسلحًا وشراسة، وهي التي لا تستقر مجتمعيًا إلا بوجود تهديدات تجمع هذا الشتات المتنافر، وهذا هو الذي يدفعها إلىٰ خلق التوترات وشن العدوان.

ثالثًا: إشاعة المصطلح وترسيخه في الأذهان

يتطلّب سكّ المصطلح جهدًا مميَّزًا ومهارةً عالية ومراجعة مستمرة؛ لإشاعته وترسيخه في أذهان الأجيال المتعاقبة، ويعتمد هذا الجهد علىٰ وجود مؤسسات إعلامية ومحلية علىٰ درجة من الحرفية والمهنية، وكذلك وفرة في الإعلاميين المحترفين في الحرب الدعائية والإعلامية.

وقد استخدم العدوّ الصهيوني وسائل عدة في إعلامه الخبيث والموجَّه، من ذلك[1]:

١. وكالات الأنباء المحلية والغربية، والصحف والمجلات والدوريات، ومنصات التواصل الاجتماعي، وشبكات التلفزة المحلية والعالمية.

٢. شبكة علاقات قوية ومتجذرة مع شخصيات وجمعيات أمنية مؤثّرة، سواءٌ عن طريق الزيارات المتبادلة أو المراسلات، وتوظيف ذلك إعلاميًا.

٣. المنظمات الصهيونية في أنحاء العالم، وما تقوم به من دور فاعل في تجنيد أفراد ومؤسسات ومراكز إعلامية، يُنفقون عليها أموالاً طائلةً.

---

(١) مطر: موزة – المركز الفلسطيني للإعلام، مصدر سابق، بتصرف.

رابعًا: التعامل مع المصطلح الصّهيونيّ

يتطلب التعامل مع المصطلحات الصهيونية حذرًا شديدًا، وتفكيكها، كي يتمّ استدعاء الحقائق التاريخية والإحصائية للماضي والحاضر، ومضاهاة الادّعاء الصهيوني بالواقع، ثم إعادة تركيب المصطلحات والنصوص، بحيث تربط الأسباب بالنتائج، والظاهرة بالسياق، والمعلومة بالنمط.

وثمَّة شروط أو سمات يجب أن يتحلَّىٰ بها الفلسطينيون المدافعون عن هويتهم ولغتهم ومصطلحهم، حتىٰ ينجزوا هذا العمل بكفاءة. من ذلك[١]:

١. الثقة بالذات، ونفض غبار الهزيمة، هذه الثقة تجعلهم يتعاملون مع مصطلحات العدوّ الصهيونيّ بافتراض سوء نيّته، والثقة بقدرتهم علىٰ كشف تحيزاته وتعرية مخططاته الخبيثة.

٢. التعريف بمرجعية المصطلح؛ لأن مرجعيات العدوّ الصهيوني في السلام والتطبيع تختلف تمامًا عن مرجعيات الفلسطينيّ، فالصهاينة يؤمنون بالحقوق الدينية والتاريخية الواردة في توراتهم المحرَّفة، ولا يعترفون بأية قرارات دولية تدينهم.

٣. الاستشهاد بالواقع الصهيوني، لأن من أهداف الصياغات الصهيونية المضلِّلة التغطية علىٰ عدوانهم ومجازرهم التي يشهد بها تاريخهم الملطّخ بدماء الفلسطينيين.

٤. البحث عن نصوص صهيونية تفضح الوجه الحقيقيّ للصهيونية، وما قام به المؤرّخون الجدد من فضح مجازرهم بحقّ الفلسطينيين؛ إلا من خلال وثائقهم أنفسهم.

٥. السعي إلىٰ توليد مصطلحات جديدة تستند إلىٰ مرجعية عربية لا تقبل بالمرجعيات الغربية والصهيونية إذا جاوزت الحقَّ والعدل.

---

(١) مطر: موزة – المركز الفلسطيني للإعلام، مصدر سابق، بتصرف.

٦. التفريق بين بعض المصطلحات الصهيونية التي يستعملها الصهاينة كأنها تعني شيئًا واحدًا، فالصهيونية ليست نوعًا واحدًا؛ فهناك الصهيونية الاستيطانية كما اليهود الذين استوطنوا فلسطين، وهناك الصهيونية التوطينية كحال الجماعات اليهودية التي تعيش في دول مختلفة وتتخذها وطنًا.

خامسًا: أبعاد صراع المفاهيم في أثناء العدوان

تتمثل أبعاد الصراع العربي الإسرائيلي حول الشرعية الحضارية والثقافية والوجودية، وهو ليس صراعًا صهيونيًا فلسطينيًا، فأهمّ ما يفتقده الكيان الغاصب هو الأرض والشعب واللغة التي تجمعهم، فالإسرائيليون مجمّعون من دول متعددة، وبالتالي من ثقافات متعددة ولغات عدة.

وتهـدف الحروب الكثيرة التي قامت بها دولة الكيان الصهيوني حتىٰ الآن إلىٰ استكمال مكونات المشروع الصهيوني المتعددة، بما في ذلك السيطرة علىٰ الأرض وطرد السكان الأصليين. وبالتالي، هي قضية هوية وصراع وجودي ولغة. وبالتالي؛ فإنّ التغيير الثقافي من خلال إرهاب السكان الأصليين ومحاربة وجودهم علىٰ أرضهم الفلسطينية، ومن خلال المحاولة المستمرة لوضع اليد الصهيونية بأكملها علىٰ مدينة القدس الشريف المقدسة، وبالتالي هدم قبة الصخرة والمسجد الأقصىٰ، ومحو الوجود الديني والثقافي للأمة الإسلامية من الأرض الفلسطينية، من أجل بناء ذلك الهيكل المزعوم.

وبعد المؤتمر الصهيوني الأوّل للمنظمة الصهيونية في مدينة بازل في سويسرا، والّذي عقد بزعامة «تيودور هرتزل» عام ١٨٩٧م، تمّ اختيار أرض فلسطين بوصلة تتجمّع فيها الصهيونية. وكان الاختيار علىٰ بقعة إستراتيجية تسمح بالسيطرة عليها للدول الغربية بوجود موطئ قدم في قلب العالمين العربي والإسلامي، بعد أنّ كان من ضمن الدول المقترحة الأرجنتين وأوغندا. وبطبيعة الحال، بعد هذا الاختيار أصبح

هناك صراع بين العروبة الإسلامية كأيديولوجيا وهوية للعالم العربي، وبين الصهيونية العبرانية كهوية لـ «الوطن الصهيوني».

لذلك؛ كثرت التنظيمات المتطرفة في العالمين الإسلامي والعربي. وإذا بحثنا في مدىٰ نفعها للعالمين العربي والإسلامي نجد النتيجة صفرًا، بينما نتيجة نفع وجودها بالنسبة إلىٰ الصهيونية والحكومات الغربية؛ فهي مائة في المائة[1].

المطلب الرابع: مصطلحات صهيونية وإعادة صياغتها

دأبت الآلة الإعلامية الصهيونية علىٰ ابتداع مصطلحات جديدة تخدم المشروع الصهيونيّ الاحتلالي لأرض فلسطين، ثمّ نشر هذه المصطلحات وسط وسائل الإعلام العالمية؛ في محاولة لإذابة هوية الشعب الفلسطيني، وتقبلها لوجود الكيان الصهيوني بين دولهم.

ولا شكّ أن هذه المصطلحات اليهودية المسمومة دخلت القاموس اللُّغوي العربي الفلسطيني عبر وسائل الإعلام المختلفة، والأمر المؤسف أنّنا اعتدنا سماعها، وتتكرر علىٰ ألسنتنا من غير قصد؛ الأمر الذي يتطلّب منّا العودة الجادَّة إلىٰ مصطلحاتنا العربية الإسلامية الصحيحة، والتحذير من المقاصد الصهيونية الخبيثة من وراء بثّ هذه المصطلحات.

(١) انظر: مشيك، محمد – القضية الفلسطينية والأبعاد الحضارية والاقتصادية، موقع ميادين، تم نشره بتاريخ: ٢٤ تشرين ثاني ٢٠٢٣م، https://www.almayadeen.net.

أولاً: مصطلحات صهيونية وتحليلها وإعادة صياغتها[١]

المصطلح	تحليله	إعادة صياغته
أرض الميعاد	استخدمه العدوّ الصهيوني –بخبثٍ ودهاءٍ– لزيادة الحماسة الدينية لدىٰ يهود العالم؛ وتشجيعًا لهم للانتقال إلىٰ أرض فلسطين الموعودة، بحيث يُصبح أمرًا واقعًا مفروضًا عليهم، ولا يستطيعون الهروب منه.	أرض فلسطين
الأرض مقابل السلام	يقصدون به السلام المزعوم الذي يُفضي إلىٰ قبول العرب والمسلمين بالكيان الصهيوني دولةً مستقلةً ذات حدود آمنة مع جيرانهم من الدول العربية.	الاستسلام مقابل السلام
الإرهاب والعنف	يصفون بهما مقاومة الفلسطينيين أصحاب الأرض الأصليين الاحتلال الصهيوني البغيض؛ بهدف نزع صفة الشرعية عنها، وتأليب العالم علىٰ من يقاوم الكيان الصهيوني المغتصب.	الجهاد والمقاومة
الإسرائيليون	يُطلق علىٰ شتات اليهود الغاصبين القادمين من بقاع الأرض المختلفة، وتسكينهم أرض فلسطين بعد الإعلان الغاشم عن قيام دولتهم المزعومة عام ١٩٤٨م.	اليهود أو الصهاينة

(١) انظر كلاً من: المسيري: عبد الوهاب – فنّ الخطاب والمصطلح الصهيوني: دراسة نظرية وتطبيقية، لبنان، دار الشروق، ٢٠٠٥م، ص١٢٨–١٥٠، بتصرف. وعبد الرحيم: أحمد – حرب المصطلحات: دراسة تصحيحية للمفاهيم والمصطلحات المتداولة حول الصراع العربي الإسرائيلي، إشراف: صلاح الدين حافظ، مطبوعات اتحاد الصحفيين العرب، ٢٠٠٢م. وزكي: عبد المعطي – حرب المصطلحات: وسائل صهيونية، واستراتيجيات عربية مطلوبة. ومطر: موزة – المركز الفلسطيني للإعلام، www.alamatonline.net.

الأسير الفلسطيني	يهدف إلىٰ طمس جرائم الاحتلال وظلمهم، وطيّ مصطلحات الحرب والعدوان الغاشم علىٰ أرض فلسطين، وما ينتج عنها من أسرٍ وقتلٍ وتشريد وإصابة.	المُعتقَل الفلسطيني
التطبيع	يهدف إلىٰ جعل العداء مع اليهود وكيانهم الغاصب، أمرًا طبيعيًا، وتمييعه في نفوس الأحرار من أبناء المنطقة العربية والإسلامية، وتعديلها لتتعايش مع الكيان الصهيوني البغيض.	الاستسلام
جبل الهيكل	هو الهضبة التي أقيم عليها: المسجد الأقصىٰ المبارك، ومسجد قبة الصخرة المشرَّفة، والأوقاف الإسلامية المختلفة. وتُسمَّىٰ أيضًا: جبل موريا.	جبل بيت المقدس
جيش الدفاع الإسرائيلي	يوحي للعالم بأن هذه العصابات الإجرامية إنما تدافع عن حقوقها وأرضها وشعبها وتاريخها ومقدساتها؛ بهدف صرف الأنظار عن حقيقة الحرب واغتصاب أرض فلسطين.	قوات الاحتلال الصهيوني
حارة اليهود	دمَّر المحتلّ الصهيونيّ هذه الحارة الفلسطينية القديمة مباشرةً بعد استيلائهم علىٰ مدينة القدس عام ١٩٦٧م، وتمَّ تسويتها بالأرض ومسح معالمها بالكامل.	حارة المغاربة أو حارة الشَّرف
حائط المبكَىٰ	يقع في الجزء الجنوبي الغربي من المسجد الأقصىٰ المبارك، ويزعم الصهاينة أنه الجزء المتبقي من هيكلهم المزعوم، ويقيمون عنده طقوسهم الدينية الزائفة وصراخهم ونواحهم وعويلهم.	حائط البُراق

حدود قطاع غزة	يُفرّق الصهاينة في خطاباتهم وسياساتهم بين قطاع غزة والضفّة الغربية المحتلّتين؛ فهم لا يعدّون غزة جزءًا من كيانهم الغاصب، بينما يعدّون الضفة الغربية جزءًا من كيانهم.	خطّ الهدنة عام ١٩٦٧م
حرب الأيام الستَّة	حرب شنَّها الصهاينة اليهود بعض الدول العربية، واحتلّوا فيها كلاً من: القدس الشريف، والضفة الغربية، وقطاع غزة، وأجزاء من الجولان السُّوري، وأجزاء من أرض سيناء المصرية. واقتبسوا هذه التسمية -زورًا وبهتانًا- من الحرب التي شنَّها نبيّ الله يوشع بن نون عليه السلام على أعدائه، وقد نصره الله عز وجل عليهم.	حرب ١٩٦٧م أو نكسة حزيران ١٩٦٧م
الحوض المقدَّس	مصطلح حديث، يُقصد به المنطقة التي تقع داخل أسوار مدينة القدس القديمة، والتي تتواجد فيها الأماكن الشريفة والمقدسات والأوقاف الإسلامية.	البلدة القديمة
دولة إسرائيل	يريدون به فرض دولتهم وسيادتهم على أرض فلسطين التاريخية، والاعتراف بها محليًّا وإقليميًا وعالميًا، وإثبات حقّهم في الوجود على هذه الأرض الفلسطينية المغتصبة.	الكيان الصهيوني الغاصب والمحتلّ
الشرق الأوسط	مقدمة خبيثة تحايلية للتعايش مع الصهاينة الغاصبين، وإفساح مكان للكيان اليهودي في المنطقة العربية والإسلامية، وإيهام الشعوب العربية والإسلامية بأن دولة اليهود عضو فيها.	الشرق الإسلامي

عرب إسرائيل أو عرب الداخل	يريدون جعل أهل فلسطين الأصليين جزءًا من الكيان الصهيوني الغاصب، ودمجهم بالكامل في دولتهم المزعومة، ومع ذلك؛ فإنهم يعتبرونهم أقلية –حتّىٰ اليوم– داخل الكيان، ويعاملونهم بدرجة أقلّ بكثير من اليهود الأصليين.	أهل فلسطين المحتلة عام ٤٨
العمليات الانتحارية أو الإرهابية	وصف الصهاينة المقاومة الفلسطينية بأوصاف تدلّ علىٰ أفعال وأهداف شنيعة؛ بهدف تشويه الصورة الحقيقية والبطولية للأعمال الفدائية التي يقومون بها.	العمليات الجهادية أو الاستشهادية
الكنيست الإسرائيلي	يهدف إلىٰ ربط البرلمان الصهيوني غير الشرعيّ –هيئة تشريعية يهودية– بهيكلهم المزعوم؛ لإيجاد شرعية له. ولهذه التسمية مرجعية دينية عقدية يهودية.	المجلس النيابي للكيان الصهيوني
المحرقة الكبرىٰ الهولوكوست	استغلها اليهود لابتزاز الشعوب والدول الغربية –وخاصّة ألمانيا– وكسب تعاطفهم، حيث يزعمون أن إدولف هتلر والنازية أحرقوا ستة ملايين يهودي إبّان الحرب العالمية.	أسطورة المحرقة النازية
المستوطنات الإسرائيلية	في هذا المصطلح خلط وغلط كبير؛ لأنها لا تعني طرد السكان الأصليين والحلول مكانهم، بل هذا المعنىٰ مأخوذ من مصطلح (مستعمرة)، أو (مغتصبة).	المستعمرات أو المغتصبات الصهيونية
المستوطنون اليهود	المستوطن هو الذي يتخذ أرضه وطنًا له، ولكن الحقيقة أن هؤلاء الصهاينة اغتصبوا أرض فلسطين التاريخية، واستولوا عليها، ودمّروا جزءًا كبيرًا منها، وقهروا أهلها، وقتلوهم، وشرَّدوهم، ونهبوا خيراتها ومقدّراتها.	المغتصبون الصهاينة

المطالب الفلسطينية	يريدون به تهوين حقوق الفلسطينيين والاستخفاف بهـا وتحقيرها في النفوس، ووصفها بأنها مطالب لهم وليست حقوقًا مشروعة لهم، يمكن أن ترجع إليهم يومًا ما.	الحقوق الفلسطينية
المهاجرون اليهود	انتقال مجموعة كبيرة من الناس من أرض إلىٰ أرض أخرىٰ، وطرد سكانها الأصليين منها. ويُقصد بذه الهجرة اليهودية الغاشمة إلىٰ فلسطين؛ لزيادة عددهم ونفوذهم وتسلّطهم.	المحتلُّون اليهود
نجمة داود عليه السلام	نسبتها إلىٰ داود عليه السلام ليس لها أصل في المصادر التاريخية، ولا حتىٰ اليهودية منها، فيجدر بنا تنزيه نبيّ الله داود عليه السلام من هذه النسبة المخزية والفاضحة.	النجمة السداسية
النزاع الفلسطيني الإسرائيلي	الهدف منه التخفيف من حدّة الصراع والحرب القائمة علىٰ أرض فلسطين التاريخية، وتضييق الأمر وحصره بمسألة نزاع بسيط يمكن حلّه علىٰ طاولة المفاوضات.	الصراع مع اليهود
هيكل سليمان عليه السلام	يزعم اليهود أن المسلمين بنوا المسجد الأقصىٰ المبارك مكان المعبد الذي يعتقدون أن نبيّ الله سليمان عليه السلام بناه، ويحاول اليهود الغاصبون استعادته من المسلمين.	المسجد الأقصىٰ
يهودا والسامرة والجليل	حاول الصهاينة بإطلاق هذا المصطلح تسويغ عملية الضمّ، وإيجاد تاريخ وثقافة وحضارة لهم علىٰ أرض فلسطين، وطمس المعالم الفلسطينية والتاريخية.	فلسطين المحتلّة

أبرز الحروب والمعارك التي شنَّها الاحتلال الصهيوني علىٰ قطاع غزة[١]

التسمية الصهيونية	تفاصيـــــل العمليـــة	التسمية الفلسطينية
الرَّصاص المصبوب	هي عملية عسكرية ممتدة شنها الجيش الإسرائيلي علىٰ قطاع غزة في فلسطين من يوم ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٨ إلىٰ ١٨ يناير ٢٠٠٩.	معركة الفرقان
عملية عمود السحاب	عملية عسكرية شنها جيش الاحتلال الإسرائيلي علىٰ قطاع غزة، وبدأت في ١٤ نوفمبر ٢٠١٢ بقتل أحمد الجعبري، رئيس الجناح العسكري لحماس في غزة نتيجة غارة جوية إسرائيلية، واستمرت ٨ أيام، حتىٰ ٢١ نوفمبر ٢٠١٢م.	معركة حجارة السِّجيل
عملية الجرف الصامد	عملية عسكرية شنها جيش الاحتلال الإسرائيلي علىٰ قطاع غزة، بدأت فعليًا يوم ٨ يوليو ٢٠١٤م، وكان الهدف المعلن منها وقف إطلاق الصواريخ من غزة إلىٰ إسرائيل، التي ازدادت بعد الحملة الإسرائيلية ضد حماس في الضفة الغربية في أعقاب خطف حماس ثلاثة مستوطنين إسرائيليين وقتلهم، واستمرت العملية ٥٠ يومًا، حتىٰ ٢٦ أغسطس ٢٠١٤م.	معركة العصف المأكول

(١) موقع الجزيرة - أبرز حروب إسرائيل علىٰ قطاع غزة، آخر تحديث: ٢٨/ ٧/ ٢٠٢٤، https://www.aljazeera.net

عملية حارس الأسوار	عملية عسكرية شنها جيش الاحتلال الإسرائيلي علىٰ قطاع غزة. بدأت في ١٠ مايو ٢٠٢١ بعد الاعتداءات الإسرائيلية المستمرة في القدس، مع تحذير حركة حماس علىٰ لسان قائد جناحها العسكري محمد الضيف بأنَّ أمام الجيش الإسرائيلي ساعة للخروج من المسجد الأقصىٰ وحي الشيخ جراح وإلَّا ستندلع الحرب، ومع انتهاء المهلة في تمام الساعة السادسة مساءً؛ بدأت المقاومة الفلسطينيّة بإطلاق الصواريخ علىٰ شكل رشقات صاروخية مكثفة علىٰ إسرائيل، وبعدها بدأت القوات الجوية الإسرائيلية بقصف قطاع غزة، وهو ما تسبب ببدء الحرب، واستمرت العملية ١٢ يومًا، وانتهت في ٢١ مايو ٢٠٢١ بهـدنة بوسَاطة مصرية.	معركة سيف القدس
الفجر الصادق	في يوم الجمعة الخامس من أغسطس/ آب ٢٠٢٢م اغتالت إسرائيل قائد المنطقة الشمالية لسرايا القدس (الذراع العسكري لحركة الجهاد الإسلامي) في غزة، حيث استهدفته بطائرة مسيرة داخل شقة سكنية في (برج فلسطين) بحي الرمال.	وحدة الساحات

حرب السيوف الحديدية	هي حرب مستمرة بين فصائل المقاومة الفلسطينية بقيادة حركة حماس من جهة والجيش الإسرائيلي من جهة أخرىٰ. حيث بدأ الهجوم بإطلاق آلاف الصواريخ علىٰ إسرائيل، وتسلل برًّا وبحرًا وجوًّا نحو ألف من مقاتلي النخبة في كتائب القسام الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) إلىٰ المستوطنات، واستولوا علىٰ مواقع عسكرية، وأسروا مئات الإسرائيليين، بينهم عشرات الضباط والجنود، وتجاوز عدد القتلىٰ الإسرائيليين في العملية ١٢٠٠، وأصيب أكثر من ٣ آلاف. واستطاعت المقاومة خلال ساعات قليلة السيطرة علىٰ عدة مستوطنات وبلدات في الغلاف في صباح يوم السبت (٧ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٢٣ م. وما زالت مستمرةً حتىٰ هذا التاريخ.	معركة طوفان الأقصىٰ

الخاتمة والتوصيات

بعد؛ فقد عرض البحث للصراع علىٰ المصطلح الذي يشنُّه العدوّ الصهيوني علىٰ الشعب الفلسطيني وحضارته وثقافته ولغته، بتأييد ومساندة مادية ومعنوية من الغرب عامّة والولايات المتحدة الأمريكية خاصّة.

ويوصي البحث بضرورة العمل المخطَّط والمنهجي علىٰ مستوىٰ الأفراد والمؤسسات المحلية والعربية؛ لأنَّ التحدي خطير، والإجراءات الصهيونية علىٰ الأرض تسعىٰ لطمس عروبة فلسطين وتزييف هويتها الحقيقية؛ مما يستدعي من الجميع مواجهته علىٰ المستوىٰ الجماعي والفردي.

وهذه بعض التوصيات علىٰ سبيل المثال، لا الحصر:

أولاً: علىٰ المستوىٰ الفردي

١. الوعي المعمق بهذه الحرب الإعلامية الشرسة التي يشنّها العدوّ الصهيوني، والحذر من كلّ ما يرد إلينا من مصطلحات جديدة يسكّها الغرب عامة والعدوّ الصهيوني خاصة.

٢. لا بديل عن المقاطعة ومقاومة أية محاولة للتطبيع مع العدوّ الصهيوني، لأن التطبيع خاصة الثقافي منه والإعلامي يعطي للعدو فرصة ثمينة للتسلل إلىٰ عقولنا ونشر مصطلحاته المشبوهة.

٣. معرفة العدوّ الصهيوني عقديًا وسياسيًا، والإدراك أنه لا أمل في أي سلام أو مصالحة معه، وأن المعركة معه معركة حاسمة، إما هو أو نحن، وأنه لا يفهم إلا لغة القوة، وأن ما يقبله هو ما يضطر إلىٰ قبوله.

٤. السعي كل منا في موقعه إلىٰ هذه المعركة، معركة الرأي العامّ، حيث يشارك فيها الجميع بالوعي والرأي والمتابعة.

ثانيًا: علىٰ المستوىٰ الجمعي

١. متابعة الجهد الذي قامت به الإدارة الثقافية بالجامعة العربية وما شكلته من لجان لتحديد أسماء المواقع الجغرافية في الوطن العربي، وبالتحديد لجنة فلسطين لمتابعة ما تقوم به إسرائيل من تغيير لأسماء المواقع الجغرافية في الأراضي المحتلة.

٢. الوقوف علىٰ ما قام به مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، وما قدّمه من حصر شامل للمواقع الفلسطينية التي قام العدو الصهيوني بتغيير أسمائها إلىٰ أسماء عبرية، مع ذكر الأسماء العربية الأصلية لهذه المواقع.

٣. تشكيل لجنة من الخبراء في نظم المعلومات والجغرافيا واللغويات وشؤون فلسطين، تتولىٰ مهمة تحقيق الأسماء العربية الدقيقة للأعلام الجغرافية في

فلسطين حتىٰ ١٥ مايو ١٩٤٨ والأسماء الحالية المحرَّفة، وحصرها في قاموس خاصّ.

٤. تسجيل الأعلام الجغرافية علىٰ خرائط تكون مرجعًا علميًا وتراثيًا وجغرافيًا لفلسطين .

٥. توثيق الصلات بالمراكز والمؤسسات الإعلامية الدولية غير الموالية للصهيونية، من أجل إيصال التغطية الإعلامية للقضايا العربية للرأي العام الدولي، مع الحرص علىٰ المادة الإعلامية التي تمتاز بالمصداقية والموضوعية والمهنية، حتىٰ تصل بنجاح إلىٰ الجمهور المستهدف.

٦. فضح النظرية الإسرائيلية، وهي في مضمونها نظرية أمنية بحتة، وتفنيد ادعاءاتها من أنها مستهدفة ومكروهة، وتسليط الضوء علىٰ سياسة بثِّ الرعب واستغلاله في كسر شوكة الشعب الفلسطيني، والتأكيد علىٰ أن الأمن لا يتأتىٰ عن طريق البطش والإرهاب.

٧. تقويض الرواية الإسرائيلية ومصطلحاتها في الدفاع عن النفس الذي تستخدمه دولة الكيان، لتبين أنها هي المعتدىٰ عليه، وضبط النفس لتصوير نفسها بأنها تكبح جماح ردها علىٰ الاستفزاز الفلسطيني، بينما هي في حالة هجوم، ثم الإرهاب الذي تطلقه علىٰ المناضلين والمقاومين.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

١. الأزدي: علي بن الحسن، أبو الحسن، الملقَّب بكراع النمل – المُنَجَّد في اللغة، تحقيق: أحمد مختار عمر، وضاحي عبد الباقي، القاهرة، عالم الكتب، ط٢، ١٩٨٨م.

٢. الألباني: محمد ناصر الدين، أبو عبد الرحمن – صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو مذيل بالحواشي.

٣. التهانوي: محمد بن علي – موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، وعلي دحروج، نقل الفارسي إلىٰ العربية: عبد الله الخالدي، ترجمة: جورج زيناني، بيروت، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦م.

٤. ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم – مجموع الفتاوىٰ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٥. الجرجاني: علي بن محمد – التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ.

٦. الحكمي: حافظ بن أحمد بن علي – شرح اللؤلؤ المكنون في أحوال الأسانيد والمتون، شرح: عبد الكريم الخضير، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير، الكتاب مرقَّم آليًا.

٧. دوزي: رينهارت بيتر آن – تكملة المعاجم العربية، نقله إلىٰ العربية وعلَّق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، وجمال الخياط، العراق، وزارة الثقافة والإعلام، ط١، من ١٩٧٩-٢٠٠٠م.

٨. السمرقندي: نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، أبو الليث – بحر

العلوم=تفسير السمرقندي، ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير، المكتبة الشاملة.

٩. الطبري، محمد بن جرير، أبو جعفر - جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

١٠. عبد الرحيم: أحمد - حرب المصطلحات: دراسة تصحيحية للمفاهيم والمصطلحات المتداولة حول الصراع العربي الإسرائيلي، إشراف: صلاح الدين حافظ، مطبوعات اتحاد الصحفيين العرب، ٢٠٠٢م.

١١. عمارة، محمد - معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، دار نهضة مصر، ط٢، ٢٠٠٤م.

١٢. عمر: أحمد مختار - معجم اللغة العربية المعاصرة، بمساعدة فريق عمل، القاهرة، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

١٣. العيني: محمود بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين - عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، المكتبة الشاملة.

١٤. الغزالي: محمد بن محمد، أبو حامد - معيار العلم في فن المنطق، تحقيق: سليمان دنيا، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦١م.

١٥. ابن فارس: أحمد بن زكريا، أبو الحسين - معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق، دار الفكر، ١٩٧٩م.

١٦. القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر، أبو عبد الله - الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

١٧. ابن كثير: إسماعيل بن عمر، أبو الفداء - تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن

محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

١٨. المسيري: عبد الوهاب - فنّ الخطاب والمصطلح الصهيوني: دراسة نظرية وتطبيقية، لبنان، دار الشروق، ٢٠٠٥م.

١٩. المناوي: محمد عبد الرؤوف - التوقيف علىٰ مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط١، ١٤١٠هـ.

٢٠. ابن منظور: محمد، جمال الدين - لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط٣، ١٩٩٤م.

المجلات والمواقع الإلكترونية

١. زكي: عبد المعطي - حرب المصطلحات: وسائل صهيونية وإستراتيجيات عربية مطلوبة، موقع علامات: www.alamatonline.net.

٢. الضاري: مثنىٰ حارث - الغزو المصطلحي؛ مفهومه، وشواهده، وواقعه في العراق، مركز الأمة للدراسات والتطوير، منشور بتاريخ: ٧ أغسطس، ٢٠٢١م، https: //alummacenter.com /?p=٢٣٩٤.

٣. مشيك، محمد - القضية الفلسطينية والأبعاد الحضارية والاقتصادية، موقع ميادين، تم نشره بتاريخ: ٢٤ تشرين ثاني ٢٠٢٣م، https://www. almayadeen.net.

٤. مطر: موزة - المركز الفلسطيني للإعلام: أحدث إصدارات اتحاد الصحفيين العرب، صحيفة الاتحاد الإماراتية، بتاريخ: ١/ ١/ ٢٠٠٣، www.palestine-info.com.

٥. موقع الجزيرة - أبرز حروب إسرائيل علىٰ قطاع غزة، آخر تحديث: ٢٨/ ٧/ ٢٠٢٤، https: //www.aljazeera.net.

الأبعاد الاستراتيجية لمعركة طوفان الأقصىٰ -رؤية سُننية-

د. كمال الصيد[١]

ملخص

يأتي البحث محاولة لاستنباط السنن الإلهية الخاصة باليهود من خلال استقراء الآيات القرآنية وقصص بني إسرائيل في وقت احتدام الصراع في طوفان الأقصىٰ مع الصهاينة علىٰ أرض فلسطين والحديث عن الأبعاد الاستراتيجية لهذه المعركة في ضوء السنن الإلهية، وقد جاء الورقة في مبحثين: الأول: في استنباط السنن الإلهية وطوفان الأقصىٰ والذي ينقسم بدوره إلىٰ فقرة أولىٰ: مفهوم السنن الإلهية وفقرة ثانية: السنن الإلهية الخاصة ببني إسرائيل، و الثاني: طوفان الأقصىٰ والأبعاد السياسية وينقسم إلىٰ فقرة أولىٰ: تساقط «جُدر» دولة إسرائيل وانهيارها وفقرة ثانية: عودة الخلافة الراشدة وعاصمتها القدس، وختمتها بأهم النتائج.

الكلمات المفتاحية: طوفان الأقصىٰ، الأبعاد الاستراتيجية، السنن الإلهية.

Abstract

The research is an attempt to deduce the divine laws specific to the Jews by extrapolating the Quranic verses and the stories of the Children of Israel at a time of the escalation of the conflict in the Al-Aqsa Flood with the Zionists on the land of

(١) دكتوراه المالية الإسلامية، وباحث في مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية تونس،
تاريخ استلام البحث، ١/ ٩/ ٢٠٢٤م، وتاريخ قبوله للنشر، ٥/ ١٢/ ٢٠٢٤م البريد الإلكتروني: k.essaid@univ-biskra.dz

Palestine and talking about the strategic dimensions of this battle in light of the divine laws. The paper came in two sections: The first: In deducing the divine laws and the Al-Aqsa Flood, which in turn is divided into a first paragraph: The concept of divine laws and a second paragraph: The divine laws specific to the Children of Israel, and the second: The Al-Aqsa Flood and the political dimensions, which is divided into a first paragraph: The fall of the "walls" of the State of Israel and its collapse and a second paragraph: The return of the Rightly-Guided Caliphate with its capital Jerusalem, and concluded with the most important results.

Keywords: The Al-Aqsa Flood, strategic dimensions, divine laws.

مقدمة

استفاق العالم يوم ٧أكتوبر ٢٠٢٣ علىٰ زلزال قوي كسر كل مؤشرات ريختر وفاق موجة تسونامي، فأتىٰ علىٰ يابس الترتيبات العسكرية والاستخبارية الصهيونية وأقض مضاجع المستوطنين وكسر في أقل من أربع ساعات هيبة جيش الاحتلال، فضرب صلف كبريائهم وطغيانهم، لقد كانت ضربة طوفان الأقصىٰ هزة عنيفة في قلب الكيان، وصدمة لم تحدث في تاريخه، أحدثت شرخا عميقا في أعمدة بقائه ووجوده. لقد تكبد الكيان في يوم واحد من خسارة في الأرواح والعتاد والمعنويات ما لم يحصل له في حروب طويلة مع الأنظمة الرسمية العربية. لقد مثل طوفان الأقصىٰ أضخم عملية عسكرية منذ نشأة كيان الاحتلال في داخل الأراضي المحتلة، شنتها المقاومة الفلسطينية المتمثّلة بشكل رئيس من حركة حماس في قطاع غزة عبر ذراعها العسكري كتائب الشهيد عزالدين القسام، ويُعدّ طوفان الأقصىٰ ردا سريعا وهجوما مدروسا لتلقين الكيان الغاصب درسا قاسيا علىٰ انتهاكات الجيش والمستوطنين المتكررة والمدنسة لحرمات القدس، واقتحاماتهم للمسجد الأقصىٰ التي أصبحت يومية وبحماية مشددة من شرطة الكيان، وردا علىٰ الاعتداءات العنيفة علىٰ المرابطين في المسجد الأقصىٰ وعلىٰ المواطنين الفلسطينيين العُزل في مدينة القدس وفي الضفة.

في أول معاينة لمجريات الأحداث والتطورات لا يمكن إلا التأكيد منذ اللحظة الأولىٰ ودون تردد علىٰ أن ما بعد طوفان الأقصىٰ لن يكون كما قبله، فالعملية مثلت حدثًا استراتيجيًا، غير مسبوق طوال الخمسة والسبعين عامًا التي مضت علىٰ إنشاء «كيان الاحتلال»، فالمتابع للقضية الفلسطينية بالعقل أو بالفؤاد لا يمكنه إلا أن يرىٰ الحقائق أمام عينيه، وهذه الأحداث التي قد تروع السمع والبصر في الظاهر إنما تنطوي علىٰ أسرار ربانية لمن شهد السمع لأنها تسير وفق سنن الله في التاريخ وهي تتبع ما ألقي إليها من ترتيب رباني، فأحداث طوفان الأقصىٰ إنما هي أحداث كالشمس والقمر تجري لمستقر لها وفق مشيئة الله وسننه. وإن من سنن الله ولادة الإنسان علىٰ الحرية،

وهو يتوق إليها ويقاوم من أجلها كما تتوق الأرض إلىٰ نور الله، ومهما أراد أهل الظلام إطفاء نور الله فإن الله متم نوره ولو كره الكافرون.

وليست القوانين الإلهية بقاصرة علىٰ الإنسان، بل هي قوانين اجتماعية داخل العمران البشري، تنطوي علىٰ الفرد والجماعة، وهي مطردة في الإنسانية جمعاء ﴿إِنَّ الإنسان لَفِىٰ خُسْرٍ إِلاَّ الذين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات﴾ [العصر: ٢ - ٣] ولكن هناك من السنن ما هي خاصة بأقوام دون أقوام، وخصائل عامة وقوانين شاملة تنحت روح قوم لا تتعداها ولا تتخطاها، بل هي سمت خاص به يُعرف القوم مثل الجينوم الوراثي.

هذه السنن الخاصة بالأقوام تدعونا إلىٰ التساؤل عن ماهية السنن الإلهية المتعلقة ببني إسرائيل واليهود وعلاقتها بطوفان الأقصىٰ؟ وعلىٰ أي مقتضىٰ تجري أحداث طوفان الأقصىٰ فإن الطوفان له أبعاد استراتيجية و آثار بعيدة المدىٰ وفقا لتلك السنن الخاصة باليهود وبني إسرائيل الحاكمة في مصيرهم.

إن هذه الإشكالية تستدعي بالضرورة اعتماد منهجية خاصة وهي اتباع منهجي الاستقراء والوصفي التحليلي من أجل استكشاف السنن الإلهية الخاصة ببني إسرائيل مما يتطلب البحث في النصوص التأسيسية الإسلامية وهي مصادر الوحي الإسلامي وكذلك الاستهداء بوقائع التاريخ لبيان سريان السنن الإلهية في مصائر بني إسرائيل وأثر ذلك واقعا واستشرافا لما يحدث في غزة وما سيقرره طوفان الأقصىٰ من أبعاد استراتيجية تحدد ملامح مستقبل الصراع حول أكناف القدس.

إن طرح الإشكالية وتقديم استفهامات حول المسار التاريخي لبني إسرائيل والبحث عن مدىٰ تحكم السنن الإلهية في معركة طوفان الأقصىٰ والنظر في أبعادها الاستراتيجية له أهمية كبيرة في الاستشراف والنظر في مستقبل تداعيات معركة طوفان الأقصىٰ، خاصة إذا نجحنا في إماطة اللثام عن تلكم السنن التي تحكم المعركة وتحدد مصائرها، وهو استشراف قائم علىٰ العلم بسنن التاريخ المبثوثة في تعاليم القرآن

الكريم والتي تجري مجرىٰ القضاء والقدر الذي لا يحجب مسؤولية الإنسان في التعاطي مع أصناف الامتحان في الاجتماع البشري. وإن فهم آلية اشتغال السنن الكونية والاجتماعية وإدراك مفاتيح تفسير سنن قيام الأمم والدول وكيفية نهوضها وسقوطها وأسرار الدورات الحضارية وقوانين صعودها ونزولها وتعطلها وتخلفها ودراسة تعلق الأسباب بالمسببات والمقدمات بالنتائج في عالم الإرادة والحرية أي عالم الاجتماع البشري، إن فهم كل ذلك يجعلنا نعيد الدخول في الدورة الحضارية والخروج من حالة التدهور الاجتماعي والعلمي والسياسي لأن فهمنا لسنن الكون والاجتماع يجعلنا نسخرها لفائدة الاستئناف الحضاري كما فهم أسلافنا شروط الخيرية والشهادة علىٰ الأمم فصنعوا خير أمة أخرجت للناس.

علىٰ هذه المعاني التمهيدية يتأسس البحث علىٰ مبحثين وهما:

المبحث الأول: في استنباط السنن الإلهية وطوفان الأقصىٰ والذي ينقسم بدوره إلىٰ فقرة أولىٰ: مفهوم السنن الإلهية وفقرة ثانية: السنن الإلهية الخاصة ببني إسرائيل

المبحث الثاني: طوفان الأقصىٰ والأبعاد السياسية وينقسم إلىٰ فقرة أولىٰ: تساقط «جُدر» دولة إسرائيل وانهيارها وفقرة ثانية: عودة الخلافة الراشدة وعاصمتها القدس.

المبحث الأول: في استنباط السنن الإلهية وطوفان الأقصىٰ

من إعجاز القرآن الكريم صياغته للخطوط الأساسية لحركة التاريخ في مبادئ عامة يسميها (سننا) ويعتمدها المفسرون الإسلاميون منطلقاً لا لتزييف التاريخ - وإنما لتفسيره وفهمه وإدراك عناصر حركته ومصائر وقائعه ومسالكها المعقدة المتشعبة. وهو – إذن - تفسير شامل محيط، يعطي أصدق صورة للسنن التي تسير هذا التاريخ، وبما أن هذه السنن من صنعه تعالىٰ، ارادة وعلماً ومصيراً، فإن هذا الموقف القرآني من حركة التاريخ وتفسيره يأخذ صفة الكمال(١).

(١) عماد الدين خليل، التفسير القرآني للتاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٥م. ص ١٣.

المطلب الأول: في مفهوم السنة الإلهية

تأتي السنة علىٰ معان عدّة منها:

- الطريق، فالسنة في الأصل ﴿سنة الطريق، وهي طريق﴾ سنه أوائل الناس فصار مسلكا لمن بعدهم(١)، وسن فلان طريقا من الخير يسنه إذا ابتدأ أمرا من البر لم يعرفه قومه فاستسنوا به وسلكوه، وهو سنين. ويقال: سن الطريق سنا وسننا، ويقال: تنح عن سنن الطريق، قال الجوهري: السنن الطريقة. يقال: استقام فلان علىٰ سنن واحد. ويقال: امض علىٰ سننك وسننك أي علىٰ وجهك. والمسنن [المسنن]: الطريق المسلوك، وفي معجم اللسان: طريق يسلك(٢).

- القانون: سنة الطبيعة: قانونها وناموسها(٣).

- الحكم والأمر: ويقال: هذه سنة الله، أي: حكمه وأمره ونهيه؛ قال الله جل وعز: ﴿سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] وقال تعالىٰ أيضا: ﴿سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا [الأحزاب: ٦٢](٤).

الطريقة والعادة: قال الألوسي في تفسيره «والسنة في الأصل: الطريقة والعادة، ومنها قولهم سنة النبي صلىٰ الله عليه وسلم (٥)، وجاء فيه أيضًا عند تفسير قوله تعالىٰ

(١) محمّد مرتضىٰ الحسيني الزَّبيدي تاج العروس من جواهر القاموس، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت -المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، ١٩٦٥-٢٠٠١م ٣٥/ ٢٣٢.

(٢) محمد بن مكرم، جمال الدين ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ١٣/ ٢٢٥

(٣) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م، ٢/ ١٢٢.

(٤) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ١٢/ ٢١٣.

(٥) الألوسي، شهاب الدين بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ٤/ ٦٥

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الحجر: ١٣] والمراد: عادة الله تعالىٰ فيهم» (١) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والسنّة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الأول، ولهذا أمر الله تعالىٰ بالاعتبار)(٢) ولذلك قيل إن «سنة الله هي الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالىٰ للبشر بناء علىٰ سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب علىٰ ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة »(٣).

ولقد بيّن الله في كتابه العزيز ومن مجموع آياته الكريمة أن الساحة التاريخية لها سنن ولها ضوابط، كما تكون هناك سنن وضوابط لكل الساحات الكونية الأخرىٰ. فقد قاوم «القرآن الكريم هذه النظرة العفوية الاستسلامية، ونبه العقل البشري، إلىٰ أن هذه الساحة لها سنن، ولها قوانين، ولكي تستطيع أن تكون إنسانًا فاعلاً مؤثراً، لا بد لك أن تكتشف السنن التاريخية في القرآن، وتتعرف علىٰ تلك القوانين، لكي تستطيع أن تتحكم فيها، وإلا تحكمت هي فيك وأنت مغمض العينين، افتح عينيك علىٰ هذه القوانين، لكي تكون أنت المتحكم فيها وليس العكس» (٤).

١- في خصائص السنن الإلهية:

وإن لسنن الله تعالىٰ خصائص ومميزات ومنها:

أولا: الثبات

ومعنىٰ ثبات سنة الله أنها لا تتغير ولا تتبدل ولا تتأثر بعوامل المكان والزمان وهي

(١) الألوسي، شهاب الدين بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ١٤/ ١٩.

(٢) تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية. مجموع الفتاوىٰ، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف -المدينة المنورة- السعودية، ٢٠٠٤م، ١٣/ ٦٩.

(٣) عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص ١٠.

(٤) محمد باقر الصدر، السنن التاريخية في القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠١١م، ص٦٤.

خاصية لازمة وضرورية وجوهرية فلا تكون كذلك» لو لم تكن السنن ثابتة مستمرة ومطردة؛ كشأن «القاعدة القانونية. فهي ثابتة لا تتغير» (١) أي لن تجد تغييرا، فهي قد سبقت في الأمم الذين من قبل، يقول بن تيمية: «والرب تعالىٰ في الحقيقة لا ينقض عادته التي هي سنته، التي قال فيها:، ﴿ سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا ﴾[الفتح: ٢٣]، وقال: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلاً ﴾ [فاطر: ٤٣]؛ وهي التسوية بين المتماثلين، والتفريق بين المختلفين؛ فهو سبحانه إذا ميَّز بعض المخلوقات بصفات يمتاز بها عن غيره، ويختصه بها، قرن بذلك من الأمور ما يمتاز به عن غيره، ويختص به» (٢).

ثانيا: الاطراد

ومن مميزات سنة الله أنها مطردة لا تتخلف، ويدل علىٰ اطرادها أن الله تعالىٰ قصّ علينا قصص الأمم السابقة وما حلّ بها لنتعظ ونعتبر ولا نفعل فعلهم لئلا يصيبنا ما أصابهم، ولولا اطرادها لما أمكن الاتعاظ والاعتبار بها اطّراد السنن، أي تكرارها متىٰ ما تكررت الأسباب المقضية لها، فالسنن هنا للعبرة والعظة، مخافة الوقوع في مَظِنَّة السَّبَبِ فيقع المسبَّبُ، (٣)وقال تعالىٰ: ﴿ يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء: ٢٦]، فبحدوث المسبِّبات التي تتسبب بوجود هذه السنن توجد، أي أنها تسير وفقا لقانون السببية، ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلًا﴾، [فاطر: ٤٣]

ثالثا: العمومية

وهي تتصف سنة الله بالعموم أي أنها عامة يسري حكمها علىٰ الجميع دون محاباة

(١) عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ص ١٤.

(٢) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، النبوات، تحقيق عبد العزيز بن صالح الطويان، نشر أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٨٦٧.

(٣) عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص ١٠.

ولا تمييز، قال تعالىٰ: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءةٌ فِي الزُّبُرِ﴾، ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ٥١]. أي ليس كفاركم خيراً من كفار من تقدم من الأمم الذين أهلكوا بكفرهم (١)، وقال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]، والمعنىٰ أن كل من يعمل سوءاً يلق جزاءه؛ لأن الجزاء بحسب سنّة الله تعالىٰ أثر طبيعي للعمل لا يتخلف عنه(٢).

رابعًا: لا تتعارض مع إرادة الإنسان

ومما سبق، وعلىٰ ضوء حكمة الله من سننه، يتضح أن مصير الإنسان يشكله بيده من خلال قراراته التي يتحكم بها، فالاختيار بين الشر والخير موكول إليه بمحض إرادته وكامل سلطانه الحر، فهو الذي يحسم بين الخير والشر، وهذا التمييز والاختيار بينهما هو محل الابتلاء وهنا تكمن طاعة الإنسان لله ومسؤوليته في الكون ومعنىٰ استخلافه في الأرض، «فيظهر دور إرادة الإنسان عن طريق الالتفات إلىٰ الشكل الأوّل من أشكال السُنّة التاريخيّة، الذي تصاغ فيه السُنّة التاريخيّة بوصفها قضيّةً شرطيّةً. وكثيراً ما تكون هذه القضيّة الشرطيّة في شرطها معبّرة عن إرادة الإنسان واختيار الإنسان، إذ الشرط: هو فعل الإنسان، هو إرادة الإنسان، يقول تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١](٣). فالله تعالىٰ من خلال سننه لا يعني أنه يستخدم البشر كآلات صماء، بل هو يترك للإنسان حرية الاختيار بين الشر والخيركما أنّ ذلك القانون الطبيعيّ للغليان كان يزيد من قدرة الإنسان لأنّه يستطيع حينئذٍ أن يتحكّم في الغليان، بعد أن عرف شروطه وظروفه، كذلك السُنن التاريخيّة ذات الصيغ الشرطيّة، هي في الحقيقة ليست علىٰ حساب إرادة الإنسان، وليست نقيضاً لاختيار الإنسان، بل هي مؤكّدةٌ لاختيار الإنسان، توضّح للإنسان نتائج الاختيار، لكي يستطيع أن يقتبس

(١) أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م، ١٥/ ١٤٥.

(٢) محمد رشيد بن علي رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ٥/ ٤٣٤.

(٣) باقر، نفسه، ص١٥.

ما يريده من هذه النتائج، لكي يستطيع أن يتعرّف إلىٰ الطريق الذي يسلك به إلىٰ هذه النتيجة، أو إلىٰ تلك النتيجة، فيسير علىٰ ضوءٍ وكتابٍ منير(١).

المطلب الثاني: السنن الإلهية وبني إسرائيل

إن السنن الإلهية الكلية أو العامة لا تتخلف إحاطتها عن كل العمران البشري، وفي هذا المطلب نفرد مجالا لما نعدّه سننا خاصة ببني إسرائيل، ومن المفيد الجواب عن سؤال يبدو منطقيا وهو كيف نتحدث عن سنن تاريخية في القرآن الكريم التي من مميزاتها العموم ثم نتحدث عن بعضها التي لا تشملها هذه الصفة؟، قد يبدو في الأمر شيء من التناقض، في الحقيقة المسألة لا تعدو أن تكون تخصيصا من الله لسنن مرتبطة ببني إسرائيل لا غير، وهذا مستخلص من استقراء الآيات القرآنية ومستنبط من تخصيص الله سبحانه حيزا معتبرا من القصص القرآنية لقصص بني إسرائيل حتىٰ إنه معلوم علىٰ سبيل الذكر أن أكثر اسم لنبي ذُكر في كتاب الله هو موسىٰ عليه السلام، وقد اختص الله اليهود من دون الأقوام الأخرىٰ بالتشريح الاجتماعي لهم في كتابه وبالتوصيف العلمي الدقيق المتيقن لمكنوناتهم النفسية وخصالهم الخلقية الذميمة، وعد لهم بالتفصيل قائمة جرائمهم التي اقترفوها، ومنها تكذيب الأنبياء وقتلهم بغير حقّ، وإشراكهم بالله بعد إنقاذهم من فرعون بعبادة العجل، ورفضهم دخول أرض فلسطين، وتحريفهم للتوراة، وأكلهم السُحْت، وتعاملهم بالربا ونشرهم الزنا والرذيلة، وغيرها من المعاصي التي اقترفوها وفصّلها القرآن الكريم، وفي هذه تحريض من الله علىٰ واجب فهمهم لأنه سبحانه يعلم أنهم كما إبليس عدو الإنسان فإنهم أعداء أمة نبيه محمد عليه السلام. وقد اتضح بتصفح التاريخ اليوم أن الله قدم لنا السنن القرآنية الخاصة ببني إسرائيل للحظة تاريخية أتت حقا، ومعانيها لم تكن حاضرة عند أسلافنا من العلماء فهي معان قرآنية كانت مستورة، مندرجة في علم الغيب، مما يثقل أكتاف العلماء اليوم بواجب استكشاف هذه القوانين والاتعاظ بها والعمل من خلالها لإحقاق

(١) محمد باقر الصدر، صيغ السنن التاريخية، ص١٥.

الحق وسحق الباطل عسىٰ أن يكون الجزاء الذي حتمه الله علىٰ الظالمين والمستكبرين من بني إسرائيل قد اقترب، وقد جاء طوفان الأقصىٰ ليكون بداية الجزاء بمشيئة الله وحكمه.

أولا: سنة التكذيب وقتل الأنبياء

يقول الصلابي: «وفي الوقت الَّذي يقدِّسون فيه أحبارهم، ورهبانهم إلىٰ درجة العبادة نجدهم في المقابل لا يتورَّعون عن محاربة أنبيائهم، وصالحيهم، ويشنُّون عليهم الحملات المغرضة بشتَّىٰ الطُّرق، والوسائل كافَّةً، ولا يمتنعون حتَّىٰ عن قتلهم؛ كما فعلوا بزكريا، ويحيىٰ عليهما السَّلام، وقد أخبرنا الله – عزَّ وجلَّ – عنهم بذلك، فبعد أن بيَّن – عزَّ وجلَّ – ألوانًا من العذاب أوقعه عليهم؛ قال: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الْنَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]» (١) وقد جاءت عدد من الآيات التي تختص بوصف بني إسرائيل بخصائص جينية لا تتخلف فيهم سارية عليهم، فقد استمر فيهم هذا القانون في كل زمان، سنة القتل وسنة التكذيب، وحتىٰ لما بُعِثَ إليهم آخر نبيٍّ، وهو عيسىٰ عليه السلام، كذَّبوه ورموه وأمه بأشنع التُّهم وأقبح الإفك، وتصدَّوا لقتله؛ فرفعه الله إليه ونجَّاه من شرِّهم. ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]. ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠]. وقد عبر لفظ «أفكلما» في الآية عن هذا القانون الرباني الكلي والعام في بني إسرائيل.

شرط القانون الإلهي: أفكلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمُ

(١) علي محمد الصلابي، صفات اليهود في القرآن الكريم، موقع الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ٢٠١٩/٠٩/٢٨، https: //iums. me/10241

جزاء القانون الإلهي: اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ -فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ

ثانيا: سنة التبديل والتحريف:

وإن من أوضح السنن القرآنية الخاصة ببني إسرائيل لمن يريد الاعتبار والتأكد هي سنة التبديل والتحريف قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٤٦]، وقد ذكر الله وأكد في آيات عديدة علىٰ هذه السنة لأهميتها في الصراع الحاصل اليوم مع الصهاينة المحتلين يقول تعالىٰ: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَىٰ الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩] ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]. ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ١٣] ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٤] قال الإمام ابن كثير: قوله: يحرفون الكلم عن مواضعه أي: يتناولونه علىٰ غير تأويله، ويفسرونه بغير مراد الله عز وجل قصدا منهم وافتراء. والمعنىٰ في الجملة أنهم يحرّفون كلام ربِّهم الذي أنزله علىٰ نبيهم موسىٰ صلىٰ الله عليه وسلم، وهو التوراة، فيغيرون ما جاء به من لفظ ومعان، ويكتبون بأيديهم غير الذي أنزله الله تعالىٰ علىٰ نبيهم، «فهذا الفريق لا يكتفي بما فعله أسلافه وما يتحمل وزره الذين يعلمون الكتاب المنزل من قبل ويكتمونه، بل إنه يجعل كلام النبي -صلىٰ الله عليه وسلم - منحرفا في أذهانهم الملتوية عن حقيقة معناه، ويتهكمون عليه، ويحملونه بأغراضهم الفاسدة ما لا يحتمل من المعاني، ولا

يكتفون بذلك التحريف، بل يجمعون معه النطق بالعصيان عند السماع»(١).

شرط القانون الإلهي: فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ -يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ-

جزاء القانون الإلهي: فَأَنْزَلْنَا عَلَىٰ الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ -لَّعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ -والويل: الهلاك والدمار، قسوة القلب.

والويل: الهلاك والدمار، وعن ابن عباس: الويل: السعير من العذاب، وقال الخليل بن أحمد: الويل: شدة الشر، وقال سيبويه: ويل: لمن وقع في الهلكة، وقيل: أصله الهلكة، وكل من وقع في هلكة دعا بالويل، ومنه قوله تعالىٰ: يا ويلتنا مال هذا الكتاب. وهي الويل والويلة، وهما الهلكة الجزاء اللعن والعياذ بالله(٢).

ثالثا: سنة الجبن والحرص علىٰ الحياة

قال الله تعالىٰ: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤] قوله تعالىٰ: لا يقاتلونكم جميعا يعني اليهود ومعنىٰ «إلا في قرىٰ محصنة» أي بالحيطان والدور، يظنون أنها تمنعهم منكم. أو من وراء جدر أي من خلف حيطان يستترون بها لجبنهم ورهبتهم(٣). وقد ظهر مؤخرا في معركة الطوفان وقبلها سنة الاحتماء بالجدر متمثلة بالاحتماء بالجدارين العازلين من ضربات المجاهدين أحدهما إسمنتي الآخر المعروف بالقبة الحديدية، وهذه الجدر هي ذروة ما توصلوا إليه في إستراتيجية الدفاع والتحصن التي اعتاد اليهود الحرص عليها منذ القدم بسبب شخصيتهم المعروفة

(١) محمد بن أحمد بن مصطفىٰ المعروف بأبي زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، د ت، د ط، ٤/ ٧٠١.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢/ ١٠.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٨/ ٣٣.

بالجبن والخوف من الموت(١). وقيل: بأسهم بينهم شديد أي إذا لم يلقوا عدوا نسبوا أنفسهم إلىٰ الشدة والبأس، ولكن إذا لقوا العدو انهزموا (٢). وإنا نشهد بالعودة إلىٰ تاريخ بني إسرائيل كيف أنهم يحتمون في كل مرة وهو في شتات دائم بالأنظمة العالمية القوية فيتسترون وراء الرومان ويتقربون إليهم ويتسترون وراء قوة المسلمين في الأندلس ووراء قوة روسيا، ثم وراء قوة ألمانيا، ثم بريطانيا والآن وراء قوة الولايات المتحدة الأمريكية، ولكنهم في كل مرة يلقون مصيرهم المحتوم وقدرهم المكتوب في سنن الله بسبب غدرهم وخيانتهم المتكررة.

شرط القانون الإلهي: يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا

جزاء القانون الإلهي: أن الله جاءهم من تلقاء قلوبهم وقذف في قلوبهم الرعب ولم تغني عنهم الجدر والقرىٰ المحصنة.

رابعا: سنة حبل من الناس:

قال الله تعالىٰ: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢] في تفسير هذه الآية قال ابن عباس: (إلا بحبل من الله وحبل من الناس). والمعنىٰ أنهم لا يسلمون من الذلة إلا إذا تلبسوا بعهد من الله، أي ذمة الإسلام، أو إذا استنصروا بقبائل أولي بأس شديد، وأما هم في أنفسهم فلا نصر لهم. وهذا من دلائل النبوة فإن اليهود كانوا أعزة بيثرب وخيبر والنضير وقريظة، فأصبحوا أذلة، وعمتهم المذلة في سائر أقطار الدنيا(٣). وفي تفسير الدمشقي: أي: ألزمهم الله الذلة والصغار أينما كانوا

(١) كمال معطار، نهاية الصهيونية في الآيات القرآنية، الدار المختارة للنشر، الجزائر، ط١، ٢٠٢٣م، ص ٣٨.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٨/ ٣٣.

(٣) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير

فلا يأمنون (إلا بحبل من الله) أي: بذمة من الله، وهو عقد الذمة لهم وضرب الجزية عليهم، وإلزامهم أحكام الملة (وحبل من الناس) أي: أمان منهم ولهم، كما في المهادن والمعاهد والأسير إذا أمنه واحد من المسلمين ولو امرأة، وكذا عبد، علىٰ أحد قولي العلماء(١). ومعلوم أنه « منذ دخول الصهاينة إلىٰ فلسطين وهم ينشدون تحقيق الأمن لكيانهم الغريب عن جسد الأمة فسلكوا في سبيل ذلك.. الاستعانة بالدول الغربية التي يسيطرون علىٰ دواليب الحكم فيها وعلىٰ بنوكها ومؤسساتها المالية كأمريكا وإنجلترا لتبذل لهم الحماية بحق الفيتو وبالسلاح والتقنية المتطورة وتضمن لهم بقاء تفوقهم العسكري قائما في المنطقة »، (٢)فالخلاصة في هذه السُنة التي تخص بني إسرائيل أنهم دائما ما يبحثون عن الاحتماء بالعهود والاحتماء بقوة الناس والتحالفات مع الأقوياء من الأمم تذللا ومسكنة، ولكن لأنهم لا يحترمون عهدا ولا ذمة فإن مصيرهم الهزيمة الذليلة والخزي الدائم والغضب الأبدي من الله.

شرط القانون الإلهي: ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ

جزاء القانون الإلهي: ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ -وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ - وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ.

خامسا: سنة الشتات والتجميع

قال الله تعالىٰ: ﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: ١٠٤] يقول الشعراوي في تفسير الآية: ﴿ٱسْكُنُواْ ٱلأَرْضَ﴾ هكذا دون تقييد بمكان معين، لينسجم مع آيات القرآن التي حكمتْ عليهم

الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر – تونس، د ط، ١٩٨٤م، ٤/ ٥٦.

(١) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض -السعودية ط٢، ١٩٩٩م، ٢/ ١٠٤.

(٢) كمال معطار، نهاية الصهيونية في الآيات القرآنية، ص ٣٨.

بالتفرُّق في جميع أنحاء الأرض، فلا يكون لهم وطن يتجمعون فيه، وجاء في تفسير القرطبي: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ: جِئْنَا بِكُمْ جَمِيعًا مِنْ جِهَاتٍ شَتَّىٰ. وَالْمَعْنَىٰ وَاحِدٌ. قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وَاللَّفِيفُ مَا اجْتَمَعَ مِنَ النَّاسِ مِنْ قَبَائِلَ شَتَّىٰ، يُقَالُ: جَاءَ الْقَوْمُ بِلَفِّهِمْ وَلَفِيفِهِمْ، أَيْ وَأَخْلَاطِهِمْ»(١)، يقول الشعراوي: «والمعنىٰ المقصود إذن أن الحق يبلغنا أنه سيقطعهم في الأرض تقطيعا بحيث لا يستقرون في مكان أبدا. وذلك مصداقا لقول الله تعالىٰ: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أُمَمًا.. ﴾ [الأعراف: ١٦٨]»(٢) فليس لهم وطن خاص. وتمت بعثرتهم في كل الأرض.

والواقع يُؤيد هذا، حيث نراهم مُتفرقِّين في شتَّىٰ البلاد، إلا أنهم ينحازون إلىٰ أماكن مُحدَّدة لهم يتجمَّعون فيها، ولا يذوبون في الشعوب الأخرىٰ، فتجد كل قطعة منهم كأنها أمة مُستقلة بذاتها لا تختلط بغيرها. (٣) وهذه الإفسادة هي ما نحن بصدده الآن، حيث سيتجمع اليهود في وطن واحد ليتحقق وَعْد الله بالقضاء عليهم، وهل يستطيع المسلمون أن ينقضُّوا علىٰ اليهود وهم في شتيت الأرض؟ لا بُدَّ أن الحق سبحانه أوحىٰ إليهم بفكرة التجمُّع في وطن قومي لهم كما يقولون، حتىٰ إذا أراد أَخْذهم لم يُفلتوا، ويأخذهم أَخْذ عزيز مقتدر. وهذا هو المراد من قوله تعالىٰ: ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: ١٠٤] أي: مجتمعين بعضكم إلىٰ بعض من شَتّىٰ البلاد، وهو ما يحدث الآن علىٰ أرض فلسطين(٤).

«وحين يأتي بهم الحق في الجولة الآخرة سيأتون لفيفا أي مجتمعين؛ لأن الأمة المؤمنة حين يقويها الله لتضرب علىٰ هؤلاء القوم ضربة لا بد أن يكونوا مجتمعين. وكأن الله قد أراد أن يكون هذا «الوطن القومي» حتىٰ يتجمعوا فيه وبعد ذلك يرسل الضربة عليهم لأنه جاء بهم لفيفا؛ لذلك لا نحزن لأنه قد صار لهم وطن، فقد جاء

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٠/ ٣٣٨.
(٢) محمد متولي الشعراوي، الخواطر الشعراوي، مطابع أخبار اليوم٥/ ٩٩.
(٣) نفسه، ٥/ ٩٩.
(٤) نفسه، ٥/ ٩٩.

بهم لفيفا»(١)، وقد علم بعض من علمائهم بهذه السنة التاريخية فكانوا يدركون مصير التشتّت الحتمي وعقابهم بالإذلال الذي ينتظرهم حال تأسيسهم دولة قومية يهودية، وهم يعتقدون أنّ زوال دولة إسرائيل سيكون عند اكتمال اجتماعهم فيها، ومما يعتقدون أيضا أن تأسيس إسرائيل يعتبر معصية لأنها مخالفة لأمر الله ومعارضة لسنته التاريخية المتمثلة في تشتتهم المقدور بأمر الله وحكمه عليهم.

الخلاصة:

شرط القانون الإلهي: الاجتماع في مكان واحد – والخروج عن سنة التشتت وتكوين دولة قومية يهودية

جزاء القانون الإلهي: زوال الدولة وتشتتهم من جديد وهزيمتهم - وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي ٱلأَرْضِ أُمَمًا

سادسا: سُنة العَوْد وهلاك بني إسرائيل:

قال الله تعالىٰ: (وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً (٦) إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً (٧) عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً (٨) إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً (٩) [سورة الإسراء].

يُمثل قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٨] استشرافا بعلم الله المطلق

(١) نفسه، ٥/ ١٠٠.

للصراع العربي الصهيوني وبناء علىٰ هذه الكلية الاجتماعية وسنة الله اليقينية في حق اليهود وهذه السنة الإلهية الخاصة بهم التي يتحقق جزاء هلاكهم بما ورد من تفصيل في الآية الكريمة، كلما حققوا شرط العودة إلىٰ الإفساد والعلو في الأرض. وقد حصل في الماضي ويحصل في المستقبل، وإن في الآية معنىٰ إعجازيـًا يؤكد من خلاله الله عز وجل هذه السنة وهو أن اليهودي عندما يكون في الشتات يبقىٰ لديه الحنين إلىٰ العودة إلىٰ أرض الأجداد الموعودة بحسب قولهم فهو دائما يحدث نفسه بالعودة ويخطط لذلك وهي نزعة ملازمة لكل يهودي ولأن الله يعلم ذلك ويريدنا أن نعلم فإنهم يحذرهم من مغبة العودة فيتوعدهم بالشتات والهلاك إذا ما عادوا والمعنىٰ الموجز هنا لعبارة إن عدتم عدنا أن قانون الشتات يبقىٰ يحكمكم لا محالة فلا تجتمعون أبدا. ودون البحث في قضية الإفسادين وتوقيتهما ومكانهما واختلاف المفسرين في شأنها، فسُنة العوْد هي سنة ثابتة ومطردة وعامة علىٰ اليهود ولا خلاف فيها، ونحن أمام قانون إلاهي لا مرد له، مادام يحصل شرطها اليوم من إفساد دولة إسرائيل وجرائمها المنظورة علىٰ مرأىٰ العالم أجمع كآية لتحقق العقوبة بعد شهادة الناس كافة، فكان إفسادها الثاني جليا متمثلا بإعلان الدولة الصهيونية عام ١٩٤٨، واحتلال الصهاينة القدس عام ١٩٦٧ وما يعيش العالم اليوم من إبادة جماعية تشكل أكبر عملية إفساد شهدتها الحضارة البشرية فاق ما حصل في الحربين العالميتين.

شرط القانون الإلهي: وإن عُدتُّمْ - لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ -

جزاء القانون الإلهي: عُدْنَا - وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً - لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ - وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً.

المبحث الثاني: طوفان الأقصىٰ والبعد الاستراتيجي السياسي

المطلب الأول: في تداعي جُدر دولة إسرائيل

تتعدد جدر الكيان المحتل التي يختفون وراءها وفقا للقانون الإلهي الخاص باليهود، فهم يصنعونها حقا وزيفا وإيهاما، فهي لا تكاد تحصىٰ لكثرتها وذلك لشدة خوفهم وجزعهم، فهم هَشٌّ كقِشٍ، يتسترون وراء الجدر ولا يواجهون إلا من ورائها، فإذا سقطت سقطوا، وإذا اختفت زالوا.

أولا: سقوط جدار «نظرية الأمن الإسرائيلي»:

إن من تبعات خيار المقاومة الذي جسدته عملية طوفان الأقصىٰ مراكمة القضم التدريجي للأمن الاستراتيجي لكيان الاحتلال، وذلك بإسقاط جدار» نظرية الأمن الإسرائيلي «القائمة علىٰ مبادئ الردع والإنذار المبكر والقدرة علىٰ الحسم، ومبدأ الدفاع. حيث تهاوت هذه المبادئ الأربعة في هذه العملية. وبسقوط أركان الأمن الرادع حصل توازن الرعب، فأصبحت أرض الميعاد أرض الرعب والخوف، لقد بلغت صواريخ القسام كل مداها في جغرافية المواطن المحتل والمعمر، لم يبق له مكان آمن لا تلحقه سطوة المقاومة، إن البنية النفسية للمعمر المحتل ضربت في الصميم، فالأمن مسألة جوهرية في النظرية الصهيونية وعماد متين في بنية كيان المحتل، باعتبار أرض الميعاد هي الملاذ الآمن ليهود العالم الذي حولته الصهيونية إلىٰ عقيدة. لم تعد أرض الميعاد لها الجاذبية التاريخية، إن كل جهد وكالات التسفير التي تبيع الحلم الصهيوني لعالم اليهود سقطت في الماء في أقل من نصف يوم، ما حل بالمستوطنات الكيبوتس أصبح مصدر كوابيس للمعمر المستوطن، إن ما قام به طوفان الأقصىٰ في الساحة السياسية الفلسطينية هو الاعتراف بخيار المقاومة وفشل خيار السلام واتفاقات أوسلو لإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة علىٰ أراضي فلسطين المحتلة سنة ١٩٦٧، وإن توازن الرعب المحلي في غزة قد يحمل في ثناياه بعدا استراتيجيا أخطر في

المستقبل وهو توازن الرعب الدولي مع قوىٰ الاستعمار القديمة الجاثية في مجلس الأمن الجهاز الدولي الذي به تتحكم في مقدرات الشعوب وتعبث بثرواتها وسيادتها الوطنية. وهو نقطة التحول في تاريخ الشعوب المقاومة للاستعمار والاستيطان، ما يذكرنا بالعدوان البربري الذي قام به الجيش الفرنسي في واقعة سطيف بالجزائر في سنة ١٩٤٥ حيث قتل في يوم واحد خمسا وأربعين ألفا من الأبرياء العزل فكانت مجزرة سطيف نقطة يؤرخ بها لبداية حرب التحرير الجزائرية، وكانت نقطة البداية لانطلاق ثورة التحرير. لقد منحت هذه اللحظة التاريخية في الصراع الجزائري الفرنسي المفكر مالك بن نبي نظرية القابلية للاستعمار أو حالة الوهن بالمصطلح النبوي، إذ يعتبر أن شرط الانتصار علىٰ أعداء الأمة يكمن في التغلب علىٰ الشعور النفسي بـ«القابلية للاستعمار»، وهو ينتظر ولادة هذا الشعور في جمهور الأمة وخاصة في شبابها، فيقول: « فالعفوية والتجريبية والعاطفة النبيلة والغضب المقدس؛ ذلك كله هو طابع السياسة الإسلامية اليوم كالغضب الذي يبديه مصدق ضد احتلال عبادان والنحاس باشا ضد احتلال السويس. وقد تُشفىٰ أمراض بأعجوبة عقب غضب كهذا، ولكن متىٰ؟ وكيف؟ هذه مشكلات لا تفرضها التجريبية كما لا تطرحها كمشكلة. فالعالم الإسلامي سوف يُشفىٰ مع الزمن – بدون شك من قابلية الاستعمار، وغضبته الحاضرة ضد الاستعمار ستساعده بالتأكيد، ولكن كيف؟ ومتىٰ سيشفىٰ؟ إذا لم يُبْنَ علىٰ وعي منهجي له مقدماته ونتائجه» (١). ومن جهتنا نقول: إن مشهد طوفان الأقصىٰ سيصبح مثالا للتحرر من حالة الركوع والانحناء تحت سقف النظام العالمي بأدواته المنحازة لشعوب الشمال المترفة علىٰ حساب شعوب العوالم الأخرىٰ المقهورة فقرا وجوعا وتخلفا، وتحت سقف العولمة المكرسة لهيمنة ثقافة الاستعمار والبنوك المتحكمة في قوت المستضعفين. إن سبعة أكتوبر هي لحظة حضارية مفصلية في التاريخ مثل اكتشاف أمريكا وسقوط القسطنطينية، تؤسس لمستقبل جديد بنظام عمران عالمي جديد ينقذ البشرية من أحقاد الصهيونية العالمية ويحضر فيه المعنىٰ والروح من جديد.

(١) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، المسألة اليهودية، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠١٢م، ص ٣٢.

ثانيا: سقوط جدار هيبة الجيش الذي لا يقهر

أذل طوفان الأقصىٰ جيش الاحتلال، وكسر هيبته في ساعات معدودة، ومرغ أنف الكيان المحتل بالتراب ولطخ سمعة جيشه الذي لا يقهر في الوحل، بل أصبح الجيش الصهيوني في حالة هستيرية وهشاشة نفسية ضعيفة لم يسبق لها مثيل إلىٰ درجة الرعب والخوف ومعاينة حالات انتحار وهروب من الخدمة العسكرية. لقد استطاعت حماس تخطي نظام الدفاع الذي صرف عليه الكيان المحتل مليارات الدولارات، ومن مصائب الاحتلال أنه تم تصوير الهجوم بصورة شبه مباشرة أنست العالم أفلام هوليود المصنعة، وحاكت الألعاب النارية الالكترونية الافتراضية، ونقلته كل وسائل الإعلام العالمية، ما شكل إذلالاً لكيان الاحتلال وهزيمة في معركة الإعلام ألحق أضراراً فادحة بصورته العسكرية التي لم يعد ممكنا ترميمها، فقد ارتسمت صورة الهزيمة النكراء في عيون المشاهدين عبر العالم، ونقشت في عقولهم وغيرت قناعاتهم حول أسطورة جيش الاحتلال. لقد سقطت مقولة كيان الاحتلال شرطي المنطقة. وكما قال أحد الباحثين في الشأن الفلسطيني: «فبعد حالة العجز والفشل في التعامل مع المقاومة الفلسطينية، وبعد سقوط نظرية الأمن، وانهيار الردع، وانكشاف أن «نِمرها» هو «نِمر من ورق»، لم تعد «إسرائيل» قوة يعتمد عليها الغرب في الهيمنة علىٰ المنطقة، ولا قوة موثوقة تلجأ إليها دول المنطقة في حل نزاعاتها».

لقد سعىٰ كيان الاحتلال علىٰ مدىٰ سبعة عقود علىٰ توفير شروط الأمان لمواطن الاحتلال المعمر الجديد في محيط معاد من شعوب عربية وإسلامية، لقد اخترق الكيان المحتل المنطقة العربية وحل محل شعب عربي يحيط به بنو أعمامه من العرب والمسلمين، لقد أحاط الاحتلال كيانه الجديد بمعاهدات سلام مع كل بلدان الجوار، وحصن نفسه بكل أنواع الأسلحة الرادعة حتىٰ السلاح النووي، ولم يهنأ لذلك بل كان دائما في سباق مع أعدائه بإغراءات التطبيع كل ذلك لتحقيق الحياة المنيعة والهادئة في حقل كله ألغام من شعوب تنتظر فريستها لتحرير أعز ما تملك من مقدساتها، يضاف

إلىٰ ذلك تحالفات الكيان مع أعتىٰ الأنظمة الدولية التي توفر له الأمن والحماية من العقاب داخل أروقة المنظمات الدولية مع الدعم المالي والعسكري والأمني. لقد جاءت عملية طوفان الأقصىٰ في ظرف وجيز فأسقطت كل شروط الأمان والهدوء والسلم الاجتماعي للمواطن المعمر المحتل. لقد أعادت ثلاث ساعات من المقاومة في عملية طوفان الأقصىٰ المسألة اليهودية ثلاثة قرون إلىٰ التاريخ، فألقت من جديد عبء المسألة اليهودية علىٰ الغرب وذكرته بذنبه التاريخي الحضاري في حق اليهود الذي كان تاريخ الغرب معهم الطرد والتعذيب والتهجير حتىٰ تخلصوا منهم بوعد بلفور، لقد كشف طوفان الأقصىٰ فشل الحل الأوروبي الفظيع للمسألة اليهودية عندما منحوا الشعب اليهودي ما لا يملكون وجعلوا منه فريسة للصهيونية الإحلالية تحت شعار مزيف عنوانه «شعب بلا أرض لأرض بلا شعب»، ثلاثة ساعات كانت كفيلة لإسقاط هذا الشعار عندما هب أصحاب الأرض في عملية خاطفة مبهرة يقولون إننا أصحاب الأرض، ولا يمكن للعالم ولأوروبا أن تقضي علىٰ القضية الفلسطينية بمشاريع الاستسلام والتطبيع مهما كلفهم من ثمن، وهي قضية لا تنتهي بالتقادم ولن تموت في ضمائر الأحرار. لقد أبان المشروع الصهيوني عن فشله في إخضاع الشعب الفلسطيني وتركيعه، لم تمر سنة إلا وانتفض وقاوم وثار ولن يكل أو يمل مهما طاله من تنكيل ومعاناة وسجون، ولمثل هذا الصمود علقت صحيفة هآرتس «إننا نواجه أصعب شعب في العالم» . وها هو«المارد» الفلسطيني المقاوم يفرض برنامجه علىٰ العالم من جديد».

ثالثا: سقوط (الاستيطان) ولعنة الشتات من جديد

إن من نتائج فقدان الكيان لشرط الأمان يحيلنا إلىٰ الأفق الاستراتيجي وهو حالة الهجرة المعاكسة التي أصبحت واقعا في مجتمع الاحتلال وهي مؤشرات علىٰ حالة جديدة لها تبعات استراتيجية علىٰ مستقبل الكيان، فنزيف الهجرة العكسية أصبح يهدد كيان إسرائيل إلىٰ بالتصدع والسقوط في الفراغ، فلم تعد أرض بلا شعب وإنما

أرض بلا أمن، فلا شيء بات يدعو للبقاء، والأخطر من ذلك علىٰ الكيان أنه لم يعد أحد يرغب في العودة إلىٰ أرض الميعاد، ولم تعد آلة الدعاية قادرة علىٰ استقطاب مواطنين يهود جدد. إن الوضع الجديد الذي بدأ يتشكل في وعي مجتمع الاحتلال هو الرغبة في العودة إلىٰ الأوطان الاصلية أو إلىٰ المناطق الآمنة في أوروبا والولايات المتحدة. إننا الآن أمام وضعية هجرة معكوسة عنوانها اليوم هجرة مئات الألاف من المستوطنين وإجلاء عدد كبير من البلدات والمستوطنات والقرىٰ الصهيونية، وهي تذكرنا بموجة الهجرة اليهودية الجماعية إلىٰ فلسطين في ثلاثينات القرن الماضي، لما قدم عدد كبير من الشعب اليهودي ومن المضطهدين منهم من الدول الأوروبية الشرقية والغربية والمطرودين من جحيم أوروبا الحالمين بأرض الميعاد وجنة الهيكل المزعوم عبر بواخر ممتلئة من يهود شتات العالم. يقول النشيد الوطني لإسرائيل المسمىٰ بـ «الأمل» «إن أفئدة اليهود تخفق وأعينهم ترنو إلىٰ الشرق، إلىٰ صهيون» -أي القدس- أما اليوم وبعد السابع من أكتوبر فإن الزحام علىٰ مطار الاحتلال وتوقفه عن العمل تحت قصف المقاومة حول الهجرة العكسية إلىٰ استعمال اليخوت والفرار إلىٰ جزيرة قربص. فقد ارتفعت أخيرا بمناسبة طوفان الأقصىٰ نسبة طلبات الإسرائيليين الحصول علىٰ جنسية بلدان أخرىٰ خاصة الأوروبية مثل: البرتغال بنسبة ٦٨٪، فرنسا بنسبة ١٣٪، ألمانيا بنسبة ١٠٪، وبولندا بنسبة ١٠٪(١). إنه نفس المشهد من قول الله «جئنا بكم لفيفا» علىٰ سفن وبواخر خارجين من الأرض الموعودة إلىٰ بلاء التيه من جديد، ولكنهم علىٰ اليخوت إلىٰ قبرص وغيرها بسبب غلق المطارات غير الآمنة يجرون وراءهم لعنة الوطن اليهودي المزعوم ولعنة العقد الثامن، وهي لعنة أكدها إيهود باراك قائلا: «علىٰ مدىٰ التاريخ اليهودي، لم يحكم اليهود أكثر من ثمانين عاما، إلا في مملكة داود وسلالة الحشمونائيم وفي كلتا الفترتين بدأ تفككهم في العقد الثامن» وهو ربما يستحضر في ذلك جميع تجارب الدول الإحلالية الاستعمارية التي صار مآلها الزوال. لقد حقق طوفان الأقصىٰ انتصارا استراتيجيا علىٰ إسرائيل

(١) موقع أخبار تأشيرة شنغن الأوربي. https: //www. schengenvisas. com/ar

في معركة الحرب الديمغرافية حيث ربط مؤسسو بقاء كيان إسرائيل بنجاح الهجرة إليه المعادلة التي قلبتها عصا - موسىٰ - الطوفان رأسا علىٰ عقب علىٰ أحفاد بني إسرائيل. بحيث أصبحت ظاهرة الهجرة المعاكسة تمثل خطرا وجوديا علىٰ الاحتلال الذي يقوم بالأساس علىٰ سياسة الاستيطان الإحلالي والتهويد القسري.

ثالثا: سقوط جدار وهن العقل العربي

يمثل يوم السابع أكتوبر بداية صفحة جديدة في تاريخ الصراع العربي الصهيوني، فهو يُعدّ مرحلة انتقالية ومنعطفا استراتيجيا قويا في تاريخ الصراع، فلأول مرة تتنقل المعركة علىٰ أراضي الاحتلال وفي عمقها، يمكن القول إنها مرحلة نهاية زمن الهزائم العربية وبداية زمن الانتصارات، ولم يحصل في الماضي العسكري للصراع العربي أن توغلت الجيوش العربية في تراب فلسطين المحتلة، فهي لم تقدر إلا علىٰ استرجاع أراضي خسرتها في حرب ٦٧، وكانت أغلبها نتيجة معاهدة سلام، فلم تكن المعارك إلا علىٰ تخوم الحدود العربية الفلسطينية. لقد سيطرت المقاومة في يوم طوفان الأقصىٰ يوم السابع أكتوبر وفي ظرف ساعات قليلة علىٰ عدد من المواقع العسكريّة الحساسة، منها مقر قيادة «فرقة غزة» التي تتبع جيش الاحتلال ومقر الموساد المحلي وبه عديد المعطيات والبيانات السرية الخطيرة، كما احتلت عددا كبيرا من المستوطنات خلال بضع ساعات بعد أن خاضت اشتباكاتٍ بطولية عنيفة عادت منها إلىٰ غزة بعدد من الأسرىٰ جنودا منهم ضباط برتب سامية فيهم أربعة عمداء وقائد منطقة وبعدد من المستوطنين، كما غنمت مجموعة من الآليّات العسكريّة. حصل كل ذلك بشكل مفاجئ وغير متوقّع لأجهزة الاحتلال الاستخباراتيّة.

إن عملية التوغل العسكري التي قامت بها فصائل المقاومة في عمق الأراضي المحتلة لم تكن معركة عسكرية تقليدية بسيطة تم نجاحها بفعل عامل المباغتة، بل لها بعد استراتيجي مهم لا بد من التوقف عنده والانتباه إليه لأنه يفتح أفقًا جديداً للمقاومة حيث إن نجاح العملية هو انتصار قلة من الشباب، يعيش علىٰ أفقر رقعة في

الأرض، مستوىٰ مجتمعها التعليمي والأكاديمي لا يختلف عن مستوىٰ مجتمعات البلدان العربية علىٰ أعتىٰ أجهزة المخابرات في العالم التي تملك أرقىٰ منتجات العقل الغربي في ميدان التكنولوجيا والصناعات الحربية للرصد والتجسس والقدرات الهائلة للأقمار الصناعة الأحدث في العالم وامتلاك جيش الاحتلال أحدث التطورات العلمية والنظريات الفيزيائية والخوارزميات المعلوماتية المتطورة الأقدر علىٰ التحسس والاستشعار عن بعد، لقد أثبتت عملية طوفان الأقصىٰ قدرة العقل العربي الفلسطيني المقاوم علىٰ تجاوز القدرات العلمية والبحثية التي صرفت فيها الأموال الطائلة والجوائز المبهرة علىٰ مدىٰ سنوات التمدن الحضاري الغربي، وهذه الحقيقة خطيرة لأنها تنبه إلىٰ سرعة لحاق العقل العربي بالعقل الغربي رغم اختلاف الإمكانات والفرص وشروط المعرفة وتخلف المناهج في الوطن العربي، وهو ما يسمح بردم هوة القدرات العسكرية بين المقاومة والاحتلال، وتحقيق توازن الرعب في القريب العاجل، وهو ما ينبه أيضا الشعوب العربية علىٰ إمكانية اكتشاف هذه القدرات الهائلة للعقل العربي لو سمح له بحرية الابداع وآمن بقدراته التي فقدها بفعل هيمنة الآلة التعبوية المضادة علىٰ الشخصية العربية من خلال هرسلته نفسيا وإقناعه بالعجز وقطعه عن تراثه ومكنوز حضارته العربية الإسلامية المبدعة اختراعا واكتشافا.

ومن أهم الحقائق التي يعاينها علىٰ المستوىٰ السياسي المتتبع لمسيرة حركة حماس في غزة وكل فصائل المقاومة هو التحام القيادة مع شعبها، هذه المعادلة التي سمحت للمقاومة بالإقدام علىٰ عملية طوفان الأقصىٰ وهي لم تكن لتقوم بالعملية لولا يقينها في انسجام قيادتها مع شعبها، وتعلم أن الشعب الفلسطيني مستعد لدفع الثمن مقابل أي خطوة نحو التحرير والدفاع عن الأقصىٰ والقدس، وهذا ما يلمسه الرأي العام العربي والعالمي في عضوية سكان غزة في المقاومة كل من موقعه وبكل المستويات، فلم يكن هذا الالتحام من فراغ، بل هو نتيجة قناعة جماعية بالخيار العسكري، وهو نتيجة تهيئة نفسية طويلة المدىٰ، وتربية روحية عميقة واستشارات أفقية وعمودية بين المجتمع الغزاوي بأصنافه وتضاريسه المتنوعة شبابا وكهولا نساء

ورجالا جامعيين وكوادر وبين القيادات السياسية لمختلف الفصائل وهو ما أنتج شرطا أساسيا لنجاح العملية العسكرية الإعجازية وهو ثقة الجماهير الحقيقية الشفافة في القيادة العسكرية والسياسية.

هذه الحقيقة ترمي بظلالها علىٰ واقع الأمة العربية والإسلامية، وتلقي بملف الديمقراطية والحريات وسر التحام الجماهير مع قيادتها ونزاهة التمثيل الشعبي الصادق في مربع النخب الفكرية والسياسية العربية والإسلامية، وتجعل من هذا الملف شرطا جوهريا في نجاح كل مشاريع الأمة الإسلامية بتنوع الأعراق والقوميات في كل بلدان المشرق والمغرب من المحيط إلىٰ المحيط، إن الدرس الاستراتيجي من هذه الحقيقة هو أن معركة التحرير العربية والإسلامية وهدف الاستئناف الحضاري العربي لا يمكن أن يتم دون تصالح الشعوب معارضة وحكما مع بعضها، وإن معركة الحرية لا تتجزأ بين التحرر من الاستعمار والتحرر من الاستبداد، إذ إن المواطن لا يمكن أن يبدع ويحرر وطنه طالما هو فرد يعيش القمع والتهميش في الداخل الوطني. لقد جاءت عملية الطوفان لتعلم الشعوب والحكام ارتباط القضايا التحررية بالقضايا الوطنية تنمية وحضارة.

المطلب الثاني: في تداعي سُنة «الحبل من الناس»

إن القضية الفلسطينية هي بالأساس قضية رأي عام وهي معركة سرديات، كل المعارك السياسية والعسكرية تنتصر عندما تنتصر الحقيقة التي ترويها وتفرض رؤيتها للوقائع والأحداث، وقد حرص كيان الاحتلال علىٰ رسم صورة ضحية الهولوكوست واستثمار الطرد الأوروبي الغربي للحصول علىٰ أرض فلسطين بالقول إنها أرضهم التاريخية، وإنها أرض الميعاد لأنها أرض الأجداد والأرض المقدسة، وقد طور الكيان المحتل صناعة الرأي العام من خلال الإمساك بقبضة حديدية علىٰ وسائل الإعلام العالمية، وإحداث قنوات تواصل إعلامية وصحافة موالية وخلق سينما وشركات إنتاج الصورة والخطاب التي تخدم المشروع الصهيوني وسردية الاحتلال، وعملت

علىٰ تكوين مراكز دراسات للتغلغل في عمق الوعي العالمي بحق احتلال الأرض والحق في الدفاع عن النفس باعتباره صاحب حق، لقد نجحت -الدياسبورا - الآلة الدعائية الصهيونية في خلق رأي عام عالمي لصالح الكيان الغاصب بقوة الكذب وقوة الإكراه وقوة الترهيب، علىٰ أن ما حصل بعد السابع من أكتوبر خلق ميزان قوىٰ جديدة في الرأي العام العالمي لفائدة القضية الفلسطينية ودعم عدالة قضية الشعب الفلسطيني، وبدأ انهيار سردية الاحتلال وتبني السردية الفلسطينية، لقد أعادت عملية طوفان الأقصىٰ القضية الفلسطينية إلىٰ واجهة الساحة الدولية والتذكير بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، و ارتفعت أعداد المظاهرات الشعبية والاحتجاجات الغربية الداعمة والمساندة لفلسطين واعتبار ما يقوم به شعبها من مقاومة وصمود هي معركة تحرير من احتلال بدأ يأخذ شبه الأبرتايد في جنوب إفريقيا، وخاصة بعد تجاوز جرائم الاحتلال المشاعر الإنسانية من وحشية وجبروت ذهب ضحيته النساء والأطفال وتجاوزها القانون الدولي الإنساني، بذلك بدأت تسقط سردية الاحتلال وتتفوق السردية الجديدة المعززة للرواية الفلسطينية والرافضة لرواية الاحتلال التي بدأت ترفعها أصوات الشعوب الغربية خاصة، وعدد كبير من الشخصيات السياسية والإعلامية وصناع الرأي علىٰ المستوىٰ الدولي. إن مستقبل القضية الفلسطينية أصبح أكثر وضوحا لدىٰ الرأي العام الدولي، وهو الحرية لفلسطين، وقد كشف طوفان الأقصىٰ أيضا ومن جانب آخر زيف الكيان الصهيوني كرائد للمشروع الغربي الحضاري ضدَّ المشروع الإسلامي في الشرق، حيث فضح الطوفان الانهيار الأخلاقي للمنظومة الغربية وإفلاسها القيمي عندما داست علىٰ كل حقوق الإنسان وكل القيم الدولية المشتركة، وأبانت عن عنصرية ونفاق، وفضحت سياسة الكيل بمكيالين خاصة إذا ما تم مقارنة المواقف الغربية بين ما يحدث في أوكرانيا وما يحدث في غزة، حيث وصفوا المقاومة ومعركة التحرير بالإرهاب. كما عرّت عملية طوفان الأقصىٰ الانحياز المفرط والعلني المباشر للولايات المتحدة مع كيان الاحتلال إذ لم تمر بعض الأيام حتىٰ حرك الجيش الأمريكي حاملة الطائرات جيرالد فورد نحو الشرق

الأوسط وعلىٰ مقربة من كيان الاحتلال لـ «إظهار دعم واشنطن». ولا يقل تحريك البارجة البحرية الأمريكية عن تجيير المنظمات الدولية لصالح كيان الاحتلال وإحكام الحصار علىٰ غزة، وما موقف الأمين العام للأمم المتحدة وغضب كيان الاحتلال عليه إلا دليل علىٰ ذلك، لقد تشقق جدار الحداثة السياسية ومنظومة حقوق الإنسان وهو يتجه نحو الانهيار القريب بعد السابع من أكتوبر، والمقصود بالحداثة السياسية هنا مقولات المنتظم الدولي في خصوص حقوق الإنسان وحق الشعوب في تقرير مصيرها، وحماية المدنيين في أوقات الأزمات وزمن الحروب، وحياد المنظمات الدولية، لقد أسقط طوفان الأقصىٰ كل أقنعة الغرب المتستر بمقولات الحداثة التي لم تمنعه في السابق والحاضر من إلقاء القنابل النووية وقتل النساء والأطفال وتدمير القرىٰ ودك المدن بسكانها وقتل الملايين في حربين عالميتين، لقد بات اليوم الرأي العالمي يشعر بأن قضية فلسطين ليست قضية محلية بل هي معركة العالم الذي يريد أن يتحرر من سطوة الصهيونية لأن في تحرير فلسطين خطوة أولىٰ في تحرير العالم من سيطرة الصهيونية الإرهابية والرأسمالية الربوية المتوحشة الرابضة علىٰ رقاب الفقراء والمستضعفين المهيمنين علىٰ كل نفس حر في العالم، لقد أصبح شعار المقاومة شعارا عالميا وأصبحت الكوفية رمزا لمعركة عالمية حضارية كبرىٰ واستراتيجية هي التحرر من النظام العالمي الراهن الذي لم يعد سبيلا لتحرر الشعوب وتحقيق السلام والعدالة العالمين.

الفقرة الثالثة: عودة الخلافة الراشدة وعاصمتها القدس

أولا: في شرط الانعتاق من النظام العالمي الراهن

لقد تعرضت الإنسانية إلىٰ أكبر خديعة عبر التاريخ، عندما تشكل ما يسمىٰ بالنظام العالمي الجديد، لما عبر عن حلم الإنسانية في السلم والأمن، حيث كانت نتائج الأوضاع الدولية مخالفة تماما لما دعت إليه ست عشرة دولة من دول حلف الأطلنطي - حلف الناتو سنة ١٩٤٩م - مع ست دول تشكل حلف وارسو واثنتي

عشرة دولة أوربية محايدة وكندا تترأسهم الولايات المتحدة بتوقيعها علىٰ ميثاق الأمن والتعاون الأوربي سنة ١٩٩٠، فلقد خيبت أمال الشعوب وخاصة الضعيفة لما كان المشهد الدولي بعد وقت قصير جدا معاكسا لأهداف هذا النظام العالمي الجديد ودعاويه من منع حل النزاعات باستعمال القوة أو بالتهديد بها وإنما حلها بالمفاوضات وبالوسائل السلمية، والحؤول دون سباق التسلح والتزام الأعضاء الحلف بالديمقراطية وسيادة القانون واحترام حقوق الإنسان، وظهر أن هذا النظام العالمي الراهن ليس إلا امتدادا وتكرارا لنموذج الحلف الأوروبي علىٰ نطاق عالمي، وقد كان هدف الكيانات الأوروبية تاريخيا نهب ثروات مستعمراتها ومواردها لصالح شعوبها ونهضتها الصناعية، فكيف تصبح الهند من أفقر دول العالم لولا الاستعمار البريطاني، إن تجربة عصبة الأمم وسرديات قيم الحداثة الغربية وفلسفتها الأخلاقية أسقطتها الحروب العالمية الأوروبية بالأساس، كما أسقطت حرب الإبادة الجماعية علىٰ غزة منظمة الأمم المتحدة وأغراضها وقيمها وكشفت زيف النظام العالمي الجديد المهيمن علىٰ الشعوب.

إن من مظاهر النظام العالمي الجديد الهيمنة علىٰ المنظمات الدولية وتغليب المصالح الذاتية والضيقة علىٰ حساب المبادئ والأغراض الإنسانية، والانحياز إلىٰ الدول القوية باسم التضامن بينها واستعمالها في الانقضاض علىٰ دول، والتمييز بين الدول علىٰ أساس الولاء والانخراط في المنظومة الثقافية للدول المهيمنة، وفرض نموذج محلي استعماري علىٰ العالم وإلغاء الآخر، ويلخص السرجاني الصورة التي آل إليها العالم في ظل النظام العالمي المهيمن متسائلا: «إلىٰ أين أنتم متجهون؟! إن العالم يسير بخطىٰ حثيثة نحو عدة كوارث كونية تكفي الواحدة منها إلىٰ إفناء النوع البشري.. وأكثر من ذلك فإن العالم في الحقيقة فَقَدَ «سعادته»! إن هناك حالة من التوتر والاحتقان والقلق والغضب أصابت كل بقاع العالم تقريبا.. تفشىٰ الظلم والقهر، وظهر الفساد في البر والبحر، وصار الناس شيعا وأحزابـًا يضرب بعضهم رقاب بعض...» (١)

(١) راغب السرجاني، المشترك الانساني نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط١، ٢٠١١م، ص ٦.

حان الوقت لزوال هذا النظام المهيمن المنحاز إلىٰ فلسفة هيمنة الرجل الأبيض وفلسفة الإلحاق الحضاري وديان الصهيونية الجديدة، النابعة من المركزية الأوروبية التي تعتبر الخير في تجربتها الحضارية فقط التي وجب فرضها علىٰ كل الشعوب وتلقينها الحضارة، لأنها مقياس التحضر والتمدن، ولها حق الوصاية علىٰ كل الأمم. إن العالم في حاجة ماسة في هذا الوقت إلىٰ حركة تحررية ثقافية فكرية برؤية حضارية لتحرير الإنسانية من هيمنة الحضارة الغربية بخلفيتها الفلسفية «التي تحصر الحياة الإنسانية في هذه الحياة الراهنة، وتنفي أن يكون لها امتداد بشكل آخر بعد الموت أو لا تأبه بذلك كثيرا، وهي بالتالي تعتبر وجوه الملذات الإنسانية منحصرة فيها، منتهية بانتهائها، فهي إذن الغُنم الأكبر الذي إن فات فات كل شيء» (١).

أصبح من المسؤولية الإنسانية أن يجتمع الناس علىٰ التخلص من ترسبات الماضي والنظرة العدوانية بين نحن والآخر والتي أصبحت بمقتضاها نظرية صدام الحضارات شبه حتمية في المعقول الحضاري الدولي بفعل بعض التصورات الاستشراقية البغيضة وبفعل الضخ الإعلامي الصهيوني الحقود، حيث تم تكريس فكرة الإسلام عدو الغرب، وازداد تعميق نظرية الحرب الموعودة» هرمجدون «بين المسلمين والغرب – المسيحي واليهودي- وهي وعد تاريخي وحتمي لا مفر منه، فأصبحت المكائد تحاك لتوفير مناخ النزاع وزرع فتيل الصدام وإذكاء روح الحرب بين الحضارات وصناعة الإسلاموفوبيا أو الخوف والترهيب من الإسلام ذلك الغول القادم إلىٰ الغرب، حيث المستفيد الوحيد من هذه المعارك هم الصهاينة، الذين يحاربون من وراء جدر بالفتن والمؤامرات. إن أول معركة وجب أن تخوضها الإنسانية من خلال المنظمات الدولية هي تحرير العالم من براثن الصهيونية، التي تغلغلت في مواطن عديدة من عواصم العالم الغربي، وتمكنت من توجيه القرارات فيها لصالح الصهاينة، وأشعلت الحروب والنيران في مناطق مختلفة من العالم، مصداقا لقوله: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا

(١) عبد المجيد النجار، مراجعات في الفكر الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١، ٢٠٠٨م، ص ٢٨٣.

اللهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

ثانيا: عودة الخلافة الإسلامية الراشدة وعاصمتها القدس

إن النتيجة الطبيعية لصراع الإنسانية ضد الصهيونية هي أفولها وزوالها، وإن من تبعات ذلك أفول النظام العالمي الصهيوني، وانتهاء التاريخ الإجرامي لكيان بني إسرائيل، والانتهاء من كل أشكال الحكم العضوض في بلدان العالم الإسلامي. يقول رسول الله ﷺ: «تكونُ النُّبُوَّةُ فيكم ما شاء اللهُ أن تكونَ، ثم يَرْفَعُها اللهُ – تعالىٰ –، ثم تكونُ خلافةٌ علىٰ مِنهاجِ النُّبُوَّةِ ما شاء اللهُ أن تكونَ، ثم يَرْفَعُها اللهُ – تعالىٰ –، ثم تكونُ مُلْكًا عاضًّا، فتكونُ ما شاء اللهُ أن تكونَ، ثم يَرْفَعُها اللهُ – تعالىٰ –، ثم تكونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً فيكونُ ما شاء اللهُ أن يكونَ، ثم يَرْفَعُها اللهُ تعالىٰ، ثم تكونُ خلافةً علىٰ مِنهاجِ نُبُوَّةٍ. ثم سكت»(١)، وإن أول استنتاج يتبادر إلىٰ الذهن من هذا الحديث الشريف أن الخلافة الراشدة ستكون خاتمة كل أشكال أنظمة الحكم التي وردت في الحديث، وأن نهاية تاريخ العمران البشري بالنسبة للمسلمين علىٰ الأقل سيكون خلافة علىٰ منهاج النبوة كما كانت التجربة التأسيسية الأولىٰ للخلافة الإسلامية بعد النبوة مباشرة. والاستنتاج الثاني البديهي أنها ستكون بعد الملك الجبري أي الملك الذي تغيب فيه الحريات وتجبر فيه الشعوب علىٰ الطاعة كرها وجبرا، وتتعسف فيه الملوك علىٰ شعوبها قهرا واستبدادا، وتكون كل أنظمة الحكم علىٰ صفة الملك ولو لم يكن مسماها كذلك، فهي كلها يجمعها الجبر والغلبة وتنتفي فيه سلطة الإنسان وإرادته، قال ابن الأثير: ثم يكون مُلك وجَبَرُوت، أي عُتُوّ وقَهْر. يقال: جَبَّار بَيّن الجَبَرُوّة، والجَبريَّة، والْجَبَرُوت»(٢). وإن المتصفح الحصيف في حال الأمة يدرك الإعجاز في الحديث النبوي وحقيقة مبناه ومعناه، علىٰ أن هذا الأمر يحتاج إلىٰ اكتمال صورة تحقق الخلافة بالعلم بتوقيتها بعد العلم بمكانها وهو بيت المقدس، وفي هذا المسألة يتعين الرجوع إلىٰ حديث ثان

(١) رواه الإمام أحمد عن النعمان بن بشير، مسند أحمد بن حنبل، (٣٠/ ٣٥٥)

(٢) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ٣/ ٢٥٣.

يعضد الأول بالإشارة إلىٰ لحظة التحول من الحكم الجبري إلىٰ الخلافة الراشدة، وهي بالتأكيد لن تكون إلا لحظة تاريخية كبيرة تحدث رجة عملاقة في موازين القوىٰ العالمية بما يطيح بالنظام العالمي القائم علىٰ الظلم والاستكبار والتوحش وهو حال العالم الآن، جاء في الحديث عن ابْن زُغْبٍ الْإِيَادِيِّ قَالَ: نَزَلَ عَلَيَّ عَبْدُ اللهِ بْنُ حَوَالَةَ الْأَزْدِيُّ رضي الله عنه، فَقَالَ لِي: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَغْنَمَ عَلَىٰ أَقْدَامِنَا فَرَجَعْنَا، فَلَمْ نَغْنَمْ شَيْئًا، وَعَرَفَ الْجَهْدَ فِي وُجُوهِنَا فَقَامَ فِينَا، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَكِلْهُمْ إِلَيَّ، فَأَضْعُفَ عَنْهُمْ، وَلَا تَكِلْهُمْ إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَيَعْجِزُوا عَنْهَا، وَلَا تَكِلْهُمْ إِلَىٰ النَّاسِ فَيَسْتَأْثِرُوا عَلَيْهِمْ» ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَىٰ رَأْسِي، أَوْ قَالَ: عَلَىٰ هَامَتِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا ابْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتْ أَرْضَ الْمُقَدَّسَةِ فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَابِلُ وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنَ النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ» (١). يشرح عمر حماد الحديث بالقول: «والدليل علىٰ أن المراد بالحديث خلافة مقرها فلسطين وعاصمتها القدس؛ أن القرآن الكريم وصف فلسطين بالأرض المقدسة، فقال علىٰ لسان موسىٰ عليه السلام ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٢١]، والمعروف أن الأرض التي رفضوا دخولها هي فلسطين، وأن يوشع بن نون خليفة موسىٰ عندما بدأ تنفيذ أمر موسىٰ كان ذلك بدخوله أرض فلسطين، وبلاد الشام إنما تأخذ قدسيتها من كونها محيطة بالمسجد الأقصىٰ، وقال تعالىٰ: ﴿سُبْحَانَ الذي أسرىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ الذي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١] فالبركة مقرها المسجد الأقصىٰ، وكل ما قرب منه فهو أكثر قدسية، ولذلك حملنا الحديث علىٰ أن المراد به خلافة تكون عاصمتها القدس، وقاعدتها أرض فلسطين، ومثل هذا لم يحدث من قبل(٢).

إن جمع الحديثين السابقين ودمج معْنييْهما يسمح لنا بأن نحدد توقيت الخلافة المقدسية القادمة والتي برأينا ستكون مباشرة بعد تحرير القدس، فالعودة للخلافة

(١) رواه أبو داود في سننه، تحت رقم: ٢٥٣٥.

(٢) عمر حماد، الجمعة ٣/ ١١/ ٢٠٢٣م، موقع هيئة علماء فلسطين، https: //palscholars.org/?p=١٨٢٩٠.

الإسلامية ستكون قريبة جدا من معركة طوفان الأقصىٰ، لذلك يمكن القول إن معركة طوفان الأقصىٰ هي بداية التحقيب لمرحلة الخلافة المقدسية لأنها تضعنا أمام عتبة اللحظة التاريخية أي لحظة التحرير بمعناه الواسع أي التحرر من أوضاع الاستبداد في العالم الإسلامي ووضع الاحتلال لوقف الأمة أرض فلسطين، وإننا ندرك اليوم أكثر من أي وقت أن معركة طوفان الأقصىٰ تفتح لنا أبواب الرجوع إلىٰ سدة الحضارة والاستئناف الريادي للأمم والشهادة علىٰ الناس، حيث كسرت الحتمية المعتبرة عند الغرب، وهي مقولة انتهاء الحضارة أو تفوق الحضارة الرأسمالية في ما يُعدّ صراعا للحضارات، كما أن طوفان الأقصىٰ دلنا علىٰ طريق تغيير النفس وتحويل حالة الوهن التي أصابت الأمة الإسلامية إلىٰ قوة محركة للنهضة الإسلامية العالمية وهو الجهاد، يقول عماد الدين خليل: «إن الذي يفرق الموقف الإسلامي ويميزه اذن، هو أنه يطرح ازاء مسألة سقوط الدول والتجارب والحضارات، ما يمكن تسميته (الحتمية التفاؤلية) إذ يقرر إمكانية أية أمة أو جماعة أن تعود باستمرار لكي تنشىء دولة أخرىٰ، أو تمارس تجربة جديدة، أو تتولىٰ زمام القيادة الحضارية والعقائدية، بمجرد أن تستكمل الشروط اللازمة لذلك، وأولها عملية (للتغيير الداخلي) التي أكد القرآن علىٰ حدها الايجابي بقوله: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حتىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]»(١) ثم إن طوفان الأقصىٰ استرجع قيمة مفتاحية وشرطاً أساسياً لاستعادة المجد والخيرية وهي الجهاد يقول عماد الدين خليل مبينا أهمية التحرر أولا من معادلة الوهن ثم استعادة سلاح نهضة الأمة: «وحينما افتقدت هذه الروح الجهادية وطُمس عليها في مجتمع فقد مبرر وجوده، وتمزقت وحدته، وتباطأت اندفاعيته العقائدية، واضمحلت منجزاته الحضارية، وتقلص دوره في العالم، وآل أمره إلىٰ التدهور والسقوط.. وان تاريخنا المعاصر ليقدم لنا عشرات الأمثلة التطبيقية علىٰ صدق هذه المعادلة لقد كان أبو بكر – مرة أخرىٰ –... واضح الرؤية عندما قال مخاطباً منتخبيه وأنه ما ترك قوم الجهاد قط إلا عمهم الله بالبلاء». (٢) وفي سياق هذه البشرىٰ بسنة الله بالتمكين

(١) عماد الدين خليل، التفسير القرآني للتاريخ، ص ٢٦١.

(٢) نفسه، ص ٢٩٢.

للمسلمين والعودة بهم إلىٰ الخيرية والشهود الحضاري وراء الخلافة المقدسية يعلق عمر حماد قائلا: يجب أن يلهج الناس بحفظه – الحديث - وترديده، ومما يجب أن يعملوا لأن يكونوا من جند الخلافة الإسلامية الراشدة التي تكون في بيت المقدس بعون الله تعالىٰ، ومن بعد زوال دولة اليهود القائمة الآن، وقبل نزول المسيح عليه السلام. (١) قد يظن البعض أننا نمارس الطمأنة النفسية والتفاؤل العريض أو تنفيس المنهزم أو دعاية حرب ١٩٦٧، ولكن يخبرنا بابيه المفكر اليهودي في مقدمة مقالته بحقيقة مخالفة لهذا الظن الذي يبخس حق طوفان الأقصىٰ يقول: سأزعم هنا أن هذه الأمور صارت أكثر وضوحًا، من أي وقت مضىٰ في حالة إسرائيل نشهد الآن عملية تاريخية–أو بشكل أكثر دقة، بدايات عملية تاريخية ـ من المُرجح أن تبلغ ذروتها بسقوط الصهيونية. وإذا كان تشخيصي صحيحًا، فهذا يعني أننا ندخل أيضًا في ظرفٍ بالغ الخطورة. وبمجرد أن تُدرك إسرائيل حجم الأزمة، فسوف تُطلق العنان لِقوّة شرسة وغير مُقيدة في محاولة لاحتوائها، كما فعل نظام الفصل العنصري في جنوب افريقيا خلال أيامه الأخيرة (٢). ويزيد الله تثبيتا لقلوب المؤمنين بأن جعل للظالمين أجلاً لا يستقدمونه ولا يستأخرونه، ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨]، يقول عماد الدين خليل: « يظنون أنهم غدوا بمنأىٰ عن عقاب الله، وانه لا تدهور ولا سقوط.. ويتطرف بعضهم الآخر فيستعجل المصير قبل تحققه علىٰ سبيل التحدي والاستفزاز.. إلا أن هؤلاء وهؤلاء لم يدروا ان كتابهم لم يبلغ أجله، وأنه إذا جاء فليس لهم إلا أن يعانقوا مصائرهم التي صاغوها بأيديهم سلفًا، والتي مُد في أجلها لكي يزيدوها بممارساتهم السافلة، بلورة ووضوحًا وانطباقًا علىٰ هذه الممارسات» (٣).

---

(١) عمر حماد، الجمعة ٣/ ١١/ ٢٠٢٣م، موقع هيئة علماء فلسطين، https: //palscholars.org/?p=١٨٢٩٠.

(٢) المقال مقتبس من صحيفة الرأي للكاتب إيلان بابيه نُشرت في موقع «Sidecar» يوم ٢١ حزيران ٢٠٢٤، ترجمها أنس أبو سمحان لموقع عرب ٤٨.

(٣) عماد الدين خليل، التفسير القرآني للتاريخ، ص ٢٥٧

الخاتمة:

إن سنن الله في الكون كما هي في الحياة الاجتماعية إنما هي اختصار لتاريخ البشرية وهي تخطيط رباني لمسار اجتماع العمران البشري، ففهمنا لسنن الله في خلقه طبيعة وبشرا، خلقا للسموات والأرض والإنسان يسمح لنا بمعرفة السيرورة التاريخية وكنه الحياة البشرية بأسرارها ومقاصدها، فتبوح الحياة الإنسانية بأسرارها لأنها لا تيسير إلا وفق حدود وقانون صارم وثابت ومطرد لا ينفك، هي سنن الله، ومن يكتشفها، يفتح له الله أبواب النجاة ويغدق عليه أنهار الرزق وأسباب الرفاه والسعادة وينعم عليه بالتمكين والنصر والعز، فما يقع في العالم لا يجري علىٰ وجه الصدفة والعبث، ولقد أتت السنن الإلهية فيما أتت به الإيمان بالخالق البديع، والمصور البصير، والعليم الحكيم، وإن من حكمة الله أن ينثر بين يدي المؤمنين أسرار خلقه وقوانين ملكه لعل من يتبصر من عباده بها يقتحم عقبات الابتلاء وامتحانات الوجود ببصيرة المؤمن، فيتحول وجوده إلىٰ شهادة علىٰ الناس وإصلاحٍ لحال الأمة، فيعز به الله قومه، وتدرك به أمته النصر والخيرية.

لقد رأينا في معركة طوفان الأقصىٰ تجليات البصيرة بسنن الله، لما استخلص عباد الله المجاهدون شروط النصر، بالاستعداد للمعركة وتوفير أسباب توازن الرعب بهدم جدران الأعداء المادية والمعنوية وبما كسروا حتمية الوهن والخذلان والخوف من الدنيا بالرجوع إلىٰ قاعدة العقيدة الصادقة الصافية ومعادلة الجهاد بإخلاص وصبر مقابل النصر والتمكين. وإن سبر أغوار الآيات القرآنية هو جزء حتمي من أسلحة المعركة، لقد مكننا القرآن الكريم من خلال استكشاف طبائع العدو واستنباط السنن الإلهية الخاصة به، والتي لا تتخلف عنه ثباتا واطرادا من قطع الطريق أمام التفوق التكنولوجي والتطور العسكري باللعب علىٰ خصائص الشعب اليهودي النفسية والاجتماعية، من سنة التحريف والتبديل، وسنة الخوف ولاستكانة والمذلة والهشاشة النفسية والدونية بسبب غضب الله عليهم والصراع من خلف الجدر والاحتماء بالحصون، وسنة العود وجزاء التشتيت والزوال.

إن معركة طوفان الأقصىٰ ليست معركة محلية أو قومية تهم الشعب الفلسطيني لوحده بل إنها تنمي إلىٰ مسار حضاري يهيئ له الله الأمة الإسلامية بأكملها لترتقي مرة أخرىٰ إلىٰ مرتبة الخلافة الراشدة، ولأن معركة طوفان الأقصىٰ هي بوابة الصراع بين الإنسانية وأعدائها، فهي عملية تحرر جماعية وبشرية من صداع الصهيونية ونزيف الاستكبار الذي تقودها منظومة عالمية لا تبشر إلا بالخراب والفساد، وإن الحروب والدمار الذي عاشته الإنسانية ليس وراءه إلا مكائد الصهيونية، فإنها شيطان الإنسانية وإبليس البشرية وعدوها، بما وسوست به للأمم من انحرافات عن الفطرة، وتخيلات عن الحق، كما إبليس هو عدو الإنسان في مسيرته الفردية، فهي من أسباب قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠]. وإن أفراد الأمة المسلمين لن يتغير واقعهم إذا ما ظاهروا طوفان الأقصىٰ ولم يستأنسوا به كشرط لسنة التغيير، ولم يضعوا طوفان الأقصىٰ نقطة انطلاق مسيرة الاستئناف الحضاري نحو عودة الخلافة المقدسية الراشدة وعاصمتها القدس.

المصادر والمراجع

- مجد الدين أبو السعادات الشيباني الجزري ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوىٰ – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- الألوسي، شهاب الدين بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية. مجموع الفتاوىٰ، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة – السعودية، ٢٠٠٤م.
- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، النبوات، تحقيق عبد العزيز بن صالح الطويان، نشر أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠٠٠م.
- روجي جارودي، الأصوليات المعاصرة، أسبابها ومظاهرها، تعريب خليل أحمد خليل، دار عام ألفين، باريس، د ت، ٢٠٠٠م.
- الإمام أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد – وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ط١، ٢٠٠١م.
- أبو الطيب محمد صديق خان، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، مراجعة عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٩٩٢م.
- عماد الدين خليل، التفسير القرآني للتاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٥م.
- محمد رشيد بن علي رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

- محمّد مرتضىٰ الحسيني الزَّبيدي تاج العروس من جواهر القاموس، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت -المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، ١٩٦٥-٢٠٠١م.
- عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- محمد بن أحمد بن مصطفىٰ المعروف بأبي زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، د ت، د ط.
- عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، التفسير الكبير، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- أبو داود سليمان الأزدي السِّجِسْتاني، سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، د ت، د ط.
- راغب السرجاني، المشترك الانساني نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط١، ٢٠١١م.
- محمد متولي الشعراوي، الخواطر الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.
- محمد باقر الصدر، صيغ السنن التاريخية، مركز نون للتأليف والترجمة، بيروت. لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.
- محمد باقر الصدر، السنن التاريخية في القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠١١م.
- أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والتراث - مكة المكرمة، د ت، د ن.

- يوسف العاصي إبراهيم الطويل، الحملة الصليبية علىٰ العالم الإسلامي والعالم (الجذور – الممارسة – سبل المواجهة)، صوت القلم العربي، مصر، ط٢، ٢٠١٠م.
- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر – تونس، د ط، ١٩٨٤م.
- أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.
- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشرق، ط٣٢، ٢٠٠٣م.
- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق حكمت بن بشير بن ياسين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع – السعودية، ط١، ١٤٣١هـ.
- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض –السعودية ط٢، ١٩٩٩م.
- القس إكرام لمعي، الاختراق الصهيوني للمسيحية، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣م.
- محمد بن مكرم، جمال الدين ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ
- كمال معطار، نهاية الصهيونية في الآيات القرآنية، الدار المختارة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ٢٠٢٣م.
- عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيوني، دار الشروق، ط١، ١٩٩٩م.
- عبد الوهاب المسيري، مقال نُشر علىٰ صفحات» الجزيرة نت «عام ٢٠٠٦ بعنوان» نهاية إسرائيل.

- أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م.
- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، المسألة اليهودية، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠١٢م.
- عبد المجيد النجار، مراجعات في الفكر الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١، ٢٠٠٨م.
- محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

مواقع

- عمر حماد، الجمعة ٣/ ١١/ ٢٠٢٣م، https: //palscholars. org /?p=18290موقع هيئة علماء فلسطين.
- من هم الإنجيليون ولماذا ضغطوا لنقل السفارة الأميركية إلىٰ القدس؟ موقع المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، ١٧ أفريل ٢٠١٨، https: //www. madarcenter. org/
- موقع «Sidecar» يوم ٢١ حزيران ٢٠٢٤، مقال مقتبس من صحيفة الرأي للكاتب إيلان بابيه نُشرت في ترجمها أنس أبو سمحان لموقع عرب ٤٨.
- موقع أخبار تأشيرة شنغن الأوربي.
- علي محمد الصلابي، صفات اليهود في القرآن الكريم، موقع الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ٢٨/ ٠٩/ ٢٠١٩، https: //iums. me /10241

دَوْرُ العُلَماءِ فِي نُصْرَةِ مَعْرَكَةِ الطُّوفانِ: بَيْنَ الواقِعِ، وَالمَأْمُولِ

د. رمزي غالب كريّم [١]

الملخّص

يتناول البحث دور العلماء في نصرة معركة الطوفان، وهي معركة تاريخيّة محوريّة، تعدّ نقطة تحوّل في صراع طويل الأمد بين الأمّة وقوىٰ الباطل. وفي هذا السياق، فقد قام العلماء بدور بارز بفضل علمهم الذي أنعم الله عليهم به، حيث هم الفرسان والروّاد القادرون علىٰ نشر الوعي من خلال أبحاثهم، وخطاباتهم، وفعالياتهم، بالإضافة إلىٰ جهودهم وجهادهم من أجل تعزيز القيم والمبادئ، وتحفيز الجماهير للنهضة والدفاع عن الحقوق المغتصبة واستعادتها.

ويمتدّ تأثيرهم إلىٰ المجالات جميعها، فقد كتب علماء الأمّة - ولا يزالون - صفحات مشرقة من المجد والانتصار عبر تاريخنا الإسلاميّ. وإنّ الآمال والتطلّعات معقودة عليهم لمواجهة التحدّيات المستقبليّة، فالعلماء هم عصب الثلّة القليلة التي يقوم عليها الأمر، وتقع عليها المؤاخذة، ويتحقّق بها الوعد، وينزل عليها النصر.

Abstract

The research deals with the importance of scientists in a pivotal historical battle known as the Battle of the Flood، which

(١) دكتوراه في التربية، عضو في هيئة علماء فلسطين، تاريخ استلام البحث، ٣/ ١٠/ ٢٠٢٤م، وتاريخ قبوله للنشر، ١٥/ ١١/ ٢٠٢٤م.

was considered a turning point in a long-term conflict between the two nations Woe to falsehood. In this context، scientists play a prominent role thanks to the knowledge that God has bestowed upon them، as they are the knights and pioneers who are able to spread awareness through research, They، their speeches، and their events، by adding to their efforts and their stresses for the sake of attributing the values and principles، and stimulating the journey of the ritual and the opposite of the rights.

Their influence extends to all fields. The nation's scholars have written - and are still writing - bright pages of glory and victory throughout our Islamic history. Hopes and aspirations are placed on them to face future challenges. The scholars are the backbone of the small group on whom the matter is based، they are held accountable، promises are fulfilled، and victory comes to them.

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيّدنا محمّد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

تصدّر العلماء في تاريخنا الإسلاميّ قضايا الأمّة علىٰ الدوام، ولم يقتصر دورهم علىٰ نشر العلم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل تجاوز ذلك إلىٰ نُصح الحاكم، وبيان الحقّ من الباطل، وجمع الكلمة ووحدة الصفّ، والجهاد في سبيل الله تعالىٰ لصون الشريعة وتمكينها، والدفاع عنها. فقامت بجهدهم وجهادهم دولٌ، ولجأ إليهم الناس عند الفتن والملاحم. فما أحوجنا اليوم، في نازلة «غزّة»، ومعركة طوفانها إلىٰ البحث والبيان عن دور العلماء في نصرتها. نصرة بين الواقع بإمكاناته وتحدّياته، والمأمول فِعلُه بعد عام من التضحية والثبات.

إشكاليّة البحث

تتمثّل إشكالية البحث في بيان دور العلماء في نصرة معركة طوفان الأقصىٰ، وفق السؤال الآتي: **هل تمكّن العلماء من نصرة معركة الطوفان بشكل فعّال ومُؤثّر (الواقع)؟ وما العوائق التي تعترض طريقهم؟** ويتطلّب ذلك تحليل الواقع الحاليّ لدور العلماء والبحث في الإمكانات المستقبليّة لتعزيز دورهم (المأمول)، مع مراعاة تأثيرهم علىٰ المجتمع وإسهامهم في رفع مستوىٰ الوعي والتحفيز لتحقيق الشراكة في المعركة. ومن السؤال الرئيس نطرح الأسئلة الفرعيّة الآتية:

١. ما واقع العلماء في نصرة معركة الطوفان في غزة؟

٢. ما التحدّيات والعقبات التي تواجههم؟

٣. ما المأمول منهم للشراكة والنصرة في المعركة؟

أهداف البحث

نهدف من البحث تحقيق الآتي:

١. تحليل الدور الحاليّ للعلماء: كيف أسهم العلماء في نصرة المعركة عبر فعاليّات وبرامج عمل؟

٢. تحديد التحدّيات: كشف العقبات التي تواجه العلماء في أداء دورهم.

٣. اقتراح استراتيجيات عمل وأدوار: تقديم توصيات لتعزيز دور العلماء في نصرة معركة الطوفان.

٤. استشراف المستقبل المأمول: توقّع الآفاق المستقبليّة لدور العلماء في نصرة معركة الطوفان.

منهج البحث

اعتمد البحث علىٰ منهجين: منهج التحليل الوصفي، ومنهج تحليل المضمون الذي يُعرف بأسلوب البحث المستخدم في تحليل البيانات والمواد الإعلاميّة؛ للوصول إلىٰ استدلالات واستنتاجات صحيحة، من خلال تحليل الخطابات، وتصريحات العلماء وفتاواهم لعمليّة طوفان الأقصىٰ وبرامج عملهم، وتحديد أسبابها وأهدافها، وما نتج عنها من تأثير في المجتمعات العربيّة والإسلاميّة.

أهميّة البحث

يسهم البحث في إبراز الدور الفاعل للعلماء وأهميّته في دعم معركة الطوفان، إضافة إلىٰ الآتي:

١. تحديد العقبات: يساعد البحث في فهم التحدّيات التي تواجه العلماء في جهودهم نصرة لغزة، مما يُمكّن من تطوير إستراتيجيّات فعّالة للتغلّب عليها.

٢. استكشاف الفرص: يتيح البحث إمكانية استكشاف الفرص المتاحة لتعزيز تأثير

العلماء في نصرة غزة ومعركتها، مما يُشجّع على الابتكار في الوسائل وأساليب العمل.

٣. تقديم توصيات عمليّة وفق إستراتيجيّات جديدة: تقديم توصيات عمليّة للعلماء، تُسهم – بعد توفيق الله تعالى – في تحسين فعاليّة الدور والجهود المبذولة.

٤. تأصيل الدراسات الأكاديميّة وإثراء المكتبة العربيّة: يُسهم البحث في إثراء المكتبة العربيّة بالدراسات الأكاديميّة التي تتناول القضيّة الفلسطينيّة وتحديدًا دور العلماء فيها.

٥. فتح مجالات بحثيّة جديدة: يمُكّن البحث من فتح مجالات جديدة للدراسات المستقبليّة في تأثير العلماء في قضايا الأمّة.

الدراسات السابقة:

من أبرز الدراسات التي تناولت موضوع معركة طوفان الأقصى، الآتي:

١ – كتاب: **معركة طوفان الأقصى» نَظْرَة إعلاميّة ... ومقاربة شرعيّة»**. للكاتبة: رانية محمّد نصر/ ماجستير صِحافة إذاعيّة وتلفزيونيّة، مسؤولة اللجنة الإعلاميّة في قسم المرأة، هيئة علماء فلسطين. يناقش الكتاب أهمّيّة الإعلام في عمليّة التأثير والتغيّر الفكريّ والسلوكيّ، فضلًا عن أثره في الإعداد والإسناد وصولًا للتمكين، وقد جمع بين الجانب الشرعيّ والإعلاميّ في تحليل معركة طوفان الأقصى الذي لم تكن حربًا كغيرها من الحروب.

٢ – بحث: «**تداعيات عمليّة طوفان الأقصى على القضيّة الفلسطينيّة**»، للباحث د. نبيل محسن بدر الدين أستاذ مساعد في العلاقات الدوليّة والعلوم السياسيّة، جامعة عمران ٢٠٢٣». وتُركّز إشكاليّة الدراسة على تداعيات عمليّة طوفان الأقصى على القضيّة الفلسطينيّة، وتهدف إلى التعرّف على الأسباب والأهداف لانطلاق عمليّة طوفان الأقصى ومدى مشروعيّتها، وتسليط الضوء على ردود الفعل الدوليّة والإقليميّة للعمليّة.

٣- ورقة بحثيّة إصدار مجلّة آفاق إستراتيجية بعنوان: «**مستقبل القضيّة الفلسطينيّة في ضوء نتائج عمليّة طوفان الأقصىٰ**»، للباحث المؤلّف: اللواء. محمّد عبد المقصود. تتناول الورقة تقييم ما تمَـرُّ به القضيـّة الفلسـطينيّة فـي أعقـاب العمليـّة التـي نفّذتهـا حركـة حمـاس فـي السـابع مـن أكتوبـر ٢٠٢٣ ضـدّ مواقـع للجيـش الإسـرائيليّ ومسـتوطنات غـلاف قطـاع غـزّة، وتداعيات هذه المعركة ونتائجها.

٤- بحث بعنوان: «**قضيّة طوفان الأقصىٰ علىٰ مستقبل العلاقات الدوليّة أثر معركة طوفان الأقصىٰ علىٰ مستقبل العلاقات الدوليّة**»، للمؤلّف: سعود محمّد الشاويش. تهدف الدراسة إلىٰ التعرّف علىٰ تأثير المعركة علىٰ مستقبل العلاقات الدوليّة، وتوقّع التغيّرات المهمّة نتيجة لذلك. وخلصت الدراسة إلىٰ أنّ العلاقات الدوليّة ستشهد تغيّرات ملحوظة بعد معركة طوفان الأقصىٰ.

أمّا **البحث** فقد امتاز بالتركيز علىٰ إنجازات العلماء تحديدًا خلال عام من تاريخ المعركة، والجهود المبذولة علىٰ مستوىٰ خارج فلسطين، وواقع هذه الجهود وتأثيراتها علىٰ الشعوب نصرة لغزة، والمأمول في المستقبل. إضافة إلىٰ قراءة لسير بعض علماء المسلمين عبر التاريخ الإسلاميّ بهدف استخلاص العظات والعبر، وربط الماضي بالحاضر ما أمكن.

المصطلحات:

العالَم «**لُغةً**»: «هو ما يُعلَمُ بِهِ الشَّيءُ. وجمع عالم علماء، ويقال علّام أيضًا؛ قال يزيد بن الحكم: وعلّام وعلّامة إذا بالغت في وصفه بالعلم أي: عالم جدًّا، والهاء للمبالغة، كأنّهم يريدون داهية من قوم علامين، وعلّام من قوم علامين؛ هذه عن اللحيانيّ. وعلمت الشيء أعلمه علمًا: عرفته. وتقول علم وفقه أي: تعلّم وتفقّه، وعلم وفقه أي: ساد العلماء والفقهاء»[(١)].

(١) ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، ٢٠٠٣، ج١٠، ص: ٢٦٤.

العالم «اصطلاحًا»: مفرد علماء، عرّفهم ابن القيّم -رحمه الله تعالىٰ- بأنّهم: «فقهاء الإسلام، ومن دارت الفتيا علىٰ أقوالهم بين الأنام، الذين خُصّوا باستنباط الأحكام، وعُنُوا بضبط قواعد الحلال والحرام، فهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يهتدي الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلىٰ الطعام والشراب»[١].

الإفتاء «لغةً»: قال ابن منظور: «أفتاه في الأمر: أبان له، وأفتىٰ الرجل في المسألة واستفتيته فيها فأفتاني إفتاء... يقال: أفتيت فلانًا رؤيا رآها إذا عبرتها له، وأفتيته في مسألة إذا أجبته عنها... يقال: أفتاه في المسألة إذا أجابه»[٢].

النُّصْرة «لُغة»: النَّصرُ والعَونُ، وهي اسمٌ مِن نَصَره علىٰ (عَدُوِّه) ينصُرُه نَصرًا، أي: أعانه وقوَّاه، والنَّصيرُ والنَّاصِرُ واحِدٌ»[٣].

النُّصْرة «اصطِلاحًا»: وقال الدَّميريُّ: النُّصْرةُ: ضِدُّ الخِذلانِ في الحَربِ وغَيرِها، وهي الإعانةُ فيمَا أهَمَّ»[٤].

طوفان الأقصىٰ: «الطُّوفَانُ مصدر مثل الرُّجْحان والنقْصان ولا حاجة به إلىٰ أَن يطلب له واحدًا»[٥].

وهذا ما كان من أمر هذه المعركة المنسوب طوفانها للأقصىٰ، فكانت كأنّها

---

(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ): إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، مجلد: ١، ص: ٩.

(٢) ابن منظور:، لسان العرب، المرجع السابق، مجلد: ١٥، ص: ١٤٧

(٣) ابن منظور: لسان العرب، المرجع السابق، مجلد: ٥، ص: ٢١٠.

(٤) كمال الدين، محمد بن موسىٰ بن عيسىٰ بن علي الدَّمِيري أبو البقاء الشافعي (ت ٨٠٨هـ): شرح لامية العجم (وهو مختصر شرح الصفدي المسمىٰ الغيث المسجم)، تحقيق: الدكتور جميل عبد الله عويضة، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ص: ٥٦.

(٥) ابن منظور: لسان العرب، المرجع السابق، مجلد: ٧، ص: ٢٢٧.

الطُوفان يبتلع هيبة الدّولة وصورة قُوّتها، والتسمية الّتي أطلقتها حركة حماس علىٰ هجمة السابع من تشرين الأوّل (أكتوبر) علىٰ المنطقة المعروفة إسرائيليًّا بـ غلاف غزّة.

تساعد هذه المصطلحات وتعريفاتها في فهم السياق العامّ للبحث، ممّا يُسهم في توضيح العناوين المتعلّقة بدور العلماء في نصرة غزّة.

حدود البحث:

الحدود الموضوعيّة: دور العلماء في نصرة معركة طوفان الأقصىٰ.

الحدود الزمنيّة: المرحلة منذ انطلاق عمليّة طوفان الأقصىٰ في ٧ أكتوبر٢٠٢٣م، حتّىٰ نهاية العام ٢٠٢٤.

أدوات جمع المعلومات:

يعتمد البحث علىٰ: الوثائق والتقارير، والمقالات والتصريحات، وما تمّ الرجوع إليه في شبكة المعلومات الدوليّة (الإنترنت) والقنوات الفضائيّة التي تناولت موضوع البحث. إضافة إلىٰ تطبيق تقنية المقابلة والحوار حول مضمون البحث مع أكثر من خمسين داعية وإمام مسجد من أعضاء هيئة علماء فلسطين – فرع لبنان.

تقسيم البحث:

قُسّم البحث إلىٰ مبحثين:

المبحث الأوّل: دور العلماء في نصرة معركة الطوفان (الواقع)

المبحث الثاني: الدور المأمول من العلماء نصرة لمعركة الطوفان.

الصعوبات:

واجه الباحث عدّة صعوبات في إعداد البحث، أبرزها:

١- توسُّع الموضوع وصعوبة الإحاطة به من جوانبه كافّة، وتحديدًا جمع جهود العلماء المباركة في عموم البلدان وتوصيفها، (الواقع)». فكان اجتهاد الباحث بالتركيز علىٰ أنشطة المؤسّسات والهيئات الكبرىٰ النشطة الجامعة للعلماء.

٢- كثرة المتغيّرات في مجريات المعركة واتّساعها، ممّا يُصعّب رفع مقترحات للدور المأمول من العلماء.

٣- وجود آراء متباينة حول دور العلماء ممّا قد يسبّب إرباكًا في تحليل المعلومات واستخلاص النتائج.

٤- التحليل الموضوعيّ للموضع، ورأي بعض العلماء في مقالاتهم وآرائهم يخضع إلىٰ التحيّزات الشخصيّة والانتماءات الفكريّة والحزبيّة لديهم.

٥- تقييم الأثر: صعوبة قياس الأثر الفعليّ للعلماء في نصرة القضية، حيث إنّ التغيير الاجتماعي والسياسي قد يستغرق وقتًا طويلًا ليظهر.

٦- التواصل مع العلماء: قد يكون من الصعب الوصول إلىٰ العلماء المؤثّرين في هذا المجال للحصول علىٰ رؤىٰ مباشرة أو تجارب عمليّة.

٧- التوازن بين الواقع والمأمول: فالمقارنة الصعبة، ووضع تصوّر مستقبليّ لدور العلماء يتطلّب تحليلًا دقيقًا للواقع الحاليّ، وقد يكون هذا التوازن صعبًا في بعض الأحيان.

٨- التحدّيات المستقبليّة: عدم اليقين بشأن التحدّيات التي قد تواجه العلماء في المستقبل، ممّا يجعل التخطيط صعبًا.

ومعالجة هذه الصعوبات يتطلب جهودًا منهجيّة ومركّزة، بالإضافة إلىٰ التعاون مع بعض المختصّين ومؤسّسات لتعزيز جودة البحث وشموليّته.

المبحث الأوّل: واقع دور العلماء في نصرة معركة الطوفان:

أحوج ما تكون الأمّة اليوم إلىٰ العلماء العاملين بكتاب ربهم وسنّة نبيهم مُحمّد صلىٰ الله عليه وسلم، المدركين لسنن النصر والتمكين في الكتاب والسنّة، المتّعظين بالسير والتاريخ، أهل فقه التمكين والنوازل، كأمثال الأئمة: عبد الله بن المبارك، والإمام أحمد بن حنبل، والعز بن عبد السلام وابن تيميّة، وأبي حامد الغزالي وعز الدين القسام... وغيرهم من العلماء المجاهدين المؤثّرين في واقعهم رحمهم الله تعالىٰ.

المطلب الأوّل: أدوار العلماء في الفتن والنوازل

حفل تاريخنا الإسلامي بدور جهادي مُتقدّم للعلماء، فكانوا المرجع لها عند الفتن والمحن، وبرزت أدوارهم من خلال التعبئة الجهاديّة لعموم المسلمين، وحثّ المجاهدين علىٰ الرباط والثبات في الميدان، وحلقات العلم في المساجد والثغور، والسياحة بين المدن دعوة للالتحاق بالجيوش، والمدافعة عن ثغور الاسلام، والتبرعّ بالغالي والنفيس، إضافة إلىٰ تأليف المؤلّفات، والصدع بكلمة الحقّ أمام الحاكم والسلطان وتوجيهه وتصويب مساره نصرة للإسلام في الحروب التي خاضتها الأمة، من: حرب الصليبيين، وهجوم التتار... فالعلماء الربّانيّون هم العاملون بكتاب ربهم وسنّة نبيهم صلّىٰ الله عليه وسلم، المستوعبون لواقعهم.

أوّلًا: العلماء ورثة الأنبياء

وَردت نُصوصٌ شرعيَّةٌ عدَّةٌ في القرآن الكريم والسُنّة النَّبويَّة تُبيّن مَنزلة العُلماء وفَضلهم، ومن ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة الزمر: ٩]، وللعلماء دور جليل في الرقيّ بالمجتمع وخدمته. «فهم حَمَلة العلم ومُبلِّغوه للنَّاس، والسَّاعون لنشره، ولهم من الفضلِ والأثر

الطَيّب الكثير»[١]، حتّىٰ وصَفَهم النَّبيّ -عليه الصلَّاة والسَّلام -بورثة الأنبياء، فالعلم لم يرفع بذهاب الأنبياء، وإنّما ورّثوا علمهم للعلماء، حيث وُكّل إليهم مهمّة تعليم الناس، والقيام بالدور الذي كان يقومُ به الأنبياء دون وحيٍ وعصمة.

هذه المنزلة من أسمىٰ المنازل، ويشهد لذلك قوله تعالىٰ: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عِمْرَان: ١٨]، وقال الإمام ابن جماعة شارحًا معنىٰ الآية: «بدأ الله سبحانه تعالىٰ بنفسه، وثنَّىٰ بملائكته، وثلَّث بأهل العلم، وكفاهم ذلك شرفًا وفضلًا وجلالةً ونبلًا»[٢].

وقد أشار الإمام ابن القيّم إلىٰ دلالة قوله تعالىٰ: «إنَّ العلماء ورثة الأنبياء، بأنّ ذلك من أعظم المناقب لأهل العلم، وذلك؛ لأنّ الأنبياء -عليهم السلام- خير خلق الله، فوَرَثَهم خير الخلق بعدهم. فالعلماء أحقّ الناس بميراث الأنبياء -عليهم السلام- حتّىٰ يبلغوا هذا الدين للنّاس كافة»[٣].

ثانيًا: التوقيع عن ربّ العالمين:

عنون الإمام ابن قيّم الجوزيّة كتابًا له، وهو: «إعلام الموقّعين عن ربّ العالمين»؛ حيث جعل العلماء بمنزلة الموقّعين عن الله. وقال فيه: «وَإِذَا كَانَ مَنْصِبُ التَّوْقِيعِ عَنْ الْمُلُوكِ بِالْمَحِلِّ الَّذِي لَا يُنْكَرُ فَضْلُهُ، وَلَا يُجْهَلُ قَدْرُهُ، وَهُوَ مِنْ أَعْلَىٰ الْمَرَاتِبِ السَّنِيَّاتِ، فَكَيْف بِمَنْصِبِ التَّوْقِيعِ عَنْ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ؟ فَحَقِيقٌ بِمَنْ أُقِيمَ فِي هَذَا الْمَنْصِبِ أَنْ يَعُدَّ لَهُ عِدَّتَهُ، وَأَنْ يَتَأَهَّبَ لَهُ أُهْبَتَهُ، وَأَنْ يَعْلَمَ قَدْرَ الْمَقَامِ الَّذِي أُقِيمَ فِيهِ،

(١) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ): معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، مجلد: ٤، ص:. ٨٩-٨٨

(٢) بدر الدين ابن أبي إسحاق إبراهيم ابن أبي الفضل سعد الله ابن جماعة الكناني (ت ٧٣٣ هـ): تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، تحقيق: محمد هاشم الندوي، دائرة المعارف، ١٣٥٤ هـ، ص: ٤١.

(٣) محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المحقق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، هـ ١٤٣٢، مجلد ١، ص: ٦٦.

وَلَا يَكُونَ فِي صَدْرِهِ حَرَجٌ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ وَالصَّدْعِ بِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ نَاصِرُهُ وَهَادِيهِ، وَكَيْف هُوَ الْمَنْصِبُ الَّذِي تَوَلَّاهُ بِنَفْسِهِ رَبُّ الْأَرْبَابِ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ [النساء، ١٢٧] وَلِيَعْلَمَ الْمُفْتِي عَمَّنْ يَنُوبُ فِي فَتْوَاهُ، وَلِيُوقِنَ أَنَّهُ مَسْئُولٌ غَدًا وَمَوْقُوفٌ بَيْنَ يَدَيْ اللهِ»[١].

ثالثًا: العلماء والدور الجهاديّ:

من الفقهاء في الإسلام من رفع درجة العلماء فوق درجة المجاهدين في سبيل الله وليس فقط العُبَّاد، يقول الصحابيّ الجليل عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: «والذي نفسي بيده، ليودَّنَّ رجالٌ قُتلوا في سبيل الله شهداء، أن يبعثهم الله علماء؛ لما يرون من كرامتهم»[٢]، أي: من كرامة العلماء. ويقول التابعيّ الحسن البصريّ رحمه الله: «يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء، فيرجح مداد العلماء»[٣].

رابعًا: الخلفاء وتقدير العلماء:

حضر أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك -رحمه الله- إلىٰ الحجّ هو واثنان من أبنائه الأمراء في موسم الحجّ عند العلامة عطاء بن أبي رباح[٤] رحمه الله، فذهبوا إليه وهو يصلّي، فانتظروا إلىٰ جواره حتّىٰ انتهىٰ من صلاته، فبدؤوا يسألون وهو يجيبهم في وضع الصلاة لا يلتفت إليهم، وهم يقبلون بهذا الوضع؛ لأنّهم يحتاجون إلىٰ العلم،

(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ): إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، مجلد: ١، ص: ٩.

(٢) أبو حامد الغزالي: محمد الغزالي الطوسي(ت ٥٠٥ هـ): إحياء علوم الدين، دار المعرفة، القاهرة، مجلد: ١، ص: ٨.

(٣) أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، المرجع السابق، ص: مجلد: ١، ص: ٨.

(٤) نشأ عطاء بن أبي رباح بمكة، وكان عبدًا أسود لامرأة، وكان أنفه كأنّه باقلاء، وكان بنو أميّة يأمرون في الحجّ صائحًا يصيح لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح، ويقول عنه الأوزاعي: ما رأيت أحدًا أخشع لله من عطاء، ومات بمكّة عام ١١٥ وعمره ٨٨. (انظر: ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي(ت ٥٩٧هـ): صفة الصفوة، المحقق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، مصر، ٢٠٠٠م، مجلد: ٢، ص: ١١٥).

وبعد انتهاء الأسئلة انصرفوا، ثمّ جمع أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك -رحمه الله- ولديه، وقال لهما: «يا بنيّ، لا تنيا في طلب العلم، فإنّي لا أنسىٰ ذلّنا بين يدي هذا العبد الأسود»[1].

خامسًا: الواجب الأخذ برأي العلماء:

تمُر الأمّة اليوم بحرب صليبيّة جديدة، واجتياح التتار، وتكالب اليهود وأعوانهم عليها، بهدف تمزيقها وإضعافها، ورسم شرق أوسط جديد، أو إيجاد «الفوضىٰ الخلّاقة»، وإغراقنا بفتن داخليّة، وحروب طائفيّة. وأرض فسطين وتحديدًا قطاع غزّة، يتعرّض لمحنة عظيمة، وفتنة أليمة، كقطع الليل المظلم، وعند الفتن تشتبه الأمور، والحكمة عند أهل العلم (العلماء)، وعليه يكون الواجب تقدّم العلماء لأخذ دورهم المنشود منهم، وعلىٰ عموم الأمّة الأخذ برأي العلماء، يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَىٰ الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قليلًا﴾ [سورة النساء: ٨٣]

بناء علىٰ ما تقدّم، في ذكر فضل العلماء وعلمهم وجهادهم ومقصدهم وعطائهم، فهم أحقّ الناس بالمحبّة والاتّباع عند النوازل والفتن؛ لأنّ العلم ميراث الأنبياء، والعلماء ورثته، ومحبّة العالم تحمل علىٰ تعلّم علمه واتّباعه، والعمل بذلك.

المطلب الثاني: دور العلماء في نصرة معركة الطوفان (الواقع)

تداعىٰ العلماء نصرة لغزّة في معركة طوفان الأقصىٰ من منطلقات شرعيّة، واجتهدوا في ذلك قدر استطاعتهم، والسؤال المطروح:

هل تمكّن العلماء من نصرة معركة الطوفان بشكل فعّال ومُؤثر؟

وللإجابة علىٰ السؤال، وجب علينا أن نستعرض أهمّ الجهود والأدوار التي قام بها

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة، مجلد: ٢، ص: ١١٥.

العلماء، سواء عبر المؤسّسات والهيئات أم كأفراد. والبداية مع توصيف دور العلماء، بناء علىٰ المحُدّدات العامّة التي انطلقوا فيها للعمل، وذلك وفق الآتي:

أوّلًا: المحدّدات العامّة:

١- **إعلان جماعيّ عامّ للدعم والنُصرة:** فالمعركة لتحرير المسجد الأقصىٰ هي مسؤوليّة الأمّة جمعاء، وليست حكرًا علىٰ أهل فلسطين. وبناء عليه، أقيمت أنشطة جامعة للعلماء، من أبرزها:

أ- إعلان هيئات وشخصيّات علمائيّة خارج فلسطين[١] **الرباط العلميّ** لدعم معركة طوفان الأقصىٰ بكلّ ما يحتاجه، وجاء الإعلان في بيان توقف فيه عند: «مشروعيّة المقاومة وبسط فقهها، ونشر فتاواها بين الناس، ووجوب السعي لتحرير الأرض واستنقاذ الأسرىٰ، والردّ علىٰ الشبهات التي يثيرها المنافقون والمخذّلون. وعن المهمّة التي سيقوم بها العلماء: الحثّ علىٰ دعم إخوانهم في الأرض المقدّسة، بل وتقدّم صفوف المناصرة. فلا قيمة لعلم لا يحمل صاحبه علىٰ النصرة التي تليق بالعلماء وتليق بمقام الطوفان[٢]». والتركيز علىٰ قضيّة المسلمين المركزيّة في تحرير بيت المقدس وأكناف بيت المقدس ومساندة المجاهدين ومشاركتهم بكلّ باب من أبواب الجهاد.

---

(١) من أبرز الهيئات الفاعلة والداعمة لمعركة الطوفان: الاتّحاد العالميّ لعلماء المسلمين، هيئة علماء فلسطين، والهيئة العالميّة لأنصار النبيّ صلّىٰ الله عليه وسلّم، ورابطة علماء أريتريا، ومنتدىٰ العلماء، ورابطة علماء السنّة، وجمعيّة المعالي للعلوم والتربية بالجزائر، والهيئة العالميّة لمناصرة فلسطين، وهيئة علماء المسلمين في لبنان...

ومن أبرز الشخصيّات العلمائيّة البارزة في الفعاليّات: مفتي ليبيا الشيخ الصادق الغرياني، والشيخ محمد الحسن ولد الددو، والدكتور نواف تكروري، والدكتور محمد الصغير، والدكتور الحسن الكتاني، والدكتور وصفي عاشور، والدكتور عبد الحي يوسف، والدكتور عصام البشير.

(٢) صدر بيان عن العلماء عنوانه: "علماء الطوفان ردًّا علىٰ نداء أبي عبيدة"، بتوقيع العشرات من المؤسسات والشخصيات العلمائيّة، وأعلنوا عن: "الرباط العلمي" لدعم "طوفان الأقصىٰ". انظر نصّ البيان علىٰ موقع هيئة علماء فلسطين علىٰ الفيس بوك: "بيان علماء الطوفان قيامًا بالواجب واستجابة لنداء أبي عبيدة"، @palscholars48

ب- **تلبية نداء غزّة:** فقد لبّىٰ علماء الأمّة أفرادًا ومؤسّسات من أكثر من (٣٠) دولة نداء غزّة للملتقىٰ الدُّوَليّ الثّالث لمؤسّسات العلماء[١] الذي انعقد في إسطنبول يومي الخميس والجمعة، الثالث والعشرين والرابع والعشرين من جمادىٰ الأولىٰ لعام ١٤٤٥، الموافق للسابع والثامن من ديسمبر كانون الأول لعام ٢٠٢٣م، وكان مدار البحث في الجرح النازف في غزّة وواجبات العلماء العاجلة والأمّة الإسلاميّة تجاهها، وما يجري في القدس والمسجد الأقصىٰ المبارك وسائر مناطق فلسطين من عدوان متصاعد.

ج- **تنظيم الجهود وفق الأولويّات وتحقيق المصالح، وردّ الشبهات والتهم:** حرص العلماء علىٰ تنظيم جهودهم، في إطار برامج عمليّة مُنظّمة مستدامة وفق الأولويّات وتحقيق المصالح. فمن بداية المعركة تعالت أصوات من مطبّعين ومنتفعين وموظّفين وداعمين لدولة الكيان الصهيونيّ وغيرهم، فكان الدور العلمائيّ؛ التصدّيَ لهم بحملات إعلاميّة، وخطب مسجديّة، وبيانات شرعيّة، ولجان إفتاء، ومقابلات تلفزيونيّة، وزيارات ميدانيّة، ومخاطبة للحكّام، وتواصل مع المؤسسات الدوليّة، وخطاب خاصّ مُوجّه للشعوب غير المسلمة ... لكشف الزيوف وبيان الحقائق. فمن ثمار طوفان الأقصىٰ أنّ الله يفرّق به بين علماء الأمّة وعلماء السلطة، بين من باع الدنيا واشترىٰ الآخرة، وبين من باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم، ففرَّق الله بهذا الطوفان بين الحقّ والباطل.

٢- **التأصيل الشرعيّ للمعركة:** قام العلماء بدورهم بقول كلمة الحقّ وفق الحكم الشرعيّ استنادًا للأدلّة من مصادر التشريع الإسلامي. فسيوف العلماء هي أقلامهم وألسنتهم، فهم حينما يتكلّمون ويتبنّون مواقف النصرة والدعم فإنّهم يوجّهون الأمّة لتبنّىٰ الموقف الشرعيّ الصحيح، في ظلّ هجمات إعلاميّة شرسة بثّها العدوّ الصهيونيّ والمناصرين له من العجم والعرب، ومن علماء السلاطين، بأنّ ما حصل في طوفان الأقصىٰ ما هو إلّا: «اعتداء علىٰ دولة إسرائيل، وقتل للمدنيّين الأبرياء، وقطع رؤوس

(١) انظر الموقع: https: //palscholars. org

الأطفال...» وقد قال الداعية والباحث الشرعيّ المغربيّ حسن الكتاني[١] من الهيئة العالميّة لأنصار النبيّ صلّىٰ الله عليه وسلّم: « أنّ الواجب علىٰ العلماء في الدرجة الأولىٰ هو بيان الأحكام الشرعيّة». وهذا الذي تحقّق بداية.

٢- فعاليّات موحّدة في كلّ الأقطار والبلدان: ظهر ذلك في البرامج والفعاليّات المتنوّعة التي أقامها العلماء وأشرفوا عليها، في عموم البلدان العربيّة والإسلاميّة في قارّات آسيا وإفريقيا والبلاد الإسلاميّة في أوربّا والتجمّعات المسلمة في باقي القارّات، من: مظاهرات، ووقفات، واعتصامات، وأنشطة طلابيّة، وجمع تبرّعات...

٣- نصرة بكامل الوسع (بالكلمة، والجهد، والمال): في هذا السياق قال القياديّ بجماعة الإخوان المسلمين في الأرْدُنّ أحمد الرزقان[٢]: للعلماء دور كبير في نصرة المقاومة في فلسطين عامّة، وغزّة خاصّة، في:

أ- كلمة الحقّ: فالعلماء العاملون هم محلّ ثقة الناس في فتاويهم وآرائهم، وهي محطّ اهتمامهم بالالتزام بمضمونها.

ب- الجهاد بالمال: وتابع في تصريحاته لـ «عربي٢١»: «من واجب العلماء حثُّ المسلمين علىٰ الإسهام في نصيبهم من المقاومة بالمال من باب الواجب الشرعيّ علىٰ من لا يستطيع المقاومة، فلا بدّ أن يقاوم بماله».

ج- المشاركة في الفعاليّات المساندة: علىٰ كلّ امرئ أن يعرف ثغره الذي يجب عليه أن يجاهد فيه كالمظاهرات الاحتجاجية التي لا تغادر الميادين والاعتصامات أمام السفارات التابعة للدول الداعمة للاحتلال، ومنه[٣]:

---

(١) مقابلة مع الداعية نشر: بسّام ناصر: في مقال عنوانه: كيف يناصر علماء الأمّة مقاومة غزّة في مواجهة العدوان الصهيونيّ؟ "عربي21، https: //arabi21. com، 04-Nov-24/

(٢) مقابلة مع القياديّ في جماعة الإخوان نشرها: بسام ناصر: مقال عنوانه: كيف يناصر علماء الأمة مقاومة غزة في مواجهة العدوان الصهيوني؟ ، "عربي٢١ "، ٠٤-Nov-٢٤، ٢١arabi// :https. com

(٣) هذا ما دعا إليه علماء الأمّة في بيان الردّ علىٰ خطاب أبي عبيدة. ٢٠٢٤/١٠/٩ https: //palschol- ars. org.

- القيام علىٰ مواقع التواصل الاجتماعيّ؛ لإسناد الحقّ وكبت الباطل.

- ثغر الإعلام وتتبّع الشبكات الإلكترونيّة ومجابهة الحملات الصهيونيّة عليها.

- المقاطعة الاقتصاديّة، وفضح المتورّطين في التعامل مع الصهاينة والأمريكان، وتعطيل مصالحهم ومتاجرهم.

- الجهاد السيبرانيّ ضد مواقع المحتلّ ومصالحه الحيويّة وتعطيلها إلكترونيًّا.

- بذل الوسع في التعليم والتربية وإعداد جيل النصر المنشود.

- فتح أعين الناشئة علىٰ أهمّيّة مشروع التحرير الذي بدأ في السابع من أكتوبر من العام المنصرم.

٤- **تقارب العلماء في اجتماعهم ومواقفهم**: وذلك تحت راية واحدة، تستجمع الصفوف لمقاومة العدوان، وترفعهم عن كثير من النظرات الحزبيّة الضيّقة، والخلافات الفقهيّة الفرعيّة. وتوجيه البوصلة نحو وحدة الأمّة عند النوازل، وظهر ذلك جليًّا في أنشطة علمائيّة جامعة أقيمت في عدد من البلدان العربية والإسلامية: قطر، تركيا، ماليزيا... وصدر عنهم مواقف ثابتة سُطّرت في بيانات ومواقف وإفتاء و...

٥- **ديمومة العطاء والعمل**: خاطب العلماء الأمّة بالمطلوب منهم، وشاهد ذلك ما دعا إليه الدكتور نواف التكروري رئيس هيئة علماء فلسطين شعوب الأمّة بعد مرور عام من المعركة بعدم «التكاسل بل علينا أن ننطلق من جديد، وأن تكون مهمّتنا كاملة، وأن نبعث في بداية العام الثاني رسالة للكيان بأنّنا جاهزون في كلّ مكان، العام الأوّل كان علىٰ أرض غزّة وانطلق في آخره إلىٰ لبنان، والعام الثاني هو مقارعة العدو في كلّ مكان وملاحقته»[1].

(١) كلمة اللجنة المركزيّة للمهرجان ألقاها رئيس هيئة علماء فلسطين نواف تكروري، في مهرجان خاص بإطلاق "مبادرة علماء الأمّة لنصرة الطوفان"، نظّمته مبادرة قيام غزّة الشبابية، في إسطنبول، وبمشاركة علماء من مختلف الدول الإسلاميّة نصرة لفلسطين وغزّة، إسطنبول، ٠٩,٢٠٢٤ ٢٧، // :https /www. aa. com. tr

٦- **القيام بالدعم المعنوي والمادّي بكلّ أشكاله:** من محاضرات ودروس وندوات وفيديوهات ومقالات تصبّ في دعم المجاهدين، وتحثّ الناس علىٰ جميع أنواع الدعم المعنويّ والمادّيّ، وترفع معنويّات المقاومين، وحثّهم علىٰ الصبر والمصابرة، ومتابعة الجهاد بكلّ قوة وقدرة لتحقيق إمّا النصر أو الشهادة.

٧- **فضح العملاء** والمطبّعين والمساندين للعدوّ سواء مادّيًّا أو معنويًّا: بكشف مخطّطاتهم الخبيثة في الوقوف مع العدوّ، والتحذير كذلك من الإعلام المتصهين الذي يشوّه صورة المجاهدين، ويسوّق رواية العدوّ الصهيونيّ.

٨- **مباركة الأعمال:** مباركة كلّ عمل في العالم العربي والإسلامي داعم للمقاومة في غزّة ومساند لها، ويخفّف عنهم في معركتهم مع العدوّ الصهيونيّ، ويرفع معنويّاتهم للاستمرار بهذا الجهاد المبارك المجيد[١].

ثانيًا: برامج وفعاليّات في إطار عمل جماعيّ مؤسّساتيّ:

١- **الاتّحاد العالميّ لعلماء المسلمين**[٢]: تكمن البداية مع المؤسّسة الإسلاميّة التي تجمع أكثر من (٩٠) ألف عالم من علماء المسلمين أصحاب العِلم والخبرة من مختلف دول العالم. مع العلم أنّ من أبرز أهداف «الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين»: الاهتمام بقضايا الأمّة الكبرىٰ وعلىٰ رأسها الأقصىٰ وفلسطين، والإسهام في حلّ المشكلات والصعوبات التي تواجهها، والعمل علىٰ تفعيل قُوَىٰ الأمّة الإسلاميّة، وتقوية الروابط الأخويّة بين أفراد المجتمع الإسلاميّ.

---

(١) بسام ناصر: مقال عنوانه: كيف يناصر علماء الأمّة مقاومة غزة في مواجهة العدوان الصهيوني؟ "عربي٢١، انظر الموقع:
https: //arabi21. com ،04-Nov-24/

(٢) تشكّلَ الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في عام ٢٠٠٤، ويُعدّ أحد أكبر الاتحادات في العالم العربي والإسلامي علىٰ حدّ سواء، وذلكَ بعدما ضمّ تحتَ لوائه أكثر من (٩٠) ألفًا من عُلماء المسلمين من مُختلف الطوائف بما في ذلك السُنّة، والشيعة، والإباضية.

وبناء علىٰ ما تقدّم، حرص الاتحاد مع هيئات علمائيّة أخرىٰ علىٰ توحيد صفوف العلماء ونبذ الفرْقَة عند النوازل، وتحديدًا في نازلة غزّة، وهو أمر شرعيّ وسنّة من سنن النصر والتمكين في الأرض، قال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٣]. « فإذا أراد العلماء أن يكون لصوتهم أثر، فعليهم أن يتجمَّعوا في كيان واحدٍ؛ ليكون صوتهم مؤثِّرًا، ولن يحدث ذلك إلّا إذا تناسوا خلافاتهم، وأقبل بعضهم علىٰ بعضٍ بحبٍّ، وشكّلوا جبهة جامعة تجمع كلّ علماء المسلمين من مختلف دول العالم»[(١)]. ومن الشواهد علىٰ ذلك:

١- **بيان نداء الأقصىٰ وغزة**[(٢)]: أعلن علماء الأمّة ونخبها وهيئاتها (١٦ هيئة ومؤسسة علمائيّة) وشخصيّاتها العامّة (١٨٣ عالم من كلّ البلدان) وجماهيرها الواسعة من كلّ الأقطار والهيئات والروابط، تأكيدهم علىٰ الثوابت الشرعيّة المتعلّقة بنصرة غزّة، وجهاد الدفع، ووقف التطبيع، والدعم المادّيّ، وتفعيل سلاح المقاطعة..

٢- **إصدار فتاوىٰ** عن هيئات علمائيّة جامعة داعمة بما يخصّ القضية الفلسطينيّة عمومًا ومعركة الطوفان خصوصًا. فالإفتاء عظيم الأثر والفعل في الأمّة جمعاء؛ لأنّ المفتي وارث الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- ومُوقّع عن الله، قال ابن المنكد: «العالم بين الله تعالىٰ وخلقه، فلينظر كيف يدخل بينهم». ومن واجب علماء الأمّة عند حدوث النوازل أن يكونوا حاضرين في الإفتاء لا يخشون في الله لومة لائم، قال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩]. وأمّا من شذّ في فتواه عن جمع العلماء، فضرره أكثر من نفعه، ونتيجته شديد الْخَطَر في تعزيز التفرقة بين المسلمين. وقد رافق العلماء مسيرة هذا الطوفان المبارك، وصدرت عن جماعة من أئمتهم ورموزهم فتاوىٰ واضحة جليّة ومواقف مشرّفة، عملًا بقوله تعالىٰ: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عِمْرَان: ١٨٧].

---

(١) راغب السرجاني: دور العلماء والدعاة لنصرة فلسطين، ٢٠١١/٠٦/٢٥، https: //islamstory. com/

(٢) انظر نصّ البيان: https: //palscholars. org/

أ - ويمكننا أن نُعدّد الفتاوىٰ التي صدرت عن «الاتّحاد العالميّ للعلماء» نصرة لمعركة الطوفان في غزّة وفق الآتي:

- حكم المقاطعة.
- حكم العمليّات الاستشهاديّة ضدّ العدو الصهيونيّ.
- حكم الهجرة للعمل في الكيان الصهيونيّ.
- حكم الاشتراك في جيش الاحتلال.
- رأي الشرع في التطبيع مع اليهود.
- حكم سكوت المسلمين علىٰ ما يجري في القدس والمسجد الأقصىٰ من اليهود.
- حكم الجهاد ونصرة المجاهدين في فلسطين.
- حكم المشاركة في حصار غزة»[١].
- تجميد لحوم الأضاحي والتوكيل فيها وإرسالها إلىٰ غزة.
- حكم مناصرة الكيان الصهيونيّ المحتلّ علىٰ أهل فلسطين.
- المقاطعة الشاملة للعدو المحتلّ.
- مشروعيّة الإضراب والاحتجاج نصرة لأهل فلسطين.
- فتوىٰ بشأن واجب الحكومات الإسلاميّة تجاه الغزو الصهيونيّ علىٰ غزّة.
- حول التوكيل وتجميد لحوم الأضاحي لغزة[٢].

ب- فتاوىٰ **هيئة علماء فلسطين**[٣]:

(١) سالم سلامة: فتاوىٰ علماء المسلمين في تحريم التنازل عن أيّ جزء من فلسطين أو عن حقّ العودة إليها، رئيس الدائرة العلمية في رابطة علماء فلسطين، دار الفرقان، عمَّان، ١٤٢٨هـ= ٢٠٠٧م.

(٢) الفتاوىٰ الصادرة عن لجنة الاجتهاد والفتوىٰ بالاتحاد العالمي لعلماء المسلمين من رقم (١) إلىٰ رقم (٥) خلال العام ٢٠٢٣ – ٢٠٢٤.

(٣) هيئة علماء فلسطين تأسّست في مدينة بيروت خلال المدّة ٢٥-٢٦ صفر١٤٣٠هـ/ الموافق ٢٠-٢١ شباط (فبراير) ٢٠٠٩م، وبحضور عدد من هيئات العلماء من البلاد المختلفة في الأمّة الإسلاميّة وحشد من علماء الشعب الفلسطيني في الشتات. وانتخب فيه فضيلة الدكتور عبد الغني التميمي –

- فتوىٰ أولويّة الإنفاق لنصرة غزّة علىٰ حجّ التطوّع وأداء العمرة.
- حكم التَّطبِيع مع العدو اليهوديّ المحتل لفلسطين وبيان مخاطره علىٰ المسلمين[١].

٤- **مؤتمرات علميّة فقهيّة**: انطلقت في السابع من أكتوبر/ تشرين الأول٢٠٢٤ مؤتمرات علميّة عقدت في ٢٧ و٢٨ سبتمبر/ أيلول، حيث تمّ خلالها مناقشة الفتاوىٰ الشرعيّة المرتبطة بدور الأمّة في «طوفان الأقصىٰ». وقد أعلن العلماء[٢] أنّهم في رباط علميّ لدعم طوفان الأقصىٰ بكلّ ما يحتاج من بيان مشروعية الجهاد وبسط فقهه ونشر فتاواه بين الناس، ووجوب السعي إلىٰ تحرير الأرض واستنقاذ الأسرىٰ، والردّ علىٰ الشبهات التي يثيرها المنافقون والمخذلون، وحثّهم علىٰ دعم إخوانهم في الأرض المقدسة بل وتقدّم صفوف المناصرة فلا قيمة لعلم لا يحمل صاحبه علىٰ النصرة التي تليق بالعلماء.

٥- **جلسات حواريّة** للتشاور والتركيز علىٰ أدوار العلماء المطلوبة في بلدانهم.

٦- **المُشاركة في المؤتمرات** والدعوة لعقد مؤتمرات ومنتديات:

أ- المؤتمر الرابع للمنتدىٰ الإسلامي العالمي للبرلمانيين: شارك علماء من الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في المؤتمر، الذي عُقِدَ في المدّة ٢٤ -٢٦ نوفمبر ٢٠٢٣، في إسطنبول - تركيا، تحت عنوان «العمل البرلماني والقضية الفلسطينية في عالم جديد».

ب- الدعوة لعقد قمّة إنسانيّة لمواجهة العدوان الإسرائيليّ علىٰ غزة ولبنان[٣]: أطلق رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين مبادرة لعقد قمّة إنسانيّة لمواجهة

رحمه الله- أول رئيس لهيئة علماء فلسطين. وتهدف الهيئة إلىٰ حشد طاقات العلماء في نصرة قضية فلسطين والتأصيل الشرعيّ للمسائل المتعلّقة بها بطريق علميّ منهجيّ.

(١) انظر موقع: https: //bokra. net/Article-1527510

(٢) بيان علماء الطوفان قيامًا بالواجب واستجابة لنداء أبي عبيدة @palscholars48

(٣) المبادرة أطلقها أ. د. علي محيي الدين القره داغي، رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين// :https /iumsonline. org/ar

العدوان الإسرائيليّ علىٰ غزّة ولبنان، والهدف إنشاء حلف إنسانيّ عربيّ وإسلاميّ من جميع الدول المساندة للقضية الفلسطينيّة، علىٰ أن تقوم تركيا بدعوة هذه الدول لقمّة تكون شبيهة لحلف الفضول[١].

ج- نظّمت اللجنة العليا لأسبوع القدس العالمي، الأربعاء ٧ فبراير الجاري، مهرجانًا خطابيًا عبر منصة «زوم» تحت عنوان «طوفان الشباب»، دعمًا للمقاومة ونصرة لغزة والمسجد الأقصىٰ ضمن فعاليات «أسبوع القدس العالمي» الرابع، بمشاركة نخبة من شباب الأمّة المؤثرين.

٧- زيارة بعض رؤساء الدول العربية والإسلاميّة:

تحرك بعض العلماء بزيارات إلىٰ عدد من الحكام، وأسمعوهم وجهة نظرهم في القضيّة، وما تنتظره الأمّة منهم، وهو نوع من البلاغ، وإقامة الحَجَّة، امتثالًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]، وأولو الأمر هم العلماء والأمراء، والذين يستنبطونه هم العلماء منهم. وطالب العلماء رؤساء الدول العربية والإسلامية كافّة، بما يأتي:

أ- إعلان النفير وتحريك الجيوش لردّ العدوان الصهيوني وتحرير المقدّسات.

ب- قطع العلاقات السياسية والاتفاقيات التجارية.

ج - إلغاء معاهدات التطبيع المذلّ التي أبرمت علىٰ خلاف رغبة الأمّة ومصالحها.

د- استعمال إمكانات الدول التي يحكمونها في إيقاف الإبادة الجماعية للمدنيين والعزّل، والمستمرة منذ سنة كاملة.

هـ- إلغاء كلّ اتفاقيّات التطبيع مع العدو الصهيونيّ فهي محرّمة شرعًا، وهي باطلة أصلًا ولا تُلْزِم المسلمين.

(١) انظر موقع: https: //taqrib. ir/ar/news

٨- **إصدار بيانات رسميّة متتابعة لمجريات الأحداث:** صدرت عن العلماء بيانات مشتركة كثيرة متنوّعة أكمل بعضها بعضًا، ومن أهمّ ما صدر عنهم[١]:

- بيان علماء الأمّة حول استمرار العدوان الصهيوني علىٰ المصحف الشريف والمساجد في غزّة.
- بيان علماء الطوفان قيامًا بالواجب واستجابة لنداء أبي عبيدة.
- تصريح صحفيّ للعلماء.
- البيان الختاميّ للملتقىٰ الدُّوَليّ الثالث لمؤسّسات العلماء.
- بيان نداء الأقصىٰ وغزّة.
- بيان الدعوة لمقاطعة المنتجات الداعمة للكيان الصهيوني.
- بيان منظمات المجتمع المدنيّ في تركيا يدعو الرئيس التركي رجب طيب أردوغان لوقف الإبادة الجماعيّة في غزّة.

٩- **نشر الوعي بحقيقة الصراع مع الصهاينة:** من خلال المحاضرات والدروس ومواقع التواصل الاجتماعي، مع أهمّيّة التذكير بتاريخهم الإجراميّ ضد الشعب الفلسطيني، منذ النكبة وإلىٰ اليوم، والإشارة إلىٰ أهدافهم في السيطرة علىٰ كلّ فلسطين، علىٰ اعتبار أنّها أرض يهوديّة، من خلال كلّ المنصات الإعلاميّة والأنشطة.

١٠- **الجولات الدعويّة** علىٰ الدول والجامعات والهيئات العلمائيّة والأحزاب والجمعيّات الإسلاميّة والمساجد الكبرىٰ في المدن؛ بهدف التركيز علىٰ ما يثبت الناس، ويفتح لهم أبواب الأجر، وبيان بعض الأحكام والمسائل المتعلّقة بالنصرة والدعم لغزّة، وتصحيح بعض المفاهيم والمعتقدات وفق الآيات القرآنيّة، ولا سيّما التي تنهىٰ عن ظنّ العجز وعدم القدرة علىٰ الكافرين، وغيرها من الموضوعات. مثال

(١) انظر مضمون البيانات علىٰ موقع: https: //palscholars. org/declarations-categories/03/page/3

ذلك: قدّمت هيئة علماء فلسطين محاضرة بعنوان: «آليّات النصرة والمشاركة الفاعلة في طوفان الأقصىٰ» ضمن «الملتقىٰ الأوّل لشباب المدارس الشرعية» في مدينة ديار بكر التركيّة في المدّة ما بين (١٢-١٦/ ١٠/ ٢٠٢٤).

١١ **النشر الإلكترونيّ للمواد الشرعيّة** علىٰ أوسع نطاق، فهي عنوان كبير للاهتمام والمتابعة خاصّة من شريحة الفتيان والشباب، وعرض أنموذج الرسل والصحابة الأولين في جانب التضحية من أجل الدين، والعمل علىٰ نشر ثقافة المقاومة وسنن الله تعالىٰ في النصر والتمكين الذي تبعث علىٰ الأمل، وتقوي الإيمان، وتثبت القلوب، ولعلّ من أبرزها: الحديث عن عظمة الله وقدرته المطلقة.

١٢- **نشر الإصدارات** من كتب ومقالات لنماذج مشرقة من ميدان الجهاد وبطولات المجاهدين، أو الميدان الاجتماعي والقيميّ وما يكون فيه من نماذج ملهمة. والتذكير بسنن الله في الكون من إمهال الظالمين، وتمحيص المؤمنين مثل كتاب: معركة طوفان الأقصىٰ «نَظْرَة إعلاميّة... ومقاربة شرعيّة»، إصدار هيئة علماء فلسطين. للكاتبة: رانية محمّد نصر/ ماجستير صِحافة إذاعية وتلفزيونية / مسؤولة اللجنة الإعلامية في قسم المرأة هيئة علماء فلسطين.

١٣- **دعوة للتبرّع**: إطلاق حملات للتبرّع بالمال والغذاء والدم في بلدان العالم العربي والإسلامي، عبر المنافذ الرسميّة والأهليّة المتاحة، والتعاون مع مؤسسات إعلاميّة وإغاثيّة لتنظيم حملات إغاثيّة وإنسانيّة واسعة النطاق، منها: الحملة التي أعلن عنها في الأوّل والثاني من أكتوبر/ تشرين الأوّل، لدعم أهل غزّة في ظلّ الأزمة الإنسانيّة المتفاقمة.

١٤- **دور المرأة**: عقدت فعاليّة دوليّة تشارك فيها عالمات وداعيات من مختلف الدول الإسلاميّة لتسليط الضوء علىٰ أهمّيّة دور المرأة في نصرة القضيّة الفلسطينيّة في ٢٩ سبتمبر/ أيلول. ونظّم قسم المرأة في هيئة علماء فلسطين، الخميس ٨ فبراير الجاري، ملتقىٰ «طوفان العالمات» عبر منصّة زووم وبمشاركة عدد من الفاعلات

بالتخصّصات الشرعيّة والثقافيّة والإعلاميّة ضمن «أسبوع القدس العالميّ» الرابع دعمًا لغزّة ولقضيّة فلسطين.

١٥- **المقاطعة الاقتصاديّة:**

سلاح المقاطعة سلاح مؤثّر وقاطع ولا يستهان به، وقد ظهر تأثيره بهبوط أسعار أسهم الشركات الداعمة للكيان الصهيوني، وأجبرتها المقاطعة على عرض جميع منتجاتها وبيعها بأسعار مخفّضة، وقد صدر عن العلماء بيان الدعوة لمقاطعة المنتجات الداعمة للكيان الصهيوني[1]، أبرز ما جاء فيه: ندعو الشعوب المسلمة إلى اتّخاذ موقف حازم دفاعًا عن إخوانهم المسلمين في قطاع غزّة وفلسطين بمقاطعة المنتجات الداعمة للعدو كافّة حتّى لا يكون هناك تمادٍ في العدوان واستخفاف بالمسلمين، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢].

١٦- **الدعاء والضراعة**: الدّعوة إلى قيام ليلة الثالث من أكتوبر في جميع السّاحات للدعاء والضراعة، وقد أقيمت صلاة ركعتي القيام في المساجد والساحات في بلدان عديدة تضامنًا مع غزة.

١٧- **إحياء الذكرى السنوية الأولى** بمناسبة مرور عام كامل على معركة طوفان الأقصى، أطلقت في مدينة إسطنبول نشاطات في يوم الذكرى السنويّة، وهو الموافق يوم الخميس ٢٦/ ٩/ ٢٠٢٤، واستمرّت الفعاليّات حتّى الذكرى السنويّة حسب التاريخ الميلاديّ ٧ أكتوبر ٢٠٢٤م. وقد وُجّهت الدعوات لعلماء الأمّة للمشاركة، وإقامة فعاليّات في بلدانهم.

١٨- **الزيارات الميدانيّة للدّول** وتواصلهم مع الشعوب العربية والإسلاميّة (السياحة الجهاديّة): بغرض تحقيق الأهداف التالية:

(١) انظر نصّ البيان: https: //palscholars. org/

- تقوية الوازع الديني لدىٰ عامّة الناس، وربطهم بالقضية الفلسطينية.

- تخصيص جزء من خُطْبة الجمعة لشرح القضيّة، وحثّ المصلِّين علىٰ التبرعّ والدعاء لهم.

- التأكيد علىٰ أنّ القضيّة تخصُّ المسلمين والعرب جميعهم، والردّ علىٰ الشبهات والأقاويل والمزاعم المنتشرة بين عوامِّ الجماهير العربيّة والمسلمة، التي تَفُتُّ في عضدهم، وتخذّلهم عن نصرة إخوانهم.

- التعريف بجهاد الشعب الفلسطينيّ بمختلف فصائله، وكفاحه علىٰ طريق المقاومة، وإبراز أنموذج المجاهدين والمقاومين منهم، ودور التيار الإسلاميّ في هذا الكفاح، وكشف خداع المصطلحات والأسماء، وتكريس المعاني الصحيحة لها في أذهان الناس وعلىٰ ألسنتهم؛ فالجهاد ومقاومة المحتل ليس إرهابًا، والعمليّات الاستشهادية ليست انتحارًا... إلخ.

- التأكيد علىٰ أن ما يحدث له جذور لا تَرْجِع إلىٰ التفوّق العسكريّ للعدو الصهيوني، بقدر ما ترجع إلىٰ تخلِّي المسلمين والعرب عن الأخلاق والقيم والشرائع بينهم.

- محاربة المفاهيم السلبية والمنطق التواكليّ، الذي يُقْنِع الفرد بالاكتفاء بالدعاء دون تأدية ما عليه من واجبات يستطيع القيام بها.

ممّا تقدّم، يمكننا أن نجيب علىٰ السؤال الآتي: ماذا حققّ العلماء فعليًّا نصرة لغزة؟

كان صوت العلماء عاليًا في رفد المقاومة، ودعوة الشعوب الإسلاميّة إلىٰ الوقوف معها، وإذكاء روح الأخوّة والنصرة. هذه المحددات وغيرها، كان لها الأثر الفعلي الميداني علىٰ مستوىٰ شعوب الأمّة في نصرة معركة طوفان الأقصىٰ خارج فلسطين من قبل العلماء.

والأثار المميزة الذي حقّقها العلماء -علىٰ سبيل المثال لا الحصر- تتمثّل في:

١- إعادة هُوِيَّة القضيّة الفلسطينيّة إلىٰ مكانتها الدينيّة المقدّسة لدىٰ الشعوب المسلمة، فهي أرض وقف، وفيها مسرىٰ النبيّ محمّد -صلّىٰ الله عليه وسلّم- وأولىٰ القبلتين.

٢- إخراج القضية الفلسطينية من الدائرة الوطنيّة والقوميّة الفلسطينيّة، إلىٰ دائرة الانتماء إلىٰ كلّ مسلم في الأمّة جمعاء.

٣- استنهاض شعوب الأمّة علىٰ قضية مُقدّسة دينيّة جامعة، تحظىٰ بالمكانة السامية، ونبذ الفِرَاقَ والاختلاف.

٤-إخراج الأمّة من النَّظْرَة الضيقة (فتن طائفية، خلافات مذهبية...) إلىٰ القضايا المركزيّة والإستراتيجيّة الجامعة.

٥-تعزيز ثقة الأمّة بقدرتها علىٰ التوحّد والاجتماع والتلاقي تحت الراية الإسلاميّة.

٦-تعزيز قيم التكافل والتعاضد والأخوّة والنصر، وإمكانيّة الوحدة بين الشعوب الإسلاميّة.

٧-تذكيرها بأعظم صفاتها، بأنّها أمّة تتصف بالخيريّة كما وصفها القرآن الكريم، رغْم الضعف والهوان الذي تمرّ به.

٨-ظهر أنّ شعوب الأمّة تتعطش لدور ريادي لخدمة الإسلام بقيادة العلماء.

٩- تأصيل فقه القضيّة الفلسطينيّة.

١٠- تفعيل فقه التحرير وفق اجتهاد جماعيّ.

١١- استصدار الفتاوىٰ التي تُلزم الأمّة حكامًا ومحكومين بالعمل لاستنقاذ المسجد الأقصىٰ، وحثّ المؤمنين علىٰ الجهاد والمقاومة.

١٢- مناصرة من يحملون رؤية إسلاميّة للصراع[١].

١٣- تجدّد صفحات جهاد عزّ ومعركة حقّ في الأمّة، لا معارك جانبيّة عنوانها حدود ومياه.

١٤-تغيير قيم ومفاهيم لدىٰ الشباب، مثل: القدوات من شخصيات غربية فنيّة أو رياضيّة، إلىٰ شخصيّات علمائيّة ومقاومة.

١٥- الاحتياج للتمسّك بالمنهج الصافي والتعرّف علىٰ أسباب النصر والتمكين، وسُنن الله في خلقه.

١٦-بيان حكم التطبيع وأثاره السلبيّة ومخاطره علىٰ الأمّة.

١٧- بيان الفرق بين علماء الأمّة وعلماء السلطة، بين من باع الدنيا واشترىٰ الآخرة، وبين من باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم، ففرَّق الله بهذا الطوفان بين الحق والباطل، ولن تزال الحوادث والنوازل تعمل عملها حتىٰ يصير حال الناس إلىٰ فسطاطين: فسطاط حق لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا حقَّ فيه.

المبحث الثاني: الدور المأمول من العلماء نصرة لمعركة الطوفان:

تخوض غزّة معركةً مصيريّةً مع العدو الصهيوني، بعد أن أعلن مقاوموها وقادتها عن معركة الطوفان، وهي بذلك تؤدّي «دورها تجاه القدس والأقصىٰ، من فهم حقيقيّ للصراع ومتطلباته، والهدف المنشود إعادة قضيّة المسجد الأقصىٰ والقدس وعموم فلسطين إلىٰ عمقها الإسلاميّ، ودائرة الاهتمام والأولويّة، والتحرّك بها في ضوء برنامج جهاديّ طويل الأمد، مُتكامل المراحل، يشترك فيه الفلسطينيون والمسلمون من حولهم، دون إغفال المهمّات العاجلة»[٢].

(١) محمد عثمان شبير: بيت المقدس وما حوله، طبعة هيئة علماء فلسطين في الخارج، الطبعة الرابعة، ٢٠١١م، ص: ٢١٤.

(٢) محمد عثمان شبير: بيت المقدس وما حوله، المرجع السابق، ص: ١٠٥.

ومن البدهيّ أن تكون قضيّة فلسطين هي قضيّة العلماء الأولىٰ ومحلّ اهتمامهم، مع تطلّع من شعوب الأمّة دومًا لما يصدر عن العلماء من مواقف وتحرّكات. وقدوتهم في ذلك، تاريخ من الجهاد والعطاء من علماء السلف. ولكن دون ذلك صعاب وتحديات.

المطلب الأول: أبرز التحدّيات والصعوبات أمام العلماء في نصرة غزّة

تعدّدت التحدّيات والصعوبات التي تواجه العلماء نصرة لغزّة، وتنوّعت جوانبها علىٰ المستوىٰ: السياسي والاجتماعي إلىٰ الاقتصادي، فالإعلاميّ. ويتطلب التغلّب عليها تضافر الجهود وتعاونًا أكبر بين العلماء والمجتمعات.

أوّلًا: التحدّيات والصعوبات:

يواجه العلماء العديد من التحدّيات والصعوبات في جهودهم نُصرة لغزة، من أبرزها:

١. التحدّيات السياسيّة:

أ- وجود أنظمة عربيّة وإسلاميّة مُطبّعة، ولديها علاقات دبلوماسيّة مع المحتل الصهيونيّ، بل إنّ هذه الأنظمة تدعو لحلّ الدولتين، وتحقيق السلام الشامل في المنطقة، واعتراف بدولة الكيان بأنّها دولة يحقّ لها الحياة والعيش في فلسطين خاصّة، والشراكة وحسن الجوار مع محيطها العربيّ عامّة. وتعمل الدول المطبّعة بكلّ قدراتها ومكوّناتها علىٰ صرف انتباه جماهيرها عن أيّ فكر ومنهج مُقاوم؛ لأنّها تكشف ضعفها وتقصيرها، وتكون عنصر تثوير للشعوب ضدّ أنظمتها العاجزة.

ب- الضغوط الحكوميّة: بعض الأنظمة السياسيّة تفرض قيودًا علىٰ حرّيّة العمل والتعبير، ممّا يُعيق جهود العلماء في التعبير بحرّيّة عن آرائهم أو إقامة الفعاليّات، وأصبح دور العلماء تابعًا لدور الدولة، وحينما لا يكون للدولة دورٌ فمن المستغرب

أن يكون للعلماء دور؛ لأنهم يتلقَّون أوامر وتوجيهات من الدولة.

ج- الانقسام الفلسطيني: الانقسامات بين الفصائل الفلسطينية تُؤثّر سلبًا علىٰ جهود العلماء في توجيه المجتمع الفلسطيني خاصة، وعموم المجتمعات العربية والإسلامية ومخاطبتها.

د- تهـميش الحكومات لدور العلماء -الذين يصدعون بكلمة الحقّ- وتقوم في الوقت نفسه بالترحيب وتشجيع علماء السلطة، الذين يهلّلون لها، ويباركون كلّ خطواتها، وإن كانت مخالفة لأحكام الدين. ولعلّ الفتاوىٰ التي صدرت من بعض العلماء بجواز التصالح مع اليهود وإقامة علاقات بهم، وتحريم العمليّات الاستشهاديّة التي ينفّذها أبناء فلسطين في وجوه المحتلّين الصهاينة دليل قويٌّ علىٰ أنّ الحكام لا يُقرِّبون إلّا من يُسبِّح بحمدِهم، ويُثني علىٰ قراراتهم، أمّا إذا كان للعلماء رأيٌ مخالفٌ فيتمُّ تهميشهم، بل والتنكيل بهم في بعض الأحيان.

ه- اختلاف سياسات الدول الإسلاميّة وآرائها في القضايا العالميّة أسهم إلىٰ حدٍّ بعيد في اختلاف آراء العلماء ومواقفهم؛ مما أضعف دورهم، وأسكت أصواتهم.

و- «المؤسسات العلمائيّة كسيحة، فالأنظمة قد قيّدتها بالأغلال، وجعلت في أيديها أصفادًا من حديد في بعض البلدان، حتىٰ الدعاء لفلسطين لا يسمح لهم»[1].

٢. التحدّيات الاجتماعيّة:

أ- قلّة الوعي: يعاني بعض أفراد المجتمع من ضعف الوعي والمعرفة في خلفيّة الصراع مع العدو الصهيوني وأبعاده، ممّا يتطلّب جهودًا إضافيّة للتثقيف والتوعية.

ب- التجاهل أو اللامُبالاة: قد يجد العلماء صعوبة في تحفيز الناس علىٰ المشاركة الفعّالة بسبب الشعور باليأس أو الإحباط، ولا سيّما بعد فشل الربيع العربيّ

(١) لقاء مع د. عبد الحي يوسف، عميد أكاديميّة أنصار النبيّ محمّد صلّىٰ الله عليه وسلّم، في برنامج: "طوفان الأقصىٰ"، مقابلة أجراها د. عمر الجيوسي، علىٰ قناة قدسنا، ٧-٤-٢٠٢٤.

في تحقيق حُريّة للشعوب العربيّة، أو لانشغالهم بشؤون حياتهم وأزماتهم الاقتصاديّة في بلدانهم...

٣. التحديات الإعلاميّة:

أ- هيمنة الإعلام الغربيّ: تواجه جهود العلماء وأنشطتهم تعتيمًا مُمنهجًا، بل صعوبة في الظهور علىٰ وسائل الإعلام الرئيسة، من: فضائيّات، وقنوات إخباريّة ...

ب – نقص الموارد: عدم توفّر الموارد الماليّة والإعلاميّة اللازمة لدعم الحملات التوعويّة.

٤. التحدّيات الاقتصاديّة:

أ- التمويل المحدود: قد يواجه العلماء صعوبة في جمع التبرّعات اللازمة لدعم المبادرات والمشاريع المتعلّقة بغزّة. وأيضًا ظروفًا اقتصاديّة صعبة، لدىٰ عددٍ من الدول العربيّة أو الإسلاميّة.

ب- المقاطعة الاقتصاديّة: يتعرّض بعض العلماء لضغوط نتيجة إصدار الفتاوىٰ والمواقف الداعمة للقضيّة الفلسطينيّة.

٥. التحدّيات الثقافيّة:

أ- الاختلافات الفكريّة: تنوّع الآراء والانتماء الحزبيّ أو الفكريّ بين العلماء قد يؤدّي إلىٰ تباين في إستراتيجيّات الدعم؛ ممّا يُعقّد جهود التعاون.

ب- العزلة: في بعض الأحيان، قد يشعر العلماء بالعزلة عن المجتمع الدُّوَليّ بسبب المواقف السياسيّة.

ج- تعدّد الأيديولوجيّات بين الحركات الإسلاميّة التي لا يوجد وفاق بينها، وبالتالي تُضعف دور العلماء.

د- اعتبار دور العالم وظيفة يقوم بها داخل المسجد فقط، وعدم السماح له بالتدخّل في شؤون المجتمع.

٦. التحدّيات التقنيّة:

أ- عدم استخدام التِقَانَة: يفتقِرُ بعض العلماء إلىٰ المهارات أو الموارد اللازمة لاستخدام التِقَانَة الحديثة في تعميم مواقفهم، ونشر رسائلهم.

٧- المخاطر الأمنيّة:

ضعف دور العلماء ليس مرتبطًا بالوقت الراهن، بل يمتدّ إلىٰ الماضي القريب، حين تعرّض العلماء والمجاهدون منهم للقتل أو الاعتقال أو النفي، وأُسكت صوتُهم علىٰ يد دول قمعيّة في عالمنا العربيّ، وحلَّ العِلمانيّون محلّ العلماء، وضاع كلُّ دورٍ لهؤلاء العلماء، كمرجعيّة للأمّة.

ثانيًا: ثقافة «التفاعل الآنيّ» مع متطلّبات المعركة:

الثبات في حراكات مُستمرّةٌ وهادفة بما يتناسب مع احتياج معركة طوفان الأقصىٰ من قِبل شعوب الأمّة العربيّة والإسلامية هو تحدٍ كبير، فالتفاعل الآنيّ مع الحدث، ومدىٰ سخونته وخسائر العدوّ والمجازر والشهداء والدمار تكون مقياسًا لدرجة التفاعل، وهو سرعان ما يخبو مع توقّف الحدث أو اتّخاذه نسقًا مستمرًّا معتادًا «رتيبًا»[1].

مع العلم، أنّ العدوّ الصهيونيّ يعمل بشكل منهجيّ، وضمن رؤية محدّدة تلقىٰ دعمًا غربيًّا عالميًّا لإنهاء قضيّة فلسطين، وتشويه مقاومة الشعب الفلسطينيّ، ونعتها بالإرهاب. وتحميلها مسؤوليّة معاناة ما يلاقيه من المحتلّ، مع تشويهٍ للحقائق وتزييفها، وتبديل الحقائق التاريخيّة، وصناعة مشهد أنّ العدو الصهيونيّ هو صاحب الأرض، وأنّ الشعب الفلسطينيّ هو شعب بلا أرض ولا هُوِيَّة.

(١) محسن محمد صالح: مقال بعنوان: "العلماء وفلسطين، تنزيل النصوص علىٰ الواقع المعاصر"، ٢٥/ ٢/ ٢٠٢٤، مدونات الجزيرة، https: //www. aljazeera. net/

المطلب الثاني: المأمول من العلماء في نصرة غزّة:

يقع علىٰ العلماء الواجب والدور المتقدّم في نصرة معركة طوفان الأقصىٰ، وهو المأمول منهم، أن يكونوا في مقدّمة الركب، بل يقع عليهم الفعل الكبير، وتحقيق الدور المُؤثّر. والسؤال المطروح:

ما المأمول من العلماء القيام به أفرادًا ومؤسسات نصرة لمعركة الطوفان؟

أوّلًا: المأمول من العلماء علىٰ المستوىٰ الفرديّ:

«إنّ أقلّ المطلوب من العلماء حتّىٰ تدبّ بقيّة روح في كلماتهم وبياناتهم وفتاواهم المناصرة لفلسطين؛ أن يضعوها علىٰ قائمة أولويّاتهم تحرّكًا وعملًا وبرمجة وتخطيطًا وتنفيذًا. مطلوب منهم أن يقفوا مليًّا أمام صور علماء غزة ودعاتها وخطبائها المتسربلين بدمهم وقد أدّوا ما عليهم وأدّوا حقّ العلم الذي يحملونه بين جنبيهم، وأن يسألوا أنفسهم: وماذا عنّا نحن؟»[1].

وعليه، المأمول من العلماء بعد خشية الله تعالىٰ ومراقبته بدايةً:

١- «الفقه» بحقيقة المعركة ومآلاتها علىٰ الدين الإسلامي والأمّة جمعاء والمقدّسات:

يقول الشيخ القرضاوي: «الحقّ أنّنا في حاجة إلىٰ فقه جديد، نستحقُّ به أن نكون ممَّن وصفهم الله بأنّهم (قوم يفقهون). فليس مرادنا بالفقه: العلم المعروف الذي اصطلح علىٰ تسميته (فقهًا)، والذي يعني: معرفة الأحكام الشرعيّة الجزئيّة من أدلَّتها التفصيليّة، من مثل أحكام الطهارة والنجاسة والعبادات والمعاملات وأحكام الزواج والطلاق والرضاع وغيرها.

فهذا العلم – علىٰ أهمّيّته – ليس هو مرادنا بالفقه، وليس هو المراد بكلمة (الفقه)

(١) محمد خير موسىٰ: رسائل العلماء والدّعاة الشّهداء في الحرب علىٰ غزّة إلىٰ العلماء والدّعاة في الأمّة، الأناضول، ٢٠٠٤ 9-Jun-PMx. com/muhammadkhm

حيث وردت في القرآن والحديث، وإنّما هي ممّا بُدِّل من الأسماء والمفاهيم، كما بيَّن ذلك الإمام الغزالي في كتاب (العلم) من موسوعته المعروفة (إحياء علوم الدين)[١]. ومثله قوله صلّىٰ الله عليه وسلّم: «ومَن يُرِد الله به خيرًا يفقِّهه في الدين»[٢]. والمعنىٰ أن ينير الله بصيرته فيتعمَّق في فَهم حقائق الدين وأسراره ومقاصده، ولا يقف عند ألفاظه وظواهره. وأنّ أنوع الفقه المطلوبة خمسة: وهي فقه المقاصد، وفقه الأولويّات، وفقه السنن، وفقه الموازنات، وفقه الاختلاف، وأضفت إليها في مكان آخر: فقه المآلات»[٣].

٢- فقه الواقع:

تعريف فقـه الواقع بأنّه: «الفهم العميق لواقع المسلمين بكلّ جوانبه، وتنزيل الأحكام الشرعيّة المراعية لذلك الواقع. وفي هذا التعريف يتبيّن أنّ فقه الواقع يرتكز علىٰ مرتكزين:

أ- فهم عميق عن علم ودراية بأحوال المسلمين من كلّ الجوانب الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة.

ب- مراعاة ذلك وتنزيل الأحكام الذي تتلاءم وتتناسـب مع واقع المسلمين، من خلال إعمال العقل ومراعاة المصالح وفق مقاصد الشريعة»[٤].

وتكمن أهمّيّة فقه الواقع في الأمور الآتية:

---

(١) أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، المرجع السابق، مجلد: ١، ص: ٣٢.

(٢) البخاري: أبوعبدالله محمد بن اسماعيل: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، المحقق: محمد بن زهير، دار طوق النجاة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢، كتاب: الاعتصام في الكتاب والسنة، رقم الحديث: ٧٣١٢. ص: ٣٢٢٠.

(٣) يوسف القرضاوي: أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، نشر مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة السادسة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م. ص: ٢١-٢٥.

(٤) سعيد محي الدين المجمعي: فقه الواقع وأثره في الأحكام الشرعيّة، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، العدد: ٦٤، ٢٠٢١، ص: ٤١٣.

- إخضاع الجزئيّات لمقتضىٰ الشريعة الإسلاميّة، وبيان أنّها صالحة لكلّ زمان ومكان.
- ضبط مسيرة الفرد والمجتمع والدولة بربطها بأحكام الشرع ومقاصده.
- التأكيد علىٰ مراعاة اختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال والأعراف لدىٰ تكييف الحكم الشرعيّ.
- تحقيق الارتباط الوثيق بين الأصل والعصر عبر معادلة مستقرّة لا تهزّ الثوابت لتتغيّر، ولا تجمّد الحياة وتوقف تجددها[١].

٣- اعتبار المآلات:

عرّفه د. أحمد الريسوني فقال: «اعتبار المآل في الاصطلاح الفقهيّ الأصوليّ يعني: استشراف التطوّرات والتداعيات التي يمكن أن يؤول إليها الفعل مستقبلًا، ثمّ إدخالها في حيثيّات الاجتهاد والحكم علىٰ ذلك الفعل؛ أي: إنّ الاجتهاد يأخذ بعين الاعتبار الحال والمآل، الحاضر والمستقبل. بمراعاة ما تؤول إليه الأمور في مستقبلها المتوقّع وعدم الاقتصار علىٰ واقعها وحاضرها ونتائجها الفورية»[٢].

هذه المآلات وفق مصطلح العلماء تُمثّل مساراتٍ للأمّة في حاضرنا ومستقبلنا، بل تلك المآلات حفظت الأمّة علىٰ مدار التاريخ؛ كما في موقف الإمام ابن تيميّة، والعالم العز بن عبد السلام في التصدّي لغزو التتار للأُمّة الإسلاميّة.

٤- الوعي بسنن التمكين في الأرض:

«إنّ **المأمول** في بناء الأمم لحضاراتها عبر التاريخ أن تخضع لسنن وقوانين، ومنهج تستمدُّ منه العقائد، والأخلاق، والعبادات، والقيم، والتَّصوُّرات»[٣]. هذه

(١) عصام البشير: حول فقه الواقع، مقال منشور علىٰ صفحة الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ٠٦/٠٣/٢٠٢٠، الموقع: https: //www. iumsonline. org/ar/

(٢) أحمد الريسوني: تعليمات الأساس لعلم المجاديف القضائيّة: دار اللغة. القاهرة. الطبعة الأولىٰ. ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

(٣) علي محمد الصلابي: مقال بعنوان: " فقه النّبيِّ صلىٰ الله عليه وسلم في التّعامل مع السُّنن، ٢٩ أبريل

السُّنن لها أهميتها ومكانتها، «فالتَّمكين لن يتحقَّق بين عشيّةٍ وضحاها، وفي طرفة عينٍ، دون النَّظر في العواقب، ودون فهمٍ للظُّروف، والملابسات المحيطة بهذا الواقع، ودون إعدادٍ جيِّدٍ للمقدِّمات، أو للأساليب، والوسائل»[١].

٥- الوعي بفقه التدرّج: سنّة التَّدرُّج ينبغي أن تُتَّبع في منهج حياة النَّاس، فإذا أردنا أن نقيم مجتمعًا إسلاميًّا حقيقيًّا؛ « فلا نتوهَّم: أنَّ ذلك يمكن أن يتحقَّق بقرارٍ يصدر من رئيسٍ، أو ملكٍ، أو من مجلسٍ قياديٍّ، أو برلمانيٍّ، وإنَّما يتحقَّق ذلك بطريق التَّدرُّج؛ أي: بالإعداد، والتَّهيئة الفكريَّة، والنَّفسيَّة، والاجتماعيَّة»[٢].

«هذا هو المنهج الَّذي اتّبعه النَّبيُّ -صلّىٰ الله عليه وسلّم- لتغيير الحياة الجاهليَّة إلىٰ الحياة الإسلاميَّة، فقد ظلَّ ثلاثة عشر عامًا في مكَّة، كانت مهمَّته الأساسيّة فيها تنحصر في تربية الجيل المؤمن، الذي يستطيع أن يحمل عبء الدَّعوة، وتكاليف الجهاد؛ لحمايتها، ونشرها في الآفاق، ولهذا لم تكن المرحلة المكِّيَّة مرحلة تشريعٍ بقدر ما كانت مرحلة تربيةٍ، وتكوينٍ»[٣].

٦- فقه الأولويّات: من فقه الأولويّات لدىٰ العلماء فهم الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة عند النوازل، وتطبيقها عمليًّا، ورسالة التابعيّ الجليل عبد الله بن المبارك من ثغور الشام إلىٰ التابعيّ الجليل الفضيل بن عياض في المسجد الحرام بمكّة المكرّمة شاهد علىٰ فقه الأولويات لدىٰ علماء الأمّة، عندما أرسل إليه شعرًا جاء فيه:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك في العبادة تلعب
أو كان يتعب خيله في باطل ... فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ... رهج السنابك والغبار الأطيب

٢٠٢١، الموقع: https: //www. rabtasunna. com/8046

(١) يُوسُف القرضاوي: جيل النَّصر المنشود، مكتبة وهبة، القاهرة، ص ١٥.

(٢) علي محمد الصلابي: فقه النّبيِّ صلىٰ الله عليه وسلم في التّعامل مع السُّنن، الخميس، ٢٩ أبريل ٢٠٢١، الموقع: https: //www. rabtasunna. com/٨٠٤٦.

(٣) سيد قطب، في ظلال القران، دار الشروق، ٢٠٠٣، مجلد: ١، ص: ٤٧٨.

ولقد أتانا من مقال نبينا قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي غبار خيل الله في أنف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بينا ليس الشهيد بميت لا يكذب »[١].

٧- **الإفتاء وقول الحقّ**: العلماء تقع عليهم مسؤولية الإنذار بالخطر، ليس فقط في فهم الواقع ومتابعة الأخبار، وإنّما في تمحيص المعلومات وتدقيقها، وفي الربط بين الأحداث وفهم خلفيّاتها، ومعرفة مآلاتها، وصولًا إلىٰ الإفتاء الموجّه النافع للواقع.

«فالشجاعة النفسيّة والقلبيّة التي تمكّن العالم من قول الحقّ والصدع به -كما قال ابن القيّم أعلاه- فإنّ الله ناصره وهاديه، وإلّا لا يمكن الفعل من (مهمّة) العلماء، ولا وظيفة الربّانيّين، ولا القيام بمقتضىٰ البيان والبلاغ وأداء الأمانة الملقاة عليهم، فهذه الشجاعة النفسية هي التي تضمن للعالم -مع التقوىٰ والخشية- أن يحقّق المهمّة وأداء الأمانة، وتحقيق بسط سلطان الشريعة بحقّ علىٰ الحياة والأحياء، وهذا -بلا شكّ- له ضريبة وله تضحيات يقدّمها العالم راغبًا في فضل الله غير منتظر جزاء ولا شكورًا من سواه»[٢].

٨- **بيان الأحكام الشرعيّة المتعلّقة بالقضيّة عامّة**: «هنا يأتي دور العلماء في بيان الحقائق الشرعية، وذكر الأحكام الفقهيّة لهذه النوازل؛ سعيًا لإجابة الناس وإفتائهم، ولكي يكون المسلمون تحت مظلّة شريعة ربهم لا يخرجون عن سلطانها، ويخضعون لأحكامها تعبّدًا لله وطلبًا لرضاه»[٣].

٩- **التصدّي لتزييف الوعي**: من خلال العلماء يتمّ التصدّي للأخبار

(١) شمس الدين محمد بن عثمان: الذهبي (٧٤٨ـ): سير أعلام النبلاء، اشراف وإخراج: شعيب الأرنؤوط، تحقيق: نذير حمدان، ١٩٩٣، مجلد: ٨، ص: ٤١٢.

(٢) وصفي عاشور أبو زيد: "مسئولية العلماء نحو طوفان الأقصىٰ"، https: //www. aljazeera. net/blogs/٢٠٢٤/٥/١٥/

(٣) د. هايل تكروري: صرخة نذير إلىٰ علماء الأمة وأحزابها وقواها الحية، ١/ ١١/ ٢٠٢٤ // https: palscholars. org

والتقارير الإعلاميّة المضلِّلة والموجَّهة، التي تسعىٰ وتخدم -في كثير من الأحيان- أنظمة فاسدة مستبّدة، أو سياسات غربيّة استعماريّة، أو دعايات صهيونيّة، أو تعكس حالات إحباط وتخذيل.

١٠- **رجل الموقف ومشروع شهادة** عند النوازل والفتن: تحتاج الأمّة العالم الذي يُوصف بأنّه: «رجل الموقف»، وخاصّة، «حين تختلط الأمور ويتشتت الناس، وتعمَّ الفتن وتشتد وطأة الظالم المستبدّ، فيصبح العالم «مشروع شهيد»[١] يُطبّق قول رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم: «أفضلُ الجهادِ كلمةُ عدلٍ عند سُلطانٍ جائرٍ»[٢]، وقوله: «سيِّدُ الشُّهداءِ حمزةُ بنُ عبدِ المطَّلبِ، ورجلٌ قام إلىٰ إمامٍ جائرٍ فأمره ونهاه فقتله»[٣].

١١- علماء الطوفان:

«إنّ المأمول من كلّ عالم أن يخوض غمار المعركة والتضحية إلىٰ جنب أولئك الذين سُفكت دماؤهم دفاعًا عن المقدّسات، والصدح بالحقّ، واجتراح الآليّات العمليّة والميدانيّة»[٤]. ولعلّ أهمّ ما ترسله هذه الدماء الزكيّة التي أريقت من علماء ودعاة غزة من رسائل؛ هي تلك الذي توجّه إلىٰ إخوانهم من علماء الأمة. والسؤال المطروح عن مواصفات «العالم العامل»، «فهل العالم العامل هو الذي جمع العلومَ وصار مكتبة شرعيّة متنقّلة، أم هو الذي تقدّم إلىٰ الثّغور فسبق إليها؟»[٥].

---

(١) محسن محمد صالح: العلماء وفلسطين، تنزيل النصوص علىٰ الواقع المعاصر، مقال نشر علىٰ مدونة الجزيرة، ٢٧/ ٢/ ٢٠١٧، https: //www. aljazeera. net/opinio

(٢) أبوداود: سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود، رقم الحديث: ٤٣٤٤، والحديث صحيح، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) بدر الدين العيني: عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، رقم الحديث: ٣٨٤٤، باب قتل حمزة رضي الله عنه، دار إحياء التراث العربي، مجلد: ١٧، ص: ١٥٧، الراوي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

(٤) د. نوّاف هايل تكروري: صرخة نذير إلىٰ علماء الأمة وأحزابها وقواها الحية، ١/ ١١/ ٢٠٢٤ // :ttps palscholars. org

(٥) محمد خير موسىٰ: رسائل العلماء والدّعاة الشّهداء في الحرب علىٰ غزّة إلىٰ العلماء والدّعاة في الأمّة، الأناضول، ١٩-Jun-٢٤. PMx. com/muhammadkhm.

مسك الختام: نُجمل المأمول من العلماء كأفراد، وفق الآتي:

- «أن ينزل العالم إلىٰ الميدان، فلا يبقىٰ متقوقعًا بين دفوف الكتب ورفوف المكتبات، ولا أن يظنّ أنّه أدّىٰ المهمّة بدرسٍ مسجديّ، أو بالتوقيع علىٰ بيان جماعيّ أو فتوىٰ مشتركة»[١].
- «أن يتقدّم الصفوف، ويرفع الرايات، فالأمّة تمتاز بالخير وتعمر بالفضل، والحاجة إلىٰ من يستثمر، ولن يقوم بهذا إلّا العلماء.
- مُتابعة الأحداث التي تصنع العلماء الربّانيّين، ويصنعها الفقهاء الصادقون، وبها يميز الله الخبيث من الطيب، والعالم الصادق من المنافق، وربّ موقف صادق للعالم تحيا به الأمة.
- الحضور في ثغور المواقف وتقدّم الصّفوف، وقول الحقّ بلا خشية، وإعلان الحقائق بلا مواربةٍ، ومجابهة الظالمين بلا وجل، والصّدع بالهويّة بلا خجلٍ.
- ترشيد سبيل العاملين بلا كللٍ»[٢].

ثانيًا: المأمول من العلماء كهيئات ومؤسّسات:

ينبغي أن تدرك المؤسسات العلمائيّة طبيعة المعركة ومآلاتها، وأن تنظر إلىٰ ميدان عملها، وموضع قدمها في الصراع الجاري علىٰ أرض غزّة، بل عليها أن تجعل من معركة طوفان الأقصىٰ قبلة للنفير والجهاد في سبيل الله تعالىٰ، وأن يتحقّق بها الفعل، وقد أرسل علماء غزّة وقادة المقاومة رسائل إلىٰ علماء المسلمين خارج فلسطين يذكّرون بها علماء الأمّة وأئمتها ودعاتها وخطباءها وأدباءها وكتابها والبلغاء كلّهم من جميع أقطار العالم بواجب النصرة لهم، وبخطوات واضحة ومحددة.

---

(١) محمد خير موسىٰ: رسائل العلماء والدّعاة الشّهداء في الحرب علىٰ غزّة إلىٰ العلماء والدّعاة في الأمّة، المرجع السابق.

(٢) وصفي عاشور أبو زيد: المرجع السابق، مقال منشور علىٰ مدونة الجزيرة، https: //www. alja-zeera. net/blogs/٢٠٢٤/٥/١٥/

فالأمّة اليوم تحتاج إلىٰ عمل متواصل، وجهود متراكمة، ونبذ للفرقة والعصبيّات والقوميّات والحدود التي وضعها الاستعمار؛ حتىٰ تأتي اللحظة المناسبة التي تكون الأمّة فيها مؤهّلة لتلبية نداء الجهاد، وتحرّر بيت المقدس في نهاية المطاف، كما حرّره صلاح الدين الأيوبيّ وهناك العديد من المبادرات الفاعلة التي يقترحها الباحث.

خاتمة البحث:

بعد استعراض الجهد المبارك للعلماء في الميدان وتلمّس أثر الفعل في الواقع، يستكمل الباحث الصورة كاملة مع جملة من المقترحات والتوصيات – بعد توفيق الله – للدور المأمول في المستقبل:

١- إعداد تقييم موضوعيّ لأداء أدوار العلماء (أفراد)، والهيئات التابعة لهم (مؤسّسات) خلال عام، وتتضمّن فقرات التقييم الآتي:

- تقييم للدور والأداء.
- مستوىٰ الفاعلية.
- الأثر الذي تحقّق.
- ما أُنجز من أهداف.
- النتائج التي تمّ التوصّل إليها.

ونهدف من التقييم الاستمراريّة في العمل مع التحسين والتطوير، وتحديد مكامن القوّة للهيئات العلمائيّة في بلادهم والعمل علىٰ تطويرها وتكاملها. مع أهميّة قراءة مشهد الحرب المُتسارع والمتجدّد بالمتغيرات، ووضع خطط عمل مُؤثّرة واقعيًّا، لا عاطفيًّا، والتركيز في الخطط علىٰ مخاطبة الشعوب العربية في دول الطوق وتعبئتها، وكذلك الداخل الفلسطيني، وعموم شعوب الأمّة.

٢- إعادة هيكلة أقسام عمل الاتحادات والهيئات والتجمّعات الإسلاميّة، وأولويّاتها وخططها بما يخدم ويتناسب مع معركة طوفان الأقصىٰ، والمخاطر المحدقة بها، وبالأمّة جمعاء:

(مقترح أقسام العمل: مواجهة مشروع السلام، والتطبيع، ومقاومة مشروع «حدودك يا إسرائيل»، قسم لنصرة المسجد الأقصىٰ، استنهاض الأمّة، قيادة شبابيّة وتعزيز دورها، بناء تربويّ وفق مشروع الجهاد وعودة الخلافة، السياسة الشرعيّة والتفاوض، الفتاوىٰ، الدعوة للجهاد بالنفس والمال، الإعلام الموجّه بكلّ أنواعه، توظيف التقانة الحديثة، العلاقات الدوليّة، العلاقة مع الحكّام، مدارس الطوفان، تعليم عن بعد ...)

٣- **دراسة تجرِبة اليهود ونجاحاتهم في فرض قانون «معاداة الساميّة» علىٰ القارة الأوربّيّة**: يُعِدّ العلماء في أوروبا وبالتعاون مع رجال القانون والسياسة والاجتماع مشروعًا مقابلًا لقانون مناهضة الساميّة، عنوانه: «معاداة الحرب علىٰ غزة، والإبادة الجماعيّة فيها». وبذلك يُحسن العلماء استثمار الحالة الشعبيّة والحراك الشعبي وبعض الرسمي في القارة الأوربّيّة.

٤- **التخطيط الإستراتيجيّ**: إعداد العلماء مشروعًا إستراتيجيًّا (نظريًّا، وتطبيقيًّا) بالتعاون مع علماء التخطيط والإدارة والسياسة، وعلماء استشراف المستقبل. ووضع خُطَّة سنويّة مُهدّفة قابلة للتطبيق والتأثير والتغيير، عبر حَراك شعبي عربي إسلاميّ مُنتظم يكسر حالة الوهن والتراخي، ويصل إلىٰ حالة التأثير في بلدانهم، وتحقيق خطوات علىٰ مستوىٰ استصدار قرارات وأفعال من قبل الحكام وقادة الجيش، تُوقف الحرب، وتسمح بإدخال المساعدات كحدّ أدنىٰ.

٥- **قيادة الحملات التضامنيّة**: استمراريّة العمل وفق فعاليّات ودور ريادي؛ يُحدث تأثيرًا نوعيًّا، ينتُج عنه اتخاذ خطوات تضامنيّة وقرارات من الحكومات العربيّة والإسلامية بحدّها الأدنىٰ، تُعيد الحقّ لأهله، والإعلان عن الخروج في مسيرات مفتوحة أمام سفارات كيان الاحتلال أينما وُجدت، وأمام سفارات الدول الداعمة له عسكريًّا بالعتاد والسلاح أو حتّىٰ بالمواقف.

٦- **تعزيز مشروع المقاطعة الشعبيّة** للمنتجات والشركات الداعمة لإسرائيل ومن يساندها مُجدّدًا؛ لتصبح حالة أو ظاهرة مجتمعيّة يلتزم بها البائع قبل المشتري، واقتراح

المزيد من الأفكار لتفعيل المشروع واستمراريّته، وإبراز النتائج التي تحقّقت حتّىٰ الآن، وأثرها علىٰ كبرىٰ الشركات في العالم (إغلاق شركة كارفور لأفرعها في الأرْدُنّ، خسائر بالمليارات لشركة ستاربكس للقهوة...) سواء كانت في بلاد المسلمين، أو غير المسلمين.

٧- **إعادة تعميم فتوىٰ وجوب ومشروعيّة المقاطعة** ونشرها عبر وسائل التواصل الاجتماعي، والتذكير بالموضوع في خطب الجمعة، وابتكار وسائل دعائيّة جديدة لتصل الفكرة لكلّ بلدان العالم وبتنوّع لغاتهم، وتوضيح أهداف المقاطعة؛ كونها تحرُّرًا من أسر العادات الاستهلاكيّة، إلىٰ جانب كونها وسيلة للضغط علىٰ العدو ومساندیه، والردّ علىٰ الشبهات الخاصّة التي تُثار حول الموضوع، والانتباه إلىٰ الحيل الإسرائيلية في الالتفاف عليها، وابتكار طرق إبداعية في كسر الحصار الماليّ عن أهل غزّة.

٨- **تشكيل جيش الخبراء والكفاءات**: استقطاب العلماء للخبراء والكفاءات في الأمّة في جيش متكامل؛ لتوظيف مكامن القوة والغلبة فيها، واللقاء بهم دوريّا والاستماع لمقترحاتهم وبرامج عملهم لنصرة المعركة.

٩- **تشكيل جبهة ضاغطة تجمع الهيئات العلمائيّة والأحزاب الوطنيّة والقوميّة والمستقلّين ونقابات العمّال في كلّ بلديّة**، ومن ثمّ توسيعها لتشمل البلدان العربيّة فالإسلاميّة. هذه الجبهة تعمل وفق أولويّات عمل ومخطّطات إستراتيجيّة، أوّلها: منع ممرّات نقل العتاد والسلاح والطعام للعدو من الأراضي العربيّة وإيقافها، وإفشال مشروعات التطبيع والسلام مع اليهود، وترحيل القواعد الأمريكيّة في بلادنا العربيّة وإقفالها.

١٠- **تشكيل اللوبي العربيّ الإسلاميّ في قارة أوروبا وأمريكيا، وغيرها**... بهدف التأثير في انتخابات تلك البلدان، ومواجهة اللوبي الصهيونيّ، وتهيئة مناخ داعم للقضيّة الفلسطينيّة، وتكون المبادرة من قبل العلماء ورؤساء المراكز الإسلاميّة وقادة الجاليات العربيّة والإسلاميّة للتحضير والإعداد لإطلاق اللوبي في تلك القارّات. حيث تعمل

اللوبيّات علىٰ التأثير في صناعة القرار في الدول والمؤسّسات الدوليّة بواسطة التواصل والحوار لتعزيز الوعي بالوضع في غزّة وتحقيق الدعم السياسيّ والمالي للفلسطينيّين.

١١- **تكوين تحالفات دوليّة علمائيّة من كلّ الأديان**: العمل علىٰ إنشاء تحالفات مع علماء وقيادات دينيّة من مختلف الأديان لدعم القضيّة الفلسطينيّة، وتعزيز الحوار بين الأديان؛ بهدف بناء جسور مع مجتمعات أخرىٰ لدعم القضيّة الفلسطينيّة، وتعزيز الفهم المتبادل.

١٢- **التعاون مع منظّمات المجتمع المدنيّ والجهات الأخرىٰ لتعزيز الجهود المشتركة والتعاون مع المنظمات الدوليّة.**

١٣- **الإعلان عن الإضراب العالميّ الموحّد لمدّة يوم أو ساعات**: من أجل إيقاف المجازر والإبادة الجماعيّة بحقّ المدنيّين.

١٤- **ديمومة التواصل والتلاقي بين العلماء حتّىٰ إيقاف الحرب**: تواصل أهل العلم فيمَا بينهم وتواصيهم بالبرّ والتقوىٰ والصبر والمرحمة وتعاونهم في ذلك. فالحاجة ماسّة إلىٰ تمتين جسور المحبّة والألفة والاجتماع والأخوّة والمشورة بين العلماء عند النوازل.

١٥- **تشكيل مجمع السياسة الشرعيّة لطوفان الأقصىٰ**: بهدف دعم الفريق المفاوض (المقاومة)، والوسطاء من دول عربية وتقويتهم، وتزويدهم بالأحكام الشرعيّة ذات الصلة بالأحداث، وتذكيرهم -فإنّ الذكرىٰ تنفع المؤمنين- بالوفاء لدماء الشهداء، وعدم التنازل عن المقدّسات، وتحقيق مكتسبات حقيقيّة لتضحيات أهل غزّة. مع العلم أنّ التفاوض غير المباشر الحاليّ مع العدو يحتاج إلىٰ جهد يفوق الأشخاص ويتجاوز طاقات الأفراد مهما كانت ألمعيّة عقولهم ورسوخ علومهم، وقد كان سلفنا يقولون في بعض ما يرد عليهم من مسائل العلم: هذه مسألة لو وردت علىٰ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لجمع لها أهل بدر.

١٦- **دعم الإجراءات القانونيّة المتّخذة ضدّ إسرائيل عن طريق التواصل مع**

علماء جَنُوب إفريقيا والجالية المسلمة واتّخاذ كلّ الخطوات التي من شأنها دعم الإجراء القانونيّ الذي قدّمته جَنُوب إفريقيا ضدّ إسرائيل في محكمة العدل الدوليّة.

١٧- **اجتماع علماء الجاليات الإسلاميّة في بلاد الغرب مع مجالس البلديّة التابعة للمحافظات**، وبحسب حملة USCPR المتضامنة مع غزّة، تعدّ المجالس البلديّة إحدىٰ أفضل الفرص للناشطين الشعبيّين لجعل الحقوق الفلسطينية قضيّة في الكونغرس.

١٨- **المواقف الرسمية**: الاستمرار في تواصل العلماء مع الجهات الرسمية لزيادة الضغط علىٰ الحكومات لاتخاذ مواقف تدعم حقوق الفلسطينيين، وتشكيل وفد علمائيّ يجول علىٰ الدول: مثل تركيا وماليزيا واندونيسيا وغيرها، والطلب منهم ممارسة ضغط دبلوماسي وسياسي واقتصادي وغير ذلك، وتذكيرهم بالمسؤوليّة الشرعيّة تجاه أهل غزّة، والطلب منهم إيقاف تصدير النفط، وجميع أشكال التعاون الاقتصاديّ مع كلّ دولة تؤيّد اليهود وتساندهم.

١٩- **الموقف من الحكّام**: قول كلمة حقّ: إيجاد حلّ لواقع الخَشْيَة من الأنظمة الجائرة، ونحتاج من الهيئات العلمائيّة مواقف شجاعة في مواجهة الظلم والعدو، مُذكّرةً بعلماء سابقين آثروا الانخراط في صفوف المجاهدين وأتقنوا فقه القيادة.

٢٠- **إيقاف جميع أشكال «التطبيع»** السياسية والاقتصادية والثقافية مع الكيان اليهوديّ وتحريم ذلك وتجريمه، وطرد جميع السفراء، وإغلاق السفارات اليهوديّة في الدول العربيّة والإسلاميّة.

٢١- **الدعوة إلىٰ الجهاد**: نشر فتوىٰ العلماء بالدعوة إلىٰ الجهاد في غزّة، وتحفيز الشعوب علىٰ مقاومة الاحتلال.

٢٢- **تنشيط الحراك الطلابيّ وجعله عالميًّا**: تنشيط حراك يقوده طلبة العلوم الشرعية في الكليات الإسلامية، وبالتنسيق مع العلماء والمراكز الإسلامية للجاليات المسلمة في أوربا وأمريكيا وأستراليا، عن طريق تشكيل لجان شبابيّة، وتشجيع الشباب علىٰ الانخراط في أنشطة دعم غزّة، مثل تنظيم الفعاليّات والأنشطة الثقافيّة.

٢٣- **عدم إهمال غير المسلمين أو إقصائهم في الخطاب الدعوي**، ومحاولة إشراكهم علىٰ أساسٍ من القضايا المشتركة، وإبراز البعد الإنساني للقضيّة من خلال مفاهيم: الحقِّ، والعدل، والإنسانية.

٢٤- **التواصل مع مشايخ الطائفة الدَّرْزِيَّة أو عرب فلسطين في مناطق الـ ٤٨**، والطلب منهم التحرك – أقلّه – للضغط قانونيًّا والسماح بإدخال المساعدات لغزّة ومن خلالهم تسيير قوافل إغاثة.

٢٥- **مبادرة التعليم عن بعد**: إطلاق مدارس «الطوفان» لتوجيه أجيال الأمّة، بهدف: تخريج جيل متكامل مترامي الأطراف، تجمعه رؤية واحدة، وتزوّده روافد الإيمان العميق، ويوحّده مشروع واحد هو تحرير بيت المقدس. ويُدعىٰ شباب الأمة وشابّاتها للالتحاق بها وفق منهجيّة تعتمد علىٰ تجديد سير علماء النوازل عبر تاريخنا الإسلامي.

٢٦- **تطوير أدوات تعليميّة**: تطوير مناهج تعليميّة تركّز علىٰ القيم الإسلاميّة وأهمّيّة الجهاد، ممّا يُسهم في تشكيل وعي جماعيّ. مع إنشاء منصّات تعليميّة تعتمد علىٰ الذكاء الاصطناعيّ لتعليم الشباب والأطفال إسلاميّة القضية الفلسطينية.

٢٧- **التوعية في المدارس والجامعات الإسلاميّة**: إطلاق برامج تعليميّة تركّز علىٰ التاريخ الفلسطينيّ، وأهمّيّة نصرة المظلومين وفقًا للمنهج الإسلاميّ، مع مبادرات عمليّة تدعم القضيّة.

٢٨- **كتابة قصص مستوحاة من القيم الإسلاميّة**: تشجيع الكتّاب علىٰ كتابة قصص مستوحاة من التعاليم الدينيّة تبرز قيمة التضحية والصبر، وتكون موجّهة إلىٰ الأطفال والشباب لبناء وعي جيل جديد.

٢٩- **الاستمرار في التعبئة الدينيّة**: عبر نشر الوعي بأهمّيّة الجهاد، وحثّ المسلمين علىٰ الاستعداد لمواجهة الغزاة، وإعطاء مساحة في خطب الجمعة للحديث عن المسجد الأقصىٰ والضّفّة وغزّة، وتبيان حقيقة الصراع، وبيان شرعيّة المعركة وقدسيّتها وفريضة الجهاد للدفاع عن أقصانا وأرضنا المقدّسة، بعيدًا عن الخطابات

الطائفيّة التي تفرّق الأمّة.

٣٠- **الاستمرار في تسخير العلماء محابرهم وأقلامهم وأصواتهم ومنابرهم دفاعًا عن فلسطين**، ونصرةً للمسلمين في القدس والضفّة وغزة (وقد تحقّق ذلك، مع أهمّيّة الاستمرار به).

٣١- **تسخير التِقَانَة الحديثة**: استخدام التطبيقات والوسائط التفاعليّة لتقديم محتوىٰ ديني وتوعويّ يربط بين القيم الإسلامية والقضايا الإنسانية، مثل محتوىٰ بتقنية الواقع الافتراضيّ لتجربة حياة الفلسطينيين.

٣٢- **حملات جمع التبرّعات الذكيّة**: تنظيم حملات تبرّعات إلكترونيّة مع مسابقات تحفيزيّة، حيث يتمّ تقديم جوائز رمزيّة مرتبطة بالثقافة الإسلاميّة أو فلسطين، لتعزيز المساهمة.

٣٣- **إطلاق أنشودة الحرّيّة لفلسطين بلغات عالميّة**، تتضمّن الحقّ الفلسطينيّ، وتفضح جرائم العدوّ.

٣٤- **تأليف وإخراج مسلسل رسوم متحرّكة إسلامي للأطفال** مقابل لمسلسلات تدعم الرواية الصهيونيّة.

٣٥- **العمل علىٰ إيصال صوت العلماء للأمّة جمعاء** بإزالة الحوائل الكثيرة التي تحول دون انتشار هذه الفتاوىٰ وبلوغها أسماع الناس، وكسر الحصار الإعلاميّ المفروض علىٰ دعاة الحقّ. واستخدام وسائل الإعلام للتعبير عن مواقفهم وتوضيح الحقائق حول ما يحدث في غزّة، ممّا يساعد في تشكيل الرأي العامّ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

قائمة المصادر والمراجع

- ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، دار صادر، ٢٠٠٣، مجلدات: ٥، ١٠، ١٥.
- ابن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ): معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، مجلد: ٤.
- ابن جماعة الكناني: بدر الدين ابن أبي إسحاق إبراهيم ابن أبي الفضل سعد الله (ت ٧٣٣ هـ): تذكرة السامعِ والمتكلم في أَدب العالم والمتعلم، تحقيق: محمد هاشم الندوي، دائرة المعارف، ١٣٥٤ هـ.
- ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المحقق: عبد الرحمن ابن حسن بن قائد، هـ ١٤٣٢، مجلد ١.
- ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين: إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، مجلد: ١.
- أبو حامد الغزالي: محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥ هـ): إحياء علوم الدين، دار المعرفة، القاهرة، مجلد: ١.
- ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ): صفة الصفوة، المحقق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، مصر، ٢٠٠٠م، مجلد: ٢.
- أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي: سنن أبي داود، رقم الحديث: ٤٣٤٤.
- أحمد الريسوني: تعليمات الأساس لعلم المجاديف القضائية: دار اللغة. القاهرة. الطبعة الأولىٰ. ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.
- البخاري: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل: الجامع المسند الصحيح المختصر من

أمور رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، المحقق: محمد بن زهير، دار طوق النجاة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢، كتاب: الاعتصام في الكتاب والسنة، رقم الحديث: ٧٣١٢.

- بدر الدين العيني: عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، رقم الحديث: ٣٨٤٤، باب قتل حمزة رضي الله عنه، دار إحياء التراث العربي، مجلد: ١٧ .
- الدَّمِيري: كمال الدين، محمد بن موسىٰ بن عيسىٰ بن علي أبو البقاء الشافعي (ت ٨٠٨هـ): شرح لامية العجم (وهو مختصر شرح الصفدي المسمىٰ الغيث المسجم)، تحقيق: الدكتور جميل عبد الله عويضة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- الذهبي: شمس الدين محمد بن عثمان: (٧٤٨ هـ): سير أعلام النبلاء، اشراف وإخراج: شعيب الأرنؤوط، تحقيق: نذير حمدان، ١٩٩٣، مجلد: ٨.
- سالم سلامة: فتاوىٰ علماء المسلمين في تحريم التنازل عن أي جزء من فلسطين أو عن حق العودة إليها، رئيس الدائرة العلمية في رابطة علماء فلسطين، دار الفرقان، عمَّان، ١٤٢٨هـ= ٢٠٠٧م.
- محمد عثمان شبير: بيت المقدس وما حوله، طبعة هيئة علماء فلسطين في الخارج، الطبعة الرابعة، ٢٠١١م.
- يوسف القرضاوي: أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، نشر مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة السادسة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م.
- يُوسُف القرضاوي: جيل النَّصر المنشود، مكتبة وهبة، القاهرة.

مجلات

- محمد عثمان شبير: بيت المقدس وما حوله، طبعة هيئة علماء فلسطين في الخارج، الطبعة الرابعة، عام ٢٠١١م.
- سعيد محي الدين المجمعي: فقه الواقع وأثره في الأحكام الشرعيّة، مجلة البحوث والدراسات الاسلامية، العدد: ٦٤، ٢٠٢١.

مقالات

- بسام ناصر: مقال عنوانه: كيف يناصر علماء الأمة مقاومة غزة في مواجهة العدوان الصهيوني؟ عربي٢١، 04-Nov-24، https: //arabi21. com/
- راغب السرجاني: دور العلماء والدعاة لنصرة فلسطين، ٢٥/ ٠٦/ ٢٠١١، https: //islamstory. com/
- علي محمد الصلابي: فقه النّبيِّ صلىٰ الله عليه وسلم في التّعامل مع السُّنن، الخميس، ٢٩ أبريل ٢٠٢١م8046/ https: //www.rabtasunna.com،
- محسن محمد صالح: مقال بعنوان: «العلماء وفلسطين، تنزيل النصوص علىٰ الواقع المعاصر»، ٢٥/ ٢/ ٢٠٢٤، مدونات الجزيرة، https: //www. alja-zeera. net/
- محمد خير موسىٰ: رسائل العلماء والدّعاة الشّهداء في الحرب علىٰ غزّة إلىٰ العلماء والدّعاة في الأمّة، الأناضول، ٩-Jun-٢٤ PMx. com /muhammadkhm 1
- موقع هيئة علماء فلسطين علىٰ الفيس بوك: بيان علماء الطوفان قيامًا بالواجب واستجابة لنداء أبي عبيدة.
- عصام البشير: حول فقه الواقع، مقال منشور علىٰ صفحة الاتحاد العالميّ لعلماء المسلمين، ٠٦/ ٠٣/ ٢٠٢٠، https: //www. iumsonline. org /ar/
- نواف هايل تكروري: صرخة نذير إلىٰ علماء الأمة وأحزابها وقواها الحية، ١/ ١١/ ٢٠٢٤ https: //palscholars. org
- وصفي عاشور أبو زيد: «مسئولية العلماء نحو طوفان الأقصىٰ»، https: //www. aljazeera. net /blogs/ ٢٠٢٤/ ٥/ ١٥/

مقابلات

- مقابلة مع القيادي في جماعة الإخوان أحمد الرزقان نشرها: بسام ناصر: مقال عنوانه: كيف يناصر علماء الأمة مقاومة غزة في مواجهة العدوان الصهيوني؟، موقع

عربي٢١، ٢٤-Nov-٠٤، https: //arabi٢١. com/

• مقابلة مع الداعية حسن الكتاني نشر: بسام ناصر في مقال عنوانه: كيف يناصر علماء الأمة مقاومة غزة في مواجهة العدوان الصهيوني؟، موقع: عربي٢١، ٢٤-Nov-٠٤، https: //arabi٢١. com/

• لقاء مع د. عبدالحي يوسف، عميد أكاديمية أنصار النبي محمد صلىٰ الله عليه وسلم، في برنامج: «طوفان الأقصىٰ»، مقابلة أجراها د. عمر الجيوسي، علىٰ قناة قدسنا، ٧-٤-٢٠٢٤.

كلمات

• كلمة اللجنة المركزية للمهرجان ألقاها رئيس هيئة علماء فلسطين نواف تكروري، في مهرجان خاص بإطلاق «مبادرة علماء الأمة لنصرة الطوفان»، ٢٧ ٠٩, ٢٠٢٤، https: //www. aa. com. tr/

بيانات

• بيان الرد علىٰ خطاب أبي عبيدة. ٩/ ١٠/ ٢٠٢٤ https: //palscholars. org/

• وزارة الأوقاف والشؤون الدينية فلسطين –غزة، الجمعة ٢٣ جمادي الآخرة ١٤٤٥ هجري الموافق ٥ يناير ٢٠٢٤ ميلادي https: //palscholars. org/declara-tions-categories/

مواقع

• رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين https: //iumsonline. org/ar/

• موقع هيئة علماء فلسطين https: //bokra. net/Article-١٥٢٧٥١٠

معركة الطوفان ووَعْدُ الآخِرَةِ في ضوء سورة الإسراء

د. علي المر [١]

ملخص

تسلط هذه الورقة الضوء علىٰ نتائج معركة الطوفان وثمارها المرحلية والاستراتيجية، وأبعادها في مستقبل الصراع علىٰ أرض فلسطين في ضوء حديث سورة الإسراء عن إفساد بني إسرائيل وعد الله بالتتبير لما علو فيما أطلقت عليه السورة ب «وعد الآخرة» في محاولة قراءة اجتهادية تحليلية لمآلات المعركة وتأثيرها وآثارها في تعجيل زوال الكيان الصهيوني عن أرض فلسطين، وقد جاءت الدراسة في مبحثين **الأول: قراءة في نتائج معركة طوفان الأقصىٰ والثاني:** حربنا مع اليهود في القرآن العظيم ووعد الآخرة، وختمتها بأهم النتائج.

الكلمات المفتاحية: **طوفان الأقصىٰ، وعد الأخرة، سورة الإسراء، الإفساد الصهيوني.**

ABSTRACT:

This paper sheds light on the results of the Battle of the Flood, its phased and strategic fruits, and its dimensions in the future of the conflict over the land of Palestine in light of the talk in Surat Al-Isra about the Children of Israel spoiling God's promise to destroy what was exalted, in what the Surah called "the promise of the Hereafter," in an attempt to read an ana-

(١) رئيس منتدىٰ مصابيح الأقصىٰ . تاريخ استلام البحث، ١/ ١١/ ٢٠٢٤م، وتاريخ قبوله للنشر، ١٥/ ١٢/ ٢٠٢٤م

lytical effort into the outcomes of the battle and its impact and effects in hastening the demise of the Zionist entity from the land of Palestine. The study came in two sections: the first: A reading of the results of the Battle of the Flood of Al-Aqsa, and the second: Our war with the Jews in the Holy Qur'an and the promise of the Hereafter, and I concluded it with the most important results.

Keywords: Al-Aqsa Flood, the promise of the Hereafter, Surat Al-Isra, Zionist corruption.

شكلت معركة طوفان الأقصىٰ نقلة نوعية في معاومة المحتل الغاصب، وضربة قوية مباغتة لم تستطع أجهزة استخباراته التنبؤ بها، وفشلت فرقة غزة العسكرية في جيشه المهزوم من وقف هديرها، وفورة بركانها، وأحالها الطوفان أشلاء ممزقة، وجثث متناثرة، وأسرىٰ علىٰ الركب جاثية، ووجوه تعلوها الذلة صاغرة، وزلزلت الكيان الغاصب زلزالا شديدا، وحطمت صورته الشوهاء، وأذلت كبريائه، ومرغت أنفه في تراب الهزيمة في ضحىٰ السابع من أكتوبر، ولهذا جاء ردة الفعل الصهيوني علىٰ الحدث المزلزل كبيرة فراح يضرب بكل جنون، وعشوائية تقتيلا للأطفال والنساء واستباحة للمدن والقرىٰ واستهداف للمساجد والمدارس والمستشفيات، بروح دموية انتقامية دون مراعاة للقوانين الدولية، وحقوق الإنسان، والقيم الإنسانية، مع أنه كان يرفع شعار الجيش الأكثر أخلاقية في المنطقة، فكشف عن وجهه القبيح، وبانت حقيقة وحشيته لكل الأمم والشعوب، وسقط اللثام عن وجوه اللئام الذين ساندوه وأمدوه بالعتاد والسلاح من دول الغرب الكافرة التي صدعت رؤوسنا بحقوق الإنسان والديمقراطية، وظهرت ازدواجية معاييرهم في أبشع صورها، وأقذر تناقضاتها عندما يتعلق القتل والتهجير بالمسلمين خاصة في فلسطين. وبالرغم من قسوة واقع الحرب علىٰ المدنيين وتدمير غزة في كل مناحي الحياة، وممارسة الإبادة الجماعية، وتجويع الناس إلا أن هذه المعركة تشكل بارقة أمل للأمة، وحالة إحياء وبعث من جديد، ونهوض من تحت ركام الذل والعبودية، وانطلاق نحو تحقيق موعود الله في هؤلاء اليهود بتتبير فسادهم، وزوال كيانهم، وانتهاء ظلمهم، وقرب رحيلهم، وتحرير الأرض والمقدسات من رجسهم. وفي هذه الورقة نسلط الضوء علىٰ نتائج معركة الطوفان، وتحليل أبعادها، وانعكاساتها، ومآلاتها، ومستقبل الصراع بين الحق والباطل علىٰ أرض فلسطين في ضوء سورة الإسراء التي تناولت فساد بني إسرائيل وآراء العلماء فيه، ووعد الآخرة التي تضمنته السورة والذي يعد قانونا إلهيا وسنة ماضية فيهم إلىٰ يوم القيامة وقد جاء البحث علىٰ النحو الآتي:

المبحث الأول: معركة طوفان الأقصىٰ ونتائجها.

المطلب الأول: قراءة في النتائج الأولية للمعركة:

في السابع من تشرين أول ٢٠٢٣ فاجأت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) العالم، بهجومها من قطاع غزة المحتل علىٰ الكيان واجتياح مقاتليها للجدار العازل ولتحصينات العدو علىٰ طول الحدود، وانتشارهم في نحو ٥٠ مستوطنة وتجمعًا سكنيًا و١١ قاعدة عسكرية يهودية، وتفكيك أكبر لواء عسكري للعدو علىٰ الحدود، والاستيلاء علىٰ كميات كبيرة من الأسلحة والعتاد والبيانات العسكرية والاستخبارية، وأسر نحو ٢٠٠ عسكري فيهم قادة كبار في جيش العدو، وما تزال فصول هذه المعركة جارية بعد ما يزيد علىٰ عام بتاريخ هذه المراجعة (في ١٠ أكتوبر ٢٠٢٤). ولقد بدا أن الحركة بهجومها حطمت هيبة الكيان، الذي يشغل المرتبة الثامنة عشرة من حيث القوة العسكرية في العالم[١]، وأبطلت مفهوم الجيش الذي لا يقهر، الذي ظل يروج له في المنطقة العربية والعالم طوال عقود، وعرّت ضعف أجهزة الاستخبارات الصهيونية والأمريكية التي كانت فرائص الدول ترتجف منها فَرَقًا وخوفًا. وخلطت الأوراق التي ظل العدو يلعب بها في المنطقة، بلا قبيل، وأربكت مخططاته، وأفقدته توازنه، وبدا الكيان يترنح كجسد تلقىٰ ضربة موجعة في رأسه، فدب الخلاف بين أقطاب حكومته وقادته العسكريين، نحو شهر دون أن يتماسك، فسارعت الولايات المتحدة، من أول يوم، لنجدته، وشد أزره ورفع معنوياته المنهارة، فحركت، دفعة أولىٰ ومستعجلة حاملاتي طارات، و٩ بوارج إسناد، وأرسلت علىٰ وجه السرعة، ٢٠٠٠ عسكري، من الخبراء في حرب الشوارع والأنفاق، لدعم قوات الكيان، وتبعتها دول غربية أخرىٰ مثل بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا، بإرسال الدعم والإسناد بالطائرات والسفن الحربية والعتاد، وتداعىٰ زعماء غربيون، من أعلىٰ مستوىٰ، للتوافد علىٰ الكيان واحدًا بعد واحد، لإعلان تأييدهم المطلق للكيان، ولما بدر من قادته من تصريحات، تدعو أهل غزة (٢,٣ مليون إنسان) للنزوح القسري إلىٰ سيناء.

(١) انظر موقع جلوبال فير بور الأمريكي لعام ٢٠٢٤.

وعلىٰ مدىٰ ثلاثة أسابيع ظل العدو يشن هجمات بالصواريخ والطائرات والمدفعية الثقيلة والقنابل الفسفورية، وغيرها، علىٰ المناطق السكنية في قطاع غزة، ويدمر المباني علىٰ رؤوس ساكنيها، وسويت أحياء كاملة بالأرض. ومحيت مئات العائلات من سجل الأحول المدنية. وبتاريخ ٢٧ تشرين أول (أكتوبر) شن الكيان هجومًا بريًا علىٰ غزة. ولا تزال المعارك علىٰ أشدها، حتىٰ لحظة هذه المراجعة (١٠/ ١٠/ ٢٠٢٤).

لقد مارس العدو أقبح حرب إبادة جماعية للجنس البشري، وصفت بأنها الأشد والأبشع في العصر الحديث، كل ذلك أمام سمع وبصر العالم ووسط صمت دولي، وحتىٰ عربي وإسلامي مدوٍّ.. واختفت من العالم كل شعارات حقوق الإنسان والطفل والمرأة، والقانون الدولي، أمام الرغبة الجامحة في القتل، والتلذذ بسفك الدماء، وتدمير المدارس والمساجد والكنائس والمشافي، وحتىٰ الملاذات الآمنة التي دأب العدو علىٰ الطلب من الناس التوجه إليها، نجاة بأرواحهم، وظل يدمرها علىٰ من فيها، ومارس علاوة علىٰ القتل بالسلاح أبشع أعمال القتل البطيء بمنع إدخال الطعام والمياه والكهرباء والمحروقات والدواء، وطالب وزير المالية الإسرائيلي، التلمودي المتطرف بتسلئيل سموتريتش بقتل أهل غزة أو طردهم، وإبقاء ٢٠٠ ألف منهم فقط لخدمة اليهود في زراعة الأرض تحقيقًا كما يبدو لعقائد التلمود.

ومما يلفت الانتباه في هذه الحرب أن قادة الكيان والولايات المتحدة وكندا كشفوا هذه المرة أكثر من أي وقت مضىٰ عن قناعاتهم العقدية، فأعلن وزير حرب العدو (يوآف غالانت) أنهم يقاتلون حيوانات بشرية، وهو الوصف التلمودي لغيرهم من الشعوب، وأعلن وزير الخارجية الأمريكي، في أول زيارة له للمنطقة، في بداية الحرب، بأنه جاء إلىٰ المنطقة بصفته يهوديًا، وأن مهمته هي من أجل معرفة احتياجات إسرائيل للقضاء علىٰ حماس، وأن علىٰ الغزيين أن يقبلوا عرض إسرائيل بتهجيرهم إلىٰ سيناء إذا أرادوا النجاة من القتل، وعلىٰ العرب أن يفتحوا ممرات آمنة لخروجهم، وصرح

جو بايدن (الرئيس الأمريكي) بأنه صهيوني، ولو لم تكن إسرائيل موجودة لعمل علىٰ إيجادها، وأنه يؤيد ما سماه حق إسرائيل في الدفاع عن نفسه، وأنه سيعمل كل ما يلزم لضمان أمنها والقضاء علىٰ حماس، وصرح رئيس وزراء كندا أنه يقف وبلده مع حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها، وسوف تمد بلاده إسرائيل بكل ما تطلبه منها لضمان أمنها، وأنه لا يضير كندا أن تعلن نفسها صهيونية.

لقد ضربت غزة بعد مضي عام من بداية الحرب، بنحو ٨٥ ألف طن من المتفجرات (بما يعدل ٤-٥ قنابل ذرية مثل قنبلتي هيروشيما ونجازاكي الذريتين عام ١٩٤٥)، ووفق مسح بالأقمار الصناعية، أجرته الأمم المتحدة، يومي ٣ و٤ أيلول ٢٠٢٣، بلغ عدد المباني التي دمرت، كليًا أو جزئيًا، في قطاع غزة، ١٦، ٣٧٧٨ مبنىٰ تشكل ٦٦٪ من مجموع مباني القطاع، وإلحاق الضرر بنحو ٦٨٪ من الأراضي المزروعة [١]، وتشير الإحصائيات الفلسطينية أن عدد المجازر التي ارتكبها العدو- في السنة الأولىٰ من الحرب ٣ بلغت ٦٥٤ مجزرة في القطاع، وعدد الشهداء والمفقودين ٤١، ٨٧٠، وعدد الجرحىٰ ٩٧، ١٦٦، وأن ٦٩٪ من المصابين هم من الأطفال والنساء، وعدد الذين هجروا من منازلهم بلغ ٢ مليون إنسان، أصيب منهم ١، ٧٣٧، ٥٢٤ بأمراض معدية بسبب تلوث البيئة وعدم توفر الخدمات الطبية [٢]. وبلغ مجمل الخسائر المادية نحو ٤٣ مليار دولار [٣].

وفي المقابل ذكر تقرير صدر عن جيش العدو، بمناسبة مرور عام علىٰ الحرب، أن عدد قتلاه بلغ ٧٢٦ ضابطًا وجنديًا، وعدد المصابين بلغ ٤، ٥٦٧، ومن المعلوم أن الكيان لا يكشف عن خسائره في الأرواح كاملة، ويتستر علىٰ خسائره المادية بالكامل.

(١) انظر مقال «تحليل أممي بالأقمار الصناعية: ٦٦٪ من مباني غزة لحقت بها أضرار، موقع الأمم المتحدة.، ٣٠ أيلول (سبتمبر) ٢٠٢٤.

(٢)انظر «الإعلام الحكومي بغزة ينشر إحصائيات « حرب الإبادة الإسرائيلية» علىٰ قطاع غزة، موقع الفضائية الروسية (آر تي)، ٦/ ١٠/ ٢٠٢٤.

(٣)انظر بعد عام علىٰ الحرب: خسائر غزة الاقتصادية المباشرة ٣٣ مليار دولار، موقع الجزيرة، ٦/ ١٠/ ٢٠٢٤.

وكما أن العقائد الخبيثة، كالشجرة الخبيثة، لا تعطي غير ثمار خبيثة، فإن العقيدة الطيبة كالشجرة الطيبة ثمارها طيبة، وهو ما تحدثنا عنه في الفقرة ٢، في بداية هذه الورقة، وبدا جليًا في هذه الحرب. فبينما أجمع أسرىٰ وأسيرات اليهود، الذين أفرجت عنهم المقاومة الإسلامية في أول صفقة لتبادل الأسرىٰ، بين الطرفين، في ٢٧ تشرين الثاني ٢٠٢٣، علىٰ حسن معاملة مقاتلي المقاومة لهم، أجمع الأسرىٰ الفلسطينيون المفرج عنهم علىٰ سوء معاملة السجانين اليهود لهم. ولقد شاهدنا بعضهم مضمد الأطراف من جروح وكسور ألحقها بهم السجانون اليهود، وما يندىٰ له وجه الإنسانية حياء أن يدعي قادة الكيان أن جيشهم هو الأكثر أخلاقية في العالم، وأنهم يحاربون إرهابيين، وأن المقاومة أساءت لأسراهم، وجرىٰ اغتصاب نسائهم الأسيرات، وأن يسارع الرئيس الأمريكي لتبني هذه الدعاية، الكاذبة لدعم موقف الكيان في الأمم المتحدة، ولإعطاء الإعلام العالم والعربي المتصهين[1]، مادة يشوه بها المقاومة، ويغطي علىٰ أكبر جرائم الإبادة في العصر الحديث.

المطلب الثاني: قراءة في النتائج الإستراتيجية للمعركة

لم يكن طوفان الأقصىٰ مجرد معركة أو جولة في حرب وحس، ولكنه طوفان ترك آثارًا استراتيجية وغير قابلة للانعكاس، أو الرجوع إلىٰ ما كان الحال قبلها، وفي ميادين كبرىٰ، وعلىٰ الصعد كافة، فعلىٰ صعيد القضية (مدار البحث)، أعادت معركة الطوفان القضية الفلسطينية إلىٰ مربعها الإسلامي الأول، بعد أن قُزمت وحصرت في قضية شعب، ثم في حركة مقاومة شيطنوها (ونعتوها بالإرهاب)، ووضعت القضية في موْضع الاهتمام العالمي، بعد أن كاد أن يلفها النسيان، وأوقفت قطار التطبيع الشائن الذي بدأت بعض الأطراف العربية تسارع للحاق به، والركوب فيه، وأحرجت النظم المتعاونة مع العدو، في العالمين العربي والإسلامي، وألقت ظلالًا قاتمة علىٰ مستقبل الكيان وبقائه، تتمثل في:

(١) يقصد بالإعلام المتصهين: المتأثر بالدعاية الدينية اليهودية وهذا قد يكون عربيًا خالصًا، أو يهوديًا وإسرائيليًا خالصًا، مثل بعض الفضائيات التي تبث باللغة العربية من دول عربية وهذه أخطر.

١) فقدان شعور المستوطنين بالاطمئنان، ونزوح مئات الألوف منهم من قراهم ومدنهم، في المناطق الحدودية في الشمال والجنوب، إلىٰ مناطق أكثر أمنًا في الداخل، ما تسبب في ضغط علىٰ أنماط ومستوىٰ الحياة للمهجرين والمستقبلين علىٰ حد سواء.

٢) زيادة وتيرة الهجرة العكسية من الكيان إلىٰ خارجه، حيث تشير التقديرات إلىٰ أن نحو ٢٥٠ ألفًا خرجوا بالفعل، وقائمة المنتظرين تلامس نصف المليون.

٣) تعطل الحياة الاقتصادية في كيان قام علىٰ أساس الربح المادي، وفي أمة تحب المال والدنيا أكثر من حبها لنفسها وخالقها، وتراجع التصنيف الائتماني الدولي للاقتصاد الصهيوني.

٤) هجرة رؤوس الأموال من الكيان، وفقدان ثقة أرباب المال وأصحاب المصالح الدوليين واليهود في أمن الاستثمار في الكيان.

٥) انعدام التعويل علىٰ الدول الغربية التي أنشأت الكيان والداعمة له علىٰ قابلية بقائه، وفائدته كقاعدة عسكرية واستراتيجية متقدمة في المنطقة العربية.

٦) زيادة رفض الإنسان الغربي لتمويل الكيان وتزويده بالسلاح والدعم العسكري وتزويده بمقومات البقاء.

٧) انكشاف قبح الفكر الصهيوني والعقائد اليهودية التي ظلت طوال العقود والقرون أشبه بالأسرار، وحكرًا علىٰ ما يسمىٰ النخب الفكرية والسياسية المستفيدة من رشاوىٰ اليهود وأعطياتهم، حتىٰ تغلغلت الفكرة الصهيونية في عصب الحياة في الدول الغربية.

٨) فقدان الكيان التعاطف المعنوي العالمي، وحصول تحول كبير في الرأي العام الدولي لصالح القضية الفلسطينية.

٩) التحولات النفسية والجيوسياسية والعسكرية الخطيرة التي ضربت في الكيان نفسه.

١٠) دفعت الجرائم البشعة في مقابل الصمود الأسطوري لأهل غزة، الشعوب للتفكير في القوة الفكرية والعقدية التي تحرك الطرفين. وتزايد انتشار الإسلام.

١١) عصفت طوفان الأقصىٰ بكثير من السياسات الخبيثة والمخططات الاستراتيجية التي ظل العدو يعد لها ويفرضها علىٰ الشعوب والدول الإسلامية؛ لإدماج الكيان سياسيًا واقتصاديًا، وتكريس هيمنة الصهيونية اليهودية، وإفساد قوىٰ الرفض للكيان من خلال ما سمي بالديانة الإبراهيمية التي تنذر بوجود مخطط خبيث للإجهاز علىٰ الإسلام وإنشاء صهيونية عربية مسلمة علىٰ غرار الصهيونية المسيحية التي تقف اليوم إلىٰ جانب الكيان وتحميه.

المبحث الثاني: إرهاصات تراجع المشروع الصهيوني

بالنظر إلىٰ مجريات الأحداث والحروب العربية مع الكيان منذ نشأته، في الأعوام ٤٨ و٥٦ و٦٧ و٧٣، ونتائج معركة الطوفان، حتىٰ اللحظة، نستطيع استنتاج ما يلي:

١) إن الكيان شهد اندفاعة قوية نحو العلو العسكري في المدىٰ الزمني ١٩١٧ – ١٩٦٧.

٢) تلت ذلك حالة من التراجع العسكري والمعنوي، منذ معركة الكرامة، التي جرت علىٰ الأراضي الأردنية عام ١٩٦٨، وحتىٰ اللحظة (في ٢٠٢٤)، صحبها نوع من التغول السياسي والاقتصادي؛ للتعويض عن تلك الحالة بإظهار الكيان بمظهر القوة التي لا تغلب، ومحاولات إدماجه في المنطقة، أو فرضه عليها بالتطبيع، وما سمي صفقة القرن واختراع الديانة الإبراهيمية المزعومة، ودعوات التسامح وقبول الآخر، وتشويه المناهج الدراسية، وسحب الكتب الإسلامية من المكتبات في الدول العربية، واستبدالها بكتب غربية وفكر وافد وقيم فاسدة، وغيرها من سياسات ظلت تفرض علىٰ النظم والحكومات.

٣) وفي المقابل، فمع أن العدو نجح بعد أحداث أيلول الأسود في الأردن عام ١٩٧٠، وحرب لبنان عام ١٩٨٢، من طرد المقاومة الفلسطينية، التي كان يغلب عليها الطابع العلماني واليساري، من الأراضي الأردنية واللبنانية، وتشتيتها في أقاصي الأرض بعيدًا

عن فلسطين، إلا أن المقاومة انتقلت لداخل الكيان نفسه، وبصبغة إسلامية هذه المرة، ما أدىٰ إلىٰ حالة من الانكشاف العسكري للعدو، والانكفاء علىٰ الذات، فلجأ إلىٰ إحاطة مدنه وقراه وحدوده الجنوبية (من جهة مصر) والشمالية من جهة لبنان، وفي الضفة الغربية، بمئات الكيلومترات من الجدر العازلة، المرتفعة، وحواجز الاسمنت المسلح والأسلاك الشائكة، مصداقًا لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾ [سورة الحشر: ١٤].

٤) ثم جاء تحرير قطاع غزة، وطرد القوات الصهيونية منه عام ٢٠٠٥، تحت ضربات المقاومة ليشكل أول عملية تحرير حقيقية لأراض تحت سيطرة العدو، وشكل ما سمي «الحسم العسكري» عام ٢٠٠٧، واستلامها إدارة قطاع غزة بداية ظهور كيان سياسي عسكري معاد للكيان، من داخله وما نشأ عنه، من سلسة الحروب بين المقاومة في غزة والعدو، في الأعوام ٢٠٠٨، ٢٠١٢، ٢٠١٤، ٢٠٢١، أسفرت عن اهتزاز ثقة الكيان بنفسه.

٥) بقدوم الحكومة المتطرفة عام ٢٠٢١، حاول الكيان أن يرمم صورته، ويعيد ثقته بنفسه، ويجدد العمل لتحقيق مشروع إسرائيل الكبرىٰ، ظنًا منه أن الظروف قد نضجت باستسلام الحكومات العربية بالتطبيع ، وأنه ما يزال يملك من مصادر القوة والدعم الخارجي ما يعينه علىٰ تحقيق النصر؛ فجاءت معركة طوفان الأقصىٰ لتعيد خلط الحسابات، ولتشكل واحدة من المعارك الفاصلة في التاريخ مثل يوم بدر والأحزاب والقادسية وعين جالوت، ولتطيح بالكثير من الأوهام التي ظلت تحيط بالمشروع الصهيوني العالمي، للألفية الثالثة، ولتسرع في تتبير علو بني إسرائيل المرتقب.

المبحث الثالث: حربنا مع اليهود في القرآن العظيم ووعد الآخرة:

حفل القرآن العظيم بشكل خاص بالحديث عن اليهودية واليهود وبني إسرائيل، حتىٰ إن اسم نبي الله موسىٰ، المرسل فيهم، ورد ١٣١ مرة في القرآن العظيم، في حين لم يرد فيه اسم نبي الإسلام، صاحب الرسالة سوىٰ أربع مرات فقط. وخصص من سوره سورةً كبيرة للحديث عن «وعد الآخرة»، وهي الحرب التي يدمر فيها أقوام من الناس، سماهم «عِبَادًا لَنَا» فساد بني إسرائيل، والملفت للنظر أن ذكر هذه الحرب ورد في تسع آيات من السورة: ثماني في مطلعها، الآيات من ١ – ٨، وآية واحدة في آخرها، هي الآية ١٠٤، يقول تعالىٰ في بداية السورة: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ... وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [سورة الإسراء: ١-٨]. ويقول في آخر السورة: ﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [سورة الإسراء: ١٠٤]. فما وعد الآخرة؟ ومتىٰ هو؟ وما العلو والإفساد؟ وما التتبير وإساءة الوجوه؟ ومَن القومُ الذين يسلطهم الله علىٰ بني إسرائيل فيتبروا فسادهم وينهوا علوهم؟ ونفس الأسئلة نجدها في الوجه الآخر من المشهد: ما هي الأولىٰ؟ ومتىٰ؟ وأين؟ ومن هم القوم الذين تسلطوا عليهم وتبروا إفسادهم وأنهوا علوهم؟ ونبدأ باستعراض ما قاله العلماء حول هذه القضايا:

المطلب الأول: آراء ونبوءات حول حربنا مع اليهود ووعد الآخرة:

تباينت آراء العلماء في نوع إفسادي بني إسرائيل الأول والثاني اللذين تحدثت عنهما آيات سورة الإسراء، فقيل هو عنادهم واستعلاؤهم علىٰ الشعوب، وقيل هو قتلهم الأنبياء، وقيل هو مخالفتهم التوراة، وقيل إفسادهم القضاء، ونعرف كذلك من مظاهر إفسادهم: استباحة الدماء والحرمات وأكلهم الربا والسحت، والاعتداء علىٰ حقوق الغير، ونشر الفاحشة، وتزوير العقائد والتاريخ، وتسميم الفكر، مما بينا

في المبحث الأول، واختلف العلماء كذلك في زمن الإفسادين، والقوم الذين يسلطون عليهم في كل مرة، ولقد استطعنا أن نصنف ستة من هذه الآراء:

الرأي الأول: ذهب إليه المفسرون السابقون، فلقد انعقد رأيهم علىٰ أن الإفسادين والعقاب عليهما وقعا في عصور ما قبل الإسلام، واختلفوا في أزمانهما والقوم الذين تسلطوا عليهم في المرتين، فقيل: هم العمالقة الذين كانوا يقيمون في جنوب بلاد الشام عند قدوم بني إسرائيل من مصر (في نهاية القرن ١٥ قبل الميلاد وبداية القرن ١٦ ق، م)، وقيل هم جالوت وجنده (في القرن ١١ ق. م)، وقالوا: هم سنحريب، ملك بابل وجنوده (سلطوا عليهم في القرن ٧ ق. م)، وقيل: هم بختنصر، ملك بابل وجنوده غزوهم مرتان (سنة ٥٨٧ و٦٠٦ قبل الميلاد)، وقيل هم البطالسة حكام مصر الرومان، سلطهم الله عليهم سنة ١٦٦ ق. م، وقيل هم الرومان تسلطوا عليهم سنة ٤٠ ق. م حتىٰ سنة ١٣٥ م. ويُنظر إلىٰ تأويلات السابقين أنهم لم يكونوا يتوقعون ظهور بني إسرائيل علىٰ المسلمين، فحملوا معنىٰ الآيات علىٰ ما كان قبل الإسلام من أحداث وحروب، ولقد تجاوزت الوقائع المعيشةُ هذا التوقع، بقيام دولة تنتسب لبني إسرائيل في فلسطين في هذا الزمن، ويأبىٰ الواقع أن لا يكون لبني إسرائيل علو في هذا الزمن، وأن علوهم وهول إفسادهم، الذي بلغ اليوم كل مبلغ، هو أقل شأنًا من المرات المشار إليها في كتب الأقدمين ومن سار علىٰ نهجهم من المعاصرين، وهذا المأخذ نقبله ونؤيده.

الرأي الثاني: يرىٰ أن الإفسادين وقعا في عهد الإسلام، الأول وقع في المدينة المنورة في عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، والثاني هو ما نعيشه اليوم من قيام دولة إسرائيل في فلسطين، وأن المسلمين هم من ساء وجوه المفسدين وتبر علوهم في المرة الأولىٰ، وهم من سيفعل في المرة الثانية الراهنة، وذهب إلىٰ هذا الرأي أكثر المفسرين المعاصرين، من مثل الشيخ عبد المعز عبد الستار، من شيوخ الأزهر، والشيخ محمد متولي شعراوي وعبد الكريم الخطيب والدكتور محمد مجذوب والدكتور محمد

هلال والدكتور مصطفىٰ مسلم والدكتور صلاح الخالدي والدكتور بسام جرار، وهذا ما نؤمن به، بيد أنه يؤخذ علىٰ هذه التأويلات أن علو بني إسرائيل الثاني يتصل عند بعضهم بعلامات القيامة الكبرىٰ، وأنه سيكون علىٰ يدي ملك يهود (المسيح الدجال)، وتتبيره سيكون علىٰ يدي نبي الله عيسىٰ عليه السلام، الذي ينزل في آخر الزمان، فيقتل الدجالَ، ويؤخذ عليها أيضًا أنها تتضمن الإيحاء بأن النصر قدر محتوم ووعد إلهي، وأن أي محاولة لدحر الاحتلال هي مغالبة للقدر واستعجالًا للنصر قبل أوانه[1]، ولنا في هذه وجهة نظر، أو نظرية، تحل هذا الإشكال، سنُبيِّنها لاحقًا (الرأي السابع).

الرأي الثالث: طالعته قبل عقود (في سبعينيات القرن الماضي)، وهو للدكتور مصطفىٰ محمود، وهو تصور يقوم علىٰ المعنىٰ المجازي للأعور الدجال، وفيه يرىٰ الدكتور مصطفىٰ أن المسيح الدجال يتمثل في القوىٰ المسيحية الداعمة اليوم لهذا الكيان، والتي تملك القوة والمال، وتمد العون لمن يتفق معها في سياساتها، وتحاصر من يعارضها وتحرمه من مقومات الحياة، فكأنما هي تحيي من تشاء وتميت من تشاء، كما جاء في الأثر عن المسيح الدجال، ولكون هذه القوىٰ تؤمن بأن الحياة مادة، ولا تؤمن بالمكوِّن الروحي في الوجود، فكأنما هي تنظر للحياة والوجود بعين واحدة كالأعور، وهي تخدع الشعوب بادعائها الإنسانية، وحقوق الإنسان، فهي مسيحية وخادعة، ومن يحملها ويقاتل بها ومن أجلها فهو مسيح دجال، أو أعور دجال، وإن ادعىٰ أنه من أتباع المسيح، وفي رأينا أن هذا التأويل مع أنه لا يتعارض مع فنون اللغة، ويمكن فهمه في ضوء ما تقوم به المسيحية الصهيونية من قتل وإجرام باسم الدين والمسيح، كما رأينا في المبحث الأول، وفي ضوء ما بلغوه اليوم من تقدم علمي وقدرات تقنية وتطبيقية أشبه بالخوارق والمعجزات، مثل إنزال المطر والاستنساخ والتأثير علىٰ النوع وتغيير الجنس البشري وغيرها، وأنه يحل الإشكالية التي ظهرت في تأويلات بعض المعاصرين التي ترجع تتبير علو بني إسرائيل الثاني إلىٰ آخر الزمان

(١) انظر بو ادميع الحسين، هل في القرآن نبوءة بنهاية الكيان الصهيوني، مجلة البيان الرقمية –العدد ٣٦١، ٢٥/ ٥/ ٢٠١٧.

(الرأي الثاني)، إلا أنه لا يعدو كونه فكرة لم تبلغ درجة الفرضية العلمية فضلًا عن النظرية والحقيقة.

الرأي الرابع: يتمثل في توقعات ونبوءات، لبعض العلماء والمفكرين، بأن علو بني إسرائيل هو ما نعيشه اليوم، وأن المسلمين هم من سيتبره، وذهب أصحاب هذا الرأي أبعد من غيرهم بتحديد الزمن الذي سيقع فيه التتبير، بأنه سيكون في المدىٰ الزمني بين ٢٠٢٢- ٢٠٢٨م، وممن ذهب إلىٰ هذا الرأي الدكتور بسام جرار الذي توقع عام ١٩٩٢، في كتابه «زوال إسرائيل نبوءة قرآنية أم صدفة رقمية» بأن نهاية إسرائيل ستكون عام ٢٠٢٢، وكذلك توقع أستاذ التفسير في الجامعة الأردنية الدكتور أحمد نوفل أن زوال إسرائيل سيكون عام ٢٠٢٢، وأما الشيخ أحمد ياسين، مؤسس حركة المقاومة الإسلامية، حماس، التي تتقدم اليوم صفوف المقاتلين في الحرب علىٰ إسرائيل، وتحمل لواء الدعوة لإزالتها، فتوقع في برنامج «بلا حدود» الذي كان يعده الإعلامي أحمد منصور في فضائية الجزيرة، وبُثَّ عام ١٩٩٨، أن زوال الكيان سيكون في عام ٢٠٢٧، بعد مرور ثلاثة أجيال (كل جيل ٤٠ سنة) علىٰ بداية القضية الفلسطينية، وأصيغه بكلماتي كالآتي:

- **جيل النكبة (١٩٠٨-١٩٤٧ م)**: بدأ بالانقلاب علىٰ الخلافة العثمانية في ١٩٢٣، وانتهىٰ بقيام دولة إسرائيل، وتخلله العديد من الثورات الفلسطينية، أهمها ثورة ١٩٢٦ و١٩٢٩ و١٩٣٦ وثورات أخرىٰ محلية، تم وأدها والقضاء عليها.

- **وجيل المقاومة (١٩٤٨-١٩٨٧)**: بدأ بإعلان قيام دولة إسرائيل وشهد العديد من الحروب الشاملة [1] بين العرب والكيان في الأعوام ١٩٤٨، و١٩٥٦ و١٩٦٧ و١٩٧٣، وكان نتيجتها أنها كرست بقاء دولة إسرائيل.

(١) يقصد بحرب شاملة: اشتراك مجموعة من الدول العربية فيها، وهنالك حروب كان العدو ينفرد فيها بدولة عربية واحدة مثل حرب ١٩٨٢ علىٰ لبنان ومعركة الكرامة عام ١٩٦٨ علىٰ أرض الأردن، وسوف يلي ذكرهما في سياق المادة لاحقًا.

- **وجيل التحرير (١٩٨٨- ٢٠٢٧)**: بدأ بالانتفاضة الفلسطينية الأولىٰ عام ١٩٨٧، وشهد العديد من الحروب بين المقاومة الإسلامية والكيان، عام ٢٠٠٨ و٢٠١٢ و٢٠١٤ و٢٠٢١ و٢٠٢٢، ومعركة طوفان الأقصىٰ الراهنة ٢٠٢٣، ويؤخذ علىٰ هذه الآراء، من البعض، أنها مجرد خيالات وتوقعات لا تستند لعلم شرعي، كما يرىٰ الدكتور سامي العريان، الخبير في القضية الفلسطينية، في برنامج استضافه فيه منتدىٰ مصابيح الأقصىٰ، ليتحدث عن معركة طوفان الأقصىٰ وتداعياتها[١]، غير أن الحجة المقابلة هي: أن بعض هذه الآراء يستند علىٰ استقراء للتاريخ، وأنها ليست خاصة بالمفكرين المسلمين، بل إن مفكرين أمريكيين ويهودًا توقعوا، ولاعتبارات تتعلق بالحسابات السياسة والإدارية والاقتصادية والاجتماعية والسكانية للكيان، أن دولة الكيان لن تتجاوز العام الثمانين من عمرها قبل أن تنهار، كما حصل لدول بني إسرائيل في التاريخ، ومنهم رئيس وزراء الكيان الحالي نتنياهو وسلفه الأسبق يهود باراك [٢]، وهذه حجة معتبرة ونقبلها (انظر الرأي السابع).

الرأي الخامس: للدكتور طارق سويدان، في كتابه فلسطين- التاريخ المصور، الصادر عام ٢٠٠٤. ومفاده أن الحرب ستظل سجالًا بيننا وبين اليهود إلىٰ أن يظهر المسيح عليه السلام، ويرىٰ أن العلو الأول هو الذي نعيشه اليوم، وسيأتي علىٰ دولة اليهود هذه عبادٌ لله يخرجونهم من فلسطين، غير أنهم سيعودون مرة ثانية وبعدها يأتي وعد الآخرة، فنتغلب عليهم ونخرجهم من بيت المقدس، ويظل الأمر دُولة بيننا وبينهم إلىٰ حين ظهور المسيح الدجال الذي يؤيده اليهود آنذاك، وتكون نهايته علىٰ يد عيسىٰ عليه السلام في فلسطين قبيل قيام الساعة[٣]، ونرىٰ أن هذا الرأي لم ينظر إلىٰ وجود

(١) منتدىٰ مصابيح الأقصىٰ: مجموعة فكرية عالمية من علماء ومهنيين وقادة حزبيين، متخصصة في قضايا القدس والأقصىٰ وفلسطين، تعمل علىٰ نشر الوعي في هذه القضية بين النخب ومواقع التأثير في العالم، يجري حاليًا تسجيلها كجمعية توعوية، ويرأسها الباحث (الدكتور علي المر).

(٢) انظر مقال « اكتشف «لعنة العقد الثامن»... هل ستزول إسرائيل عام ٢٠٢٧؟ موقع الفضائية التركية تي آر تي، ٤/ ١١/ ٢٠٢٣.

(٣) انظر بو ادميع الحسين، هل في القرآن نبوءة بنهاية الكيان الصهيوني، مجلة البيان الرقمية -العدد ٣٦١،

بني إسرائيل كقوة مؤثرة في جزيرة العرب قبل الإسلام، وأن المسلمين في عهد النبوة وصدر الإسلام جاسوا خلال الديار في المدينة والجزيرة، وتبروا علوهم وإفسادهم فيها، كما سنرىٰ لاحقًا (عند الحديث عن مضامين سورة الإسراء)، وأنه يقلل من مدىٰ علو بني إسرائيل وإفسادهم الحالي الذي نعتقد أنه لن يتكرر وأن ما بعده من علو وإفساد هو في سياق قوله تعالىٰ «وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا»، وهو ما سنوضحه في المبحث الثالث أيضًا، كما لا يقدم شرحًا، علميًا أو منطقيًا، لإمكانية رجوعهم لعلو أكبر منه بعد تتبيره هذه المرة، ولهذا لا نؤيده.

الرأي السادس: رأي مبني علىٰ دراسات علم الأجناس[1]، ومفاده أن يهود دولة إسرائيل اليوم ليسوا بني إسرائيل الذين عناهم القرآن العظيم، وإنما هم خليط من شعوب وقوميات شتىٰ، خزر وترك وغيرهم، لا يزيد عدد الإسرائيليين فيهم عن ٢٠ فقط من سكان الكيان، ولقد تبنىٰ هذا الرأي الدكتور محمد بو دميع، في بحث له نشرته مجلة البيان الرقمية عام٢٠١٧، وفيه ينفي الدكتور بو ادميع أن يكون المسلمون هم من يتبر علو بني إسرائيل الثاني، لأنهم لم يتبروا علوهم الأول، بدليل ساقه أن المسلمين لم يدخلوا المسجد الأُقصىٰ في التتبير الأول، ونأخذ علىٰ هذا الرأي، كما أرىٰ: أنه يعدّ كيان إسرائيل المعاصر ليس معنيًا بما يجري اليوم من فساد في الأرض، وربما يصرف نظر البعض عن التفكير في ذلك، وحتىٰ من الناحية العلمية أرىٰ أن هذا الرأي ليس علىٰ شيء، فليس بالضرورة أن يكون جميع أفراد شعب ما خُلَّص من جنس واحد لكي ينسب الكيان إلىٰ ذلك الجنس، فأمريكا مثلًا كيان يضم خليطًا من أجناس شتىٰ والمحرك الأهم فيها هم الأنجلو سكسون، والصهيونية المسيحية بالخصوص، ومع ذلك فهي تنسب للأنجلو سكسون، وسميت أمريكا نسبة إلىٰ شخص واحد قيل إنه اكتشفها قبل مئات السنين، وكذلك إسرائيل اليوم هي فكرة كان وراء تأسيسها

.٢٠١٧/٥/٢٥

(١) بينت الدراسات المشار إليها كما ورد في بحث الدكتور بو دميع أن أكثر من ٩٠٪ من يهود العالم اليوم ذوو رؤوس عريضة، في حين أن يهود بني إسرائيل الأنقياء (زمن نزول التوراة) هم طوال الرأس.

متعصبون لها من بني إسرائيل، فأخذت دولتهم اسم إسرائيل والفكر الذي طوروه علىٰ مدىٰ السنين، هو الصهيونية اليهودية واليهودية المحرفة، وما يزال بنو إسرائيل هم المحرك الأغلب فيها مع أن عددهم قلة (٢٠٪) كما زعم الدكتور بو دميع، وكذلك يتعارض رأي بو دميع مع المضامين الفكرية التي وردت في القرآن العظيم، مما سنبينه في المبحث الثالث، ومع حقيقة أنه ليس بالضرورة أن يترافق دخول المسجد زمنيًا مع هزيمة واحدة معينة تقع لبني إسرائيل، ولكن بعد حين، وربما بعد سلسلة من الهزائم، كما سنرىٰ لاحقًا عند الحديث عن التتبير الأول، ولهذه الاعتبارات مجتمعة لا نقبل رأي الدكتور أبي دميع، ونرفضه بقوة.

الرأي السابع: هو ما نؤمن به، مما استخلصناه من الآراء السابقة، ونتأوله في ضوء فهمنا للآيات الكريمة في سورة الإسراء، وتاريخ القضية والأحداث الجارية، وعقائد أطراف الصراع (كما بيناه في الفقرات السابقة)، وخلاصته:

١) أن العلو والإفساد الأول لبني إسرائيل كان في المدينة المنورة.

٢) أن تتبيره كان في عهد النبوة وعصر صدر الإسلام.

٣) أن دخول المسجد الأقصىٰ المبارك في المرة الأولىٰ كان في صدر الإسلام، في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في عصر الخلافة الراشدة.

٤) أننا نعيش اليوم العلو والإفساد الثاني لبني إسرائيل.

٥) أن ما يجري الآن من حروب في فلسطين هي في سياق تتبيره.

٦) أن معركة طوفان الأقصىٰ ليست الأخيرة في تتبير الإفساد الثاني، الراهن، ولكنها هي الحاسمة، وسوف تؤسس لانهيار الكيان ودخول المسجد الأقصىٰ المبارك، كما مهدت حرب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ اليهود في المدينة المنورة لدخول المسجد المبارك في المرة الأولىٰ لاحقًا، في عهد الفاروق رضي الله عنه.

٧) ستكون لبني إسرائيل كرة، أو كرات، أخرىٰ، آخرها في عهد المسيح الدجال، يتبرها المسلمون بنزول عيسىٰ عليه السلام.

ونتوقع أن يكون من تداعيات معركة طوفان الأقصىٰ أن تنتشر الأعمال العدائية بين اليهود والمسلمين، وتضعف قبضة الكيان عن المسجد الأقصىٰ تدريجيًا، حتىٰ يعود تحت إدارة إسلامية كاملة وحقيقية، وليس وصاية (هاشمية) كما هي اليوم، وربما توافقت بداية انهيار الكيان مع توقعات بعض العلماء والمفكرين، كما بينا آنفًا (الرأي الرابع)، فلقد بدأت شرارة المعركة الأخيرة عام ٢٠٢٢، بمحاولات تهويد المسجد الأقصىٰ ومقاومتها، ووقعت فيها معركة سيف القدس، وهي السنة التي توقع الدكتور بسام جرار أن تشهد نهاية الكيان، وتُوجت بعملية طوفان الأقصىٰ المجيدة يوم ٧ تشرين ١ (أكتوبر) ٢٠٢٣، والتي نتوقع أن تظل آثارها الضارة علىٰ الكيان، وعوامل التحلل الداخلي، وما سينشأ من حروب وردات فعل، تنخر في جسد الكيان إلىٰ أن تنهار دولته تمامًا، أو يحصل تغير في بنيتها الإدارية والسياسية والعقدية، وربما خلال بضع أعوام، قبل نهايات هذا العقد، كما توقع الشيخ أحمد ياسين رحمه الله وكثير من المفكرين الاستراتيجيين.

وربما تظهر، في مرحلة لاحقة، ظروف تفرض علىٰ الكيان قبول مبدأ الدولة المتعددة القوميات، كحل تفرضه توافقات دولية، لصعوبة نقل ٧ مليون يهودي دفعة واحدة إلىٰ البلدان التي جاءوا منها، وفي النهاية سينتصر المسلمون ويتشتت اليهود ليتحقق تتبير علوهم الثاني.

المطلب الثاني: تأملات في سورة الإسراء

إن التأمل العميق في سورة الإسراء يجد ما يدعم الفهم أو النظرية السابقة، أو الرأي السابع الذي نؤمن به وأوضحناه سابقًا، وهو ما سنوضحه بالمناقشة الآتية لآيات السورة الكريمة، وفي ثلاث نطاقات يلف بعضها بعضًا، ونرىٰ أنها من نوع الإضافات العلمية:

أولًا- البيئة المحيطة بالسورة

سورة الإسراء، أو سورة بني إسرائيل، سورة مكية علىٰ الأغلب، نزلت في العام الثالث قبل الهجرة، عقب حادثة الإسراء والمعراج، وقعت في أحلك أوقات الدعوة وأشد أيام اضطهاد قريش لرسول الله صلىٰ الله عليه، العام الذي عرف في التاريخ الإسلامي بعام الحزن الذي أصاب نبي الله، بسبب وفاة نصيريه عمه أبي طالب وزوجته خديجة، وبعد عودته صلىٰ الله عليه وسلم محزونًا مكسوفًا من الطائف التي لجأ إليها طالبًا النصرة من أهلها، فتنكروا له وأغروا سفاءهم به، فضربوه وأدموا قدميه الشريفتين.

في هذه البيئة الحزينة أسرىٰ الله عز وجل بنبيه صلىٰ الله عليه وسلم، روحًا وجسدًا، من مكة المكرمة إلىٰ المسجد الأقصىٰ المبارك: لِيُسَرِّيَ عنه ما أصابه ويظهر شرفه وفضله وعلو منزلته واحتفائه به، فالتقىٰ أنبياء الله عليهم السلام في بيت المقدس، وصلىٰ بهم إمامًا، ثم عُرج به إلىٰ السماوات العلا، وأراه الله من آياته الكبرىٰ، والتقىٰ عددًا من إخوانه الأنبياء عليهم السلام، وتعلّم منهم بعض القيم والشرائع وأحكام الإسلام، والصلاة، ثم رُجع به إلىٰ مكة المكرمة، كل ذلك في لحظة قصيرة من الزمن، من ليلة واحدة، سميت ليلة الإسراء، باسم الحدث العظيم الذي وقع فيها، وهي المعجزة الأكبر، التي لم يتسن لنا بعد فهمها، وقد تظل كذلك وراء أستار الغيب ولكنا نؤمن بها، وما يشد اهتمام الباحث والمتأمل في هذه الحادثة: أن نبي الله موسىٰ عليه السلام كان أكثر الأنبياء الكرام حضورًا في ذلك المشهد العلوي، وأكثر حضورًا في فرض أحكام الصلاة، وفي ذلك، كما نرىٰ، إيحاء بأن موسىٰ لنا، نحن المسلمين، كما محمد عليهما السلام، كما يمكن أن نستشف من هذا الحضور الكبير ما تواجهه أمة الإسلام، الوريث الحقيقي للنبوة، من اليهود، أدعياء التبعية الباطلة لموسىٰ عليه السلام، ونذكر كذلك أن المسلمين كانوا يتوجهون في صلاتهم نحو المسجد الأقصىٰ المبارك في ١٤ سنة من ٢٣ سنة، أي في نحو ٦٠٪ من زمن عهد النبوة، قبل أن يتحولوا

إلىٰ بيت الله الحرام، في مكة المكرمة، في السنة الثانية للهجرة، والحقيقة، وما نراه، ليس في كل هذه الوقائع والأحداث والشخوص والمسميات صدفة في السرد ولا عشوائية في الاختيار:

١) ولكن تحقيقًا لعقيدة التوحيد، والربط بين القبلتين الأولىٰ والثانية، وبين القدس الشريف ومكة المكرمة.

٢) ولتركيز الاهتمام علىٰ المسجد الأقصىٰ المبارك، أنه سوف يظل بؤرة استقطاب بين الأمم وساحة صراع في التاريخ، فيتداعىٰ المسلمون للذود عنه، كلما تعرض لعاديات الزمان.

٣) ولاستحضار الامتداد التاريخي، الديني والثقافي والاجتماعي الكبير للأمة في وجدان المدافعين عنه

٤) ولحشد المخزون البشري الكبير والمقدرات الهائلة التي وهبها الله لها في المعركة، في كل مرحلة وحرب يتعرض لها المسجد المبارك.

٥) وللربط علىٰ قلوب المرابطين فيه، والمنافحين عنه، كلما عانوا من جور عدو وتردد صديق وخذلان قريب.

ثانيًا- المضمون العام للسورة:

وبالانتقال من البيئة المحيطة بالسورة إلىٰ داخلها نجد أنها تعرض مجموعة من المضامين العقدية والأخلاقية والسلوكية، التي نرىٰ أنها تعالج انحرافات بني إسرائيل، الدينية والنفسية والاجتماعية، وتحض الأمة المسلمة، وريثة النبوة، المكلفة بتتبير علو بني إسرائيل وتدمير إفسادهم، علىٰ التمسك بقيم الحق والفضيلة التي أهدرها بنو إسرائيل في معتقداتهم وممارساتهم، مهما حرفوا ومهما فعلوا من سوء واقترفوا من منكرات، بزعم أنهم الأحق في الحياة والرفعة، وهي:

- الرفع من شأن النبوة والاحتفاء بالأنبياء، بذكر حادثة الإسراء بنبي الله محمد صلىٰ الله عليه وسلم (الآية ١)، والعروج به في السماء، كما ذكر في مواقع أخرىٰ من القرآن العظيم والسنة الشريفة، وفي المقابل نعلم الصورة المتدنية للأنبياء في الفكر والعقيدة اليهودية، مما سردناه في المبحث (١).

- أن القرآن يهدي للتي هي أقوم، وما يتضمنه ذلك من ضرورة التمسك بقيمه والسير في هديه (الآية ٩). ونعلم أن غيره من كتب والتوراة جرىٰ تحريفها وإخراجها عن المضمون الإنساني لرسالات السماء.

- أن كل إنسان يتحمل عاقبة فعله (الآية ١٥)، ونعلم أن اليهود، من عقائدهم، قتل المسالم والمحارب، والصغير والكبير، والطفل الرضيع والجنين في بطن أمه، والبشر والبقر والشجر والحجر، وكل شيء، نقمة، دون تمييز أو تحقيق أو محاكمة ما دام الأمر يتعلق بغيرهم.

- أن الله لا يعاقب أمة إلا بعد إقامة الحجة عليها، بإرسال نبي أو بلوغ دعوة (الآية ١٥)، واليهود لا يقرون بدعوة لغيرهم، ولا برسالة محمد وقد بلغتهم، ويصرون علىٰ اتباع باطل حاخاماتهم وأقوال سفائهم.

- أن عاقبة الإفساد في الأرض هي الدمار والخراب (الآيتان ١٦و١٧)، ولقد عرفنا طبيعتهم المجبولة بالفساد، ومن ثَمَّ فإن مصير إفسادهم هو التتبير والتدمير.

- أن من لا يؤمن بالآخرة ويجعل الحياة الدنيا هي غاية همه ومبلغ حلمه يعطيه الله منها ويخسر الآخرة ويكون مصيره النار، ومن عمل للدارين يعطيه الله جزاء عمله في الدارين (الآيات ١٨-٢٢)، ونعلم عن اليهود إقبالهم علىٰ الدنيا والحرص علىٰ الحياة، وإعراضهم عن الآخرة وما يقرب لها من خصال.

- الدعوة للتوحيد الخالص لله، بحسب الشرك أساس انحراف العقل واختلال التفكير (الآيتان ٢٢ و٢٣)، ونعلم مدىٰ انحراف يهود، بتجسيدهم للإله في صورة بشر محدود القوىٰ وأنه يخصهم دون غيرهم.

- الحض علىٰ التواضع وعدم الاستعلاء علىٰ الناس (الآية٢٧)، وعرفنا كيف ينظر اليهود لأنفسهم باستعلاء وغيرهم مجرد حيوانات وعبيد وكائنات نجسة.
- النهي عن الشح والبخل والدعوة للاعتدال في الإنفاق، وحفظ مال اليتيم (الآيات ٢٩- ٣١)، والمعروف أن اليهود يحبون المال حبًا جمًا ويجمعونه جمعًا، ولا يعترفون لغيرهم بحق في مال وتملك!
- تحريم الزنا وقتل الطفولة ومنع الإنجاب وقتل النفس والإسراف في القتل (الآيات ٣١-٣٣)، ونعرف من عقائد يهود الدعوة للزنا بنساء غيرهم، وللقتل والإبادة وكراهية الإنجاب لغيرهم والحد من تكاثر غيرهم.
- الدعوة للالتزام بالمواثيق والوفاء بالعهود والمكاييل (الآيات ٣٤ و٣٥)، واليهود كما عرفنا لا حرمة لغيرهم في معتقداتهم، ولا يقيمون عهدًا لغيرهم في معاملاتهم، فلا يوقعون ميثاقًا إلا وهم يبيتون نقضه.
- التأكيد علىٰ حقيقة تكريم الله للإنسان وتفضيله علىٰ سائر المخلوقات (الآية ٧٠)، علىٰ نقيض عقائد وسلوك اليهود الذين يرون الشعوب بهائم وحيوانات منحطة خلقت في هيئة بشر.
- المفاضلة بين الناس يوم القيامة تكون بالتقوىٰ (الآية ٧٥)، واليهود لا ينظرون إلىٰ الشعوب بحسبها مكلفة، ولا يهتمون بالبعث والحساب في الآخرة، فيجيزون لأنفسهم ما لا يجيزون لغيرهم.
- التأكيد علىٰ التمسك بقيم الحق، وأن من يشذ عنها فهو هو أعمىٰ في الدنيا والآخرة (الآيات ٧١- ٨٤)، ونعلم مدىٰ شذوذ عقائد اليهود وحقدهم علىٰ الشعوب ونعتهم الأنبياء بأقذع الأوصاف.
- التأكيد علىٰ أن الروح من أمر الله، لا يعلم الإنسان من أمرها شيئًا (الآية ٨٥)، ونعلم افتراء اليهود أنهم من روح الله وغيرهم من أرواح شيطانية، ومن المعلوم

أن هذه الآية نزلت للرد علىٰ سؤال أعده للنبي صلىٰ الله عليه وسلم يهود المدينة، لاختبار صدق نبوته.

- الحديث عن نبي الله موسىٰ عليه السلام ومعجزاته ووعد الآخرة، (الآيات ١٠١-١٠٤)، وهو ما يؤكده الواقع المعاش، فقد جاءوا لفيفًا من أنحاء الأرض، كما سنرىٰ لاحقًا في الفقرة التالية من هذا المبحث.
- كما تضمنت السورة الكريمة موضوعات أخرىٰ: عقائد وشرائع وأخلاقًا وقصصًا... الخ، كلها تدور حول محورها وفكرتها الأساسية.

ثالثًا- مَرْكز السورة أو محورها (وفكرتها الأساسية):

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١) وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا (٢) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣) وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧) عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء ١-٨]..

﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء ١٠٤].

يدور محور سورة الإسراء أو فكرتها الأساسية، حول علاقة المسلمين باليهود وخص منهم بالذكر بني إسرائيل بحسبهم محرك الأحداث الجسام والإفساد العظيم

في التاريخ، ونسب إلىٰ نفسه، دون الذكر بالاسم، أقوامًا بعينهم يسلطهم عليهم لتتبير علوهم وإفسادهم في كل مرة، ونعلم أن المعركة بين المسلمين واليهود ظلت مستمرة منذ أن وطأت قدما رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم الشريفتين أرض المدينة المنورة، وسوف تظل رحاها دائرة إلىٰ آخر الزمان [١]، وكما يفهم من الآيات الكريمة فإن هذا التاريخ الطويل من العداء سوف يشهد علوين وإفسادين، هما الأكبر لبني إسرائيل في الأرض، في التاريخ، وعددًا من حالات العلو والإفساد الأقل شأنًا، وفيما يلي البيان:

الإفسادُ الأول: وبالنظر لما ذكرناه من آراء العلماء في وعد الآخرة (الفقرة ٥ , ١) ووقائع القضية الفلسطينية التاريخية (الفقرة ٣) نستطيع القول إن إفساد بني إسرائيل الأول كان في جزيرة العرب، وأن تتبيره كان في عهد النبوة والدولة الراشدة، في المدىٰ الزمني من ١- ١٥ للهجرة ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾، ويذكر أن اليهود كانوا قد أنشأوا لهم تجمعات في انحاء متعدد في الجزيرة العربية، في اليمن وحضرموت واليمامة ودومة الجندل ونجران وفدك وخيبر ويثرب (المدينة المنورة)، وكانوا حين قَدِمَ المسلمون المدينة المنورة قد علوا فيها وأثاروا العداوات والفتن بين أهلها، وأرهقوهم بالديون والربا وفرقوهم وأخضعوهم لسلطانهم، وكانوا يتجهزون لتتويج سيدهم، عبد الله بن أبي سلول، ملكًا علىٰ المدينة، فأحبط المسلمون أحلامهم وأقاموا دولة الإسلام الأولىٰ، فنقض اليهود ميثاق المدينة (أو الدستور الذي أنشأه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم) وتآمروا علىٰ الدولة الناشئة، وتواصلوا مع أعدائها، من مشركي العرب والروم والفرس، يحرضونهم علىٰ قتال المسلمين واستئصال شوكتهم قبل اشتداد عودها، وتسببوا في إشعال نار أربعة حروب ضارية مع المسلمين، في حياة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، كان نتيجتها إجلاء قبائلهم الثلاث، من المدينة المنورة (بنو النضير سنة ٣

(١) يخبرنا القرآن العظيم أنهم بسبب طبيعتهم الملتوية ظلوا يختلفون مع الرسل ويقتلون النبيين، قبل الإسلام الدين الخاتم، يقول تعالىٰ «أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ» (البقرة ٨٧)، وقيل إنهم قتلوا يحيا وزكريا وأشعياء، ونعلم أنهم هموا بقتل عيسىٰ ومحمد عليما السلام، وفي عقائد الإسلام جميع الأنبياء مسلمون وجاءوا بالإسلام.

هـ، وبنو قينقاع سنة ٣ هـ، وبنو قريظة سنة ٥ هـ)، وفتحَ مدينة خيبر وإخضاعها لسلطان الدولة المسلمة، سنة ٧ هـ، وعندما تولىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة (١٣-٢٣ هـ) أمر بإخراجهم من خيبر وفدك ونجران، إنفاذًا للحديث الشريف «لَا يَجْتَمِعَنَّ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانِ»[١]، فتفرقوا في الشام والعراق، وتوّج رضي الله عنه حربه عليهم، بفتح بيت القدس أول مرة، سنة ١٥ للهجرة، وقام بتحرير ميثاق أمان لأهلها، سمي في التاريخ الإسلامي «العهدة العمرية»، ضمنه نصًا صريحًا بإخراج اليهود منها، استشرافًا منه للمستقبل، وخط بذلك نهاية حلمهم في التجمع، وأرّخ لدخول المسلمين المسجد الأقصىٰ أول مرة:

«**بسم الله الرحمن الرحيم**، هذا ما أعطىٰ عبدُ الله، عمر، أمير المؤمنين، أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها، وسائر ملتها: أنه لا تُسكن كنائسهم ولا تُهدم، ولا يُنقص منها ولا من حيِّزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون علىٰ دينهم، ولا يضارّ أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود»[٢].

الإفسادُ الثاني: وباستخدام نفس الخوارزمية، والخلفية العلمية، واستنادًا إلىٰ ما استجد من وقائع وأحداث بطوفان الأقصىٰ فإن ما نراه أن علو بني إسرائيل وإفسادهم الثاني هو ما نعيشه اليوم، وهو يشمل الأحداث التي وقعت في المدىٰ الزمني الممتد من بدء الفكرة الصهيونية في أوروبا في القرون الوسطىٰ، وتأثيرهم الديني والسياسي علىٰ الغرب، مرورًا بتجمعهم وإعلان إنشاء كيانهم في فلسطين في منتصف القرن الماضي، وحتىٰ السقوط المرتقب لهذه الدولة الدويلة، سواء بمعركة طوفان الأقصىٰ، أو

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٨) ومسلم (١٦٣٧) وفي الحديث: «إنَّ آخِرَ ما تكَلَّمَ به النَّبيُّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّمَ: أَخْرِجوا يَهودَ أهْلِ الحِجازِ وأهلِ نَجرانَ مِن جَزيرةِ العَرَبِ»، أخرجه أحمد (٣/ ٢٢١) وصححه ابن عبد البر في «التَمهيد"(١/ ١٦٩)، وفي الحديث: «لَأُخْرِجَنَّ اليَهُودَ والنَّصارَىٰ مِن جَزِيرَةِ العَرَبِ حتَّىٰ لا أدَعَ إلَّا مُسْلِمًا»، أخرجه مسلم [الصفحة أو الرقم١٧٦٧].

(٢) انظر محمود بسيوني، الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان- المجلد الثاني، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٣، موقع جامعة مينيسوتا.

بسبب تداعياتها المتوقعة، أو بعد معركة أو معارك أخرىٰ ستنشب لاحقًا بينهم وبين المسلمين، وهو ما نميل إليه، وربما كانت طوفان الأقصىٰ هي الحاسمة، وما بعدها هو ارتدادات لها تنتهي بزوال الكيان مثل ارتدادات الزلزال تأني علىٰ ما ظل قائمًا من أطلال وخرابات، وبتأمل الآيات الكريمات نجد الكثير من المعاني، ذات الدلالة الإعجازية، التي تؤيد هذا الاستنتاج: فرغم أن اليهود أقلية دينية عرقية، كانت منبوذة ومشتتة في العالم، فلقد تمكنوا من استجماع قوتهم وإعادة الكرة علىٰ المسلمين وهم كثرة تحقيقًا لقوله تعالىٰ «ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾، وهو، كما قلنا سابقًا لم يكن المفسرون الأول يتوقعونه، فحملوا الإفسادين علىٰ ما كان قبل الإسلام، ولكنه حصل وها نحن نعيشه اليوم، وهذه من مظاهر إعجاز النص القرآني، ومن مظاهر الإعجاز أنهم في هذه المرة (الراهنة) علوْا علوًا كبيرًا، وليس في فلسطين وحدها ولكن في العالم كله، فغدوا يملكون أصول المال والبنوك والشركات الكبرىٰ العابرة للحدود، والصناعات ووسائل الإعلام والجمعيات السرية الفاسدة وقوىٰ الضغط ومراكز صنع القرار.

وتمكنوا، من الوصول إلىٰ مستويات عليا في إدارات الدول، وأصبحوا يرسمون سياساتها ويتحكمون في قراراتها، وأقاموا دولتهم في قلب أمة ممتدة معادية لهم ومنطقة نابذة لهم، وأداروا معاركهم مع العرب والمسلمين باقتدار، أيًا كانت الطرائق والوسائل التي اتبعوها، وقتلوا وشردوا وأفسدوا بلا وازع من خلق ولا مانع من ضمير ولا رادع من الأمم، وهي حالة من العلو والإفساد لم يبلغوا مثلها في التاريخ كله ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾، ومن مظاهر الإعجاز في القرآن العظيم، وما تحقق علىٰ أرض الواقع في أوضح صوره، إمدادهم الكبير اليوم بالمال والبنين، والنفير الكثير ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾.

ولقد رأينا كيف حشدوا، في معركة طوفان الأقصىٰ ما يزيد عن نصف مليون جندي، في وقت قصير، نسبيًا، وكيف نفر العالم لإسنادهم وإمدادهم بكل ما يحتاجون

من مال وسلاح وجنود وسفن وطائرات وخبرات ودعم عملياتي واستخباراتي ورصد وتوجيه عبر الأقمار الفضائية وفرق اكتشاف الأنفاق وأسلحة متطورة وقنابل عملاقة وخطوط نقل وجسور برية وبحرية وجوية، وشبكات إمداد، عبر العالم، بكل ما يحتاجون من زاد ومال وعتاد، وغرف عمليات مشتركة، كل ذلك في مواجهة قلة، بضع عشرات الألوف من المقاتلين المحاصرين من كل اتجاه، ولا يملكون شيئًا من الطعام أو الشراب أو الدواء والسلاح، وهو مما لا شك فيه الحصار الأشد في التاريخ علىٰ المقاومين والنفير الأكثر في التاريخ كله ليهود، أخبر به القرآن العظيم، قبل أربعة عشر قرنـًا، يوم نزلت سورة الإسراء في بطاح مكة، في عام الحزن والضعف المادي للدعوة الإسلامية، وكأني بالنص القرآني يفيد أن الله عز وجل أوحىٰ يومها لنبيه عليه السلام، الكسير القلب، المعذب من أهله: أن شأنك (يا محمد!) وأمتك سيبلغ آفاق الأرض بالنصر في الآخرة (معركتنا مع يهود) كما علا شأنك فبلغت آفاق السماوات والأرض بالإسراء والمعراج في الأولىٰ.

ومن مظاهر الإعجاز ما تحقق من إساءة وجوه يهود في معركة طوفان الأقصىٰ ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾، فبعد قرون من كدهم لإحاطة أنفسهم بهالة من القدسية والسامية المزعومة، وبناء صورة ذهنية شعورية في خلد الشعوب بأنهم الحمل الوديع والشعب المتحضر، جاءت الطوفان لتنسف هذه القناعات الزائفة رأسًا علىٰ عقب، فإذا بهم يظهرون علىٰ حقيقتهم التوراتية المحرفة والتلمودية المنحرفة والسلوكية الشائنة، وإذا بموجات الكره والاستنكار العالمي لجرائمهم في غزة تنتشر في الأرض، وإذا بقادتهم يطاردون في المحاكم الدولية، بتهم الإبادة الجماعية وجرائم ضد الإنسانية، وهي وإن حاولوا التنصل منها مؤقتًا فستبقىٰ تلاحقهم في كل مكان ولأمد بعيد، ولا شك أن ذلك من أشكال إساءة وجوه اليهود التي لم يشهد التاريخ مثلها، ونتوقع أنها لن تقف إلا بزوال كيانهم لارتباط ذلك في النص القرآني بتتبير إفسادهم.

الأقوامُ المسلطونُ عليهم: ومن مظاهر الإعجاز البياني في قوله تعالىٰ ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ وصفُ عملية التتبير بالبعث، فالبعث يجمع بين الحركة والقوة، ونسبة هذا البعث لنفسه سبحانه بضمير المتحدث المتصل تفيد أن الله هو من يتولىٰ البعث، في كل مرة، فهي معركة لله، والله لا يدفع أمة أو طائفة لقتال عدوه وعدوها ثم يتخلىٰ عنها ويخذلها، ووصْفُ الأقوام المسلطين علىٰ بني إسرائيل، في جميع مرات علوهم في الماضي والحاضر والمستقبل، بعبارة «**عِبَادًا لنَا**»، ونرىٰ أنها تعني المسلمين (دون غيرهم)، كما ذكر قدماء المفسرين، لسببين:

الأوّل: لأن الله حاشىٰ أن يبعث أناسًا فاسدين ليتبروا فساد غيرهم، ففاقد الشيء لا يعطيه، ومن ثَمَّ فإن هذه المهمة والصفة ليست إلا للمسلمين ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]، ولقد أثبت التاريخ أنه ما من أمة ظهرت علىٰ أمة أخرىٰ بالقوة العسكرية وأقامت هذه المعايير والتزمت هذه القيم غير المسلمين، لأنها أساس وجوهر دعوة الإسلام.

و**الثاني**: لارتباط الحدث بما أصفه مجموعة من الصور المعنوية والاعتقادية المتقابلة، المترابطة المتلازمة، التي لا تنفصم عراها ولا ينفك رباطها مهما طال الزمن واشتدت الخطوب، وهي: مكة المكرمة والقدس الشريف، مبتدأ الإسراء ومبتدأ المعراج، المسجد الحرام والمسجد الأقصىٰ، القبلة الأولىٰ والقبلة الثانية، نبي الله موسىٰ ونبي الله محمد عليهما السلام، ومن هذه الصور يمكن أن نستشف صورة أخرىٰ: أن الأمتين المعنيتين بهذا الصراع هم: بنو إسرائيل بالفساد والإفساد والمسلمون بالتتبير وإساءة الوجه، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ... شَكُورًا﴾. وهذا يؤكد أن المسلمين هم المعنيون بالخطاب الإلهي «عِبَادًا لَّنَا» في جميع مرات التتبير، وفي وعد الآخرة، إذ إن هذه المتقابلات ليست لغير الأمة المسلمة لا في الماضي ولا في الحاضر ولا في المستقبل: فمن يكون من يدخل الأقصىٰ ليقابل عمر رضي الله عنه؟

ومن مظاهر الإعجاز، في النص القرآني وصفُ العباد الذين يسلطهم علىٰ بني إسرائيل بأنهم أولو بأس شديد، ولقد علمنا في كتب السير والتأريخ مدىٰ صلابة وقوة الصحابة، في التتبير الأول، وشهدنا بأم أعيننا مدىٰ صلابة وقوة المجاهدين، في معركة طوفان الأقصىٰ، إنك ترىٰ اليوم قلة تقف في وجه قوة مدججة بكل أنواع السلاح وأدوات القتل والتنكيل والفتك، يقف وراءها عالم بكل قواه وتقنياته ووسائله، ونشاهد المقاتل المسلم ينطلق نحو تجمعات جيوش العدو، بسلاح خفيف وملابس رثة، وحافي القدمين أحيانًا، فيلصق بيديه قذيفة لا تكلف سوىٰ عشرات أو مئات الدنانير، بجدار دبابه، ثمنها ٦-٧ مليون دولار، فتشتعل فيها النار كأنها علب الكرتون، أو يهاجم تحشدًا من جنود العدو بكل عتادهم، من مسافة صفر، وهي العبارة التي برزت في حروب المقاومة، وأصبحت متداولة، علىٰ كل لسان، للتندر ببسالة المجاهدين والتفكه بدبابة العدو، المزودة بجدار من الحديد الصلب، سمكه ٤٥- ٦٠ سنتيمتر، وبنظام استشعار عن بعد ونظام اتصال مع الأقمار الفضائية يُمَكِّنُها من رصد أي إنسان يقترب منها، بزاوية ٣٦٠ درجة، وبنظام إطلاق نار، ذاتي، باتجاه كل من يحيط بها أو يقترب منها، وعلمنا من ضعف عزيمة عدوهم وجبنهم، أنهم يبقون متسمرين في الدبابات، لخوفهم من الترجل، ثم يحترقون فيها، وإذا ترجلوا وجدوا من يقتلهم من جنود المقاومة البواسل.

وهذه الصورة في المواجهة بين عباد الله أولي البأس الشديد في وعد الآخرة يقابلها صورة معارك التتبير الأول في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ومنها يمكن استشفاف صورة أخرىٰ جميلة، وهي إذا كانت المعارك الأولىٰ وشدة بأس عباد الله فيها قد أسست وكرست قواعد دولة الخلافة الراشدة الأولىٰ فلا غرو أن تؤسس الجولة الحالية لانهيار كيان بني إسرائيل، وإرساء قواعد دولة الخلافة الراشدة الثانية التي في الحديث: «تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَىٰ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا،

ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَىٰ مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ»[١].

مكان وزمان التتبيرين الأول والثاني: ومن مظاهر الإعجاز وصف عملية التتبير الأول بقوله تعالىٰ «فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا» وفيها إيماءة أن الإفساد الأول، وقع في المدينة المنورة والجزيرة العربية، يوم كان المسلمون واليهود يعيشون معًا في نفس المنازل والمهاجع، فكانت عملية التتبير جوسًا، وأصل الجوس كما في كتب التفسير، هو طلب الشيء باستقصاء واهتمام[٢]، أو التخلل في البلاد وطرقها ذهابًا وإيابًا لتتبع ما فيها[٣]، فترددوا بين الدور والمساكن[٤]، في قوله تعالىٰ ﴿وَعْدًا مَفْعُوْلًا﴾ إيماءة إعجازية أخرىٰ، تفيد تحقق وقوع الشيء، بمعنىٰ أن التتبير الأول حصل وانقضىٰ، وليس كما ذهب بعضهم إلىٰ أنه لم يأت بعد، أو أنه يتعلق بما نحن فيه اليوم من حرب بين المسلمين وبني إسرائيل في فلسطين، كما ذهب الدكتور طارق سويدان.

وصورة بلاغية إعجازية أخرىٰ، ودليل علىٰ أن التتبير الثاني هو ما نشهده اليوم نجدها في قوله تعالىٰ ﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾، وكأنّا بهذا النص، وتأخيره إلىٰ آخر السورة الكريمة، يضعنا أمام صورة يظهر فيها جسم، أو كمّ بشري منتشر في أرجاء الأرض في وقت ما، ثم ما يلبث أن ظهرت قوة، أو فكرة جمَّعته (الصهيونية)، فالتف حول نفسه كما يلتف الإعصار الشديد حول نفسه، ثم ينزاح ليضرب في مكان واحد (قلب الأمة الإسلامية فلسطين)، وهي صورة إعجازية تعبيرية بليغة تكاد تكون رباعية الأبعاد (ثلاثة في المكان ورابع في الزمان)، إذا علمنا أن يهود العالم التفوا حول أنفسهم ماديًا ومعنويًا، من أنحاء الأرض،

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٣٠/ ٣٥٥).

(٢) انظر الدكتور محمد السيد الطنطاوي، التفسير الوسيط، ج ١ ص ٢٠٤٧، دار المعارف- القاهرة.

(٣) انظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، تفسير سورة الإسراء ج ١٦ ص ٢٨، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

(٤) انظر محمد بن جرير الطبري، تفسير جامع البيان عن تأويل آي البيان – ط ١ ص ٤٥٤، دار هجر- القاهرة، ٢٠٠١.

وتدافعوا إلىٰ فلسطين في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، ويمكن أن نستشف من كون الآية الكريمة ليست الأخيرة في سورة الإسراء، ولكن تحمل الرقم ١٠٤ من ١١١ آية هي آيات السورة، ما يؤشر علىٰ وجود مرات علو وفساد، بعد المرة الثانية، ولكنها ستكون أقل شانًا، في القوة المادية وفي الزمان والمكان، كما نبين آتيـًا:

العودة للإفساد وعلامات الساعة الكبرىٰ:

يفيد التعبير القرآني ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ أنه سيكون لبني إسرائيل عودة للعلو والإفساد في الأرض بعد مرتي الإفساد الأول والثاني، وأقل عدد نتوقعه (من حيث اللغة) هو مرة واحدة، وأنها تكون في آخر الزمان، كما تدل مجموعة الأحاديث الشريفة التي سنوردها، ن وأن المسلمين الملتزمين، هم من سوف يسلطهم الله عليهم فيها أيضًا، لأن المسلمين هم من سيرث الأرض بنزول المسيح عليه السلام، لما يفيده الحديث الشريف: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ حتَّىٰ لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حتَّىٰ تَكُونَ السَّجْدَةُ الوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَما فِيهَا»[1].

ويمكن أن نفهم من هذا الحديث الشريف أيضًا أن المسلمين سيكونون في حالة عداء مع اليهود والنصارىٰ، ومُضيَّقٌ عليهم منهم، فينزل الله المسيح عليه السلام، فينصرهم، ونتوقع أن علوهم بعد الثانية أو الآخرة، سواء مرة أو مرات، سيكون في فلسطين أو غيرها، بدولة أو بدون دولة، كتجمعات بشرية، أو مجموعة مدعومة من دول وامبراطوريات، نصرانية أو عيرها، كما كان في جزيرة العرب قبل الإسلام، وسوف يملكون، ومعهم الصهيونية العالمية، سيطرة اقتصادية، وسوف يطورون وسائل صناعية، مثل الشرائح الإلكترونية المزروعة، يؤثرون بها علىٰ قناعات الناس، فيتبعهم الكثيرون، وهم يعرفون أنهم كفار، وسوف يتكلل علوهم في المرة الأخيرة منها

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٨) ومسلم (١٥٥).

بظهور المسيح الدجال[١]، كما في الأحاديث التي يعزز بعضها بعضًا، فينزل الله تعالىٰ المسيح عيسىٰ بن مريم عليه السلام فيقاتل الدجال، ويقتله، ويكسر الصليب، ويسود الإسلام والسلام، وتنتشر العدالة في الأرض، وفي الحديث الشريف: « الدَّجَّالُ يَخْرجُ مِنْ أرضٍ بالمَشرِقِ يُقالُ لها خُراسَانَ يَتبعُه أَفْواجٌ كأنَّ وُجُوهَهُم المَجَانُّ المُطَرَّقةُ»[٢]، « يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِن يَهُودِ أصْبَهانَ سَبْعُونَ ألْفًا عليهمُ الطَّيالِسَةُ»[٣]، «إنَّه خَارِجٌ خَلَّةً بيْنَ الشَّأْمِ والْعِرَاقِ»[٤]، «أَلَا إنَّه في بَحْرِ الشَّأْمِ، أَوْ بَحْرِ اليَمَنِ، لا بَلْ من قِبَلِ المَشْرِقِ، ما هُوَ من قِبَلِ المَشْرِقِ، ما هُوَ من قِبَلِ المَشْرِقِ، ما هُوَ، وَأَوْمَأَ بيَدِهِ إلىٰ المَشْرِقِ» [٥]. «يَمكُثُ في الأرضِ أربَعينَ صَباحًا، مَعَهُ جِبالُ خُبزٍ وأنْهارُ ماءٍ، يَبلُغُ سُلطانُه كلَّ مَنهَلٍ، لا يأتي أربعةَ مَساجِدَ.. المَسْجِدَ الحَرامَ، والمسجِدَ الأقْصىٰ والطُّورَ والمَدينةَ»[٦]، « فَبيْنَما هو كَذلكَ إذْ بَعَثَ اللهُ المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، فَيَطْلُبُهُ حتَّىٰ يُدْرِكَهُ ببَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ»[٧]، «وأنا أولىٰ الناسِ بعيسىٰ ابنِ مريمَ لأنه لم يكنْ بيني وبينَه نبيٌّ، وإنه خليفتي علىٰ أمتي، وإنه نازلٌ، فإذا رأيتموه فاعرِفوه».

---

(١) قال الإمام الرازي: إن المسيح الدجّال سُمّي مسيحًا لأحد وجهين أولهما: لأنّه ممسوح العين اليمنىٰ، وثانيهما: لأنّه يمسح الأرض أي يقطعها في زمن قصير». وقال أبو نعيم في فتح الباري «كان في أصبهان، في فارس، قرىٰ يسكنها يهود. و» كانت في أصبهان قرية تسمىٰ «يهودية». والطيالسة نوع من الكساء، وقيل كساء يوضع علىٰ العمائم ويسدل علىٰ الظهر، أنظر محرك الدرر السنية، وإسلام ويب، ١٦/ ٥/ ٢٠٠٦.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٢٣٧) واللَّفظُ له، وابن ماجه (٤٠٧٢)، وأحمد (١٢). والمجان: التروس من طبقات من الجلد، يقوي بعضها بعضًا، تتخذ للوقاية من الضربات في القتال. ومطرقة كثيرة الطَّرْق، والمعنىٰ التروس الغليظة، كناية عن الوجوه الغليظة.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٤٤).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٤٢)، انظر «خروج الدجال من جهة المشرق»، محرك الدرر السنية. قال القاضي (عياض) في شرح هذا الحديث: ليست «ما» هنا للنفي وإنما زائدة، لأنه أراد أن يثبت أنه يخرج من جهة المشرق. الحديث الشريف رواه مسلم.

(٦) أخرجه أحمد (٢٣٦٨٣) واللفظ له، والحارث في المسند (٧٨٤)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٤/ ٣٧٦). منهل: موقع أو مكان أو ناحية.

(٧) أخرجه مسلم (٢٩٣٧)، وفي رواية ينزل في الأردن، وفي رواية بمعسكر المسلمين.

والجمع بينَ هذه الروايات: أن مبتدأ خروج الدجال هو من أرض خرسان ومعه سبعون ألفًا من المقاتلين أو الأتباع، من يهودها، وأنه يخرج إلىٰ الشام، ويقيم قرب دمشق، ثم يخرج إلىٰ الحِجازِ، من حَلَّةٍ بمعنىٰ مكان بينَ العِراقِ والشَّام، أو خَلَّةٍ فيهما أو فيما بينهما (من الخلل)، وله امتداد أو صدىٰ أو علاقة ما أو مؤيدين في اليمن، وأن المسيح عليه السلام يخرج قرب دمشق، أو الأردن أو بمعسكر المسلمين، ويحارب الدجال ويتبعه فيقتله عند باب لد، ونعلم اليوم أن اليهود أنشأوا مطارًا لهم في مدينة اللد في فلسطين منذ قيام كيانهم، وأنه الباب والمنفذ الأهم للكيان مع العالم الخارجي، وأن المقاومة إذا أرادت أن تقطع علىٰ الكيان طرق التزود وجهت صواريخها إلىٰ هذا المطار، والناظر فيما يجري حاليًا في المنطقة، من أحداث، يشعر بأن فيها تتشكل خلفية طائفية شعوبية، قد يستغلها اليهود للحرب علينا، في مرحلة لاحقة، بعد تتبير العلو الثاني لليهود، وهدم دولتهم في فلسطين.

النتائج والتوصيات:

نخلص من هذا البحث إلىٰ أهم النتائج والتوصيات التالية:

أولًا: إن الصهيونية العالمية بشقيها (المسيحي واليهودي) حركة عنصرية منحرفة، لا تمت للدين السماوي بصلة، وتشكل وبالًا علىٰ البشرية كلها، ونذير حرب وقتل وسفك دماء، منذ أن نشأت بذرتها الأولىٰ، في القرون الوسطىٰ بالانشقاق عن الكنيسة (الكاثوليكية).

ثانيًا: إن رسالة السماء متمثلة في الإسلام، أصلها الذي لا يزال يحتفظ بنقائه وصفائه، ونظريته العلية للإنسان والحياة، هي من يعول عليه، وسوف يخلص العالم من هذه اللوثة، مهما امتد الزمان واشتدت المعاناة،

ثالثًا: إن مصير الكيان الإسرائيلي المتجبر، الدخيل علىٰ المنطقة إلىٰ الزوال قريبًا، وربما تشكل معركة طوفان الأقصىٰ قدرًا إلهيًا يؤسس لتسريع هذه النهاية، وإراحة البشرية، بما كشفت من طبيعة هذا الوحش، المتمثل في جلد حمل، وفكره الخالي من كل قيمة إنسانية.

رابعًا: إن سورة الإسراء ذات الأبعاد الثلاثة، بيئتها التي نزلت فيها ومضمونها العام وفكرتها الأساسية، المفترضة من الباحث، كل متكامل ومترابط، يدور حول محور واحد، أو فكرة أساسية، هي باطل بني إسرائيل وتحريفهم المشين لعقائد السماء، وإفسادهم الشنيع في الأرض، وتتضمن من إعجاز النص القرآني العديد من الصور المتقابلة، لحقيقة هذه المضامين.

خامسا: إن من واجب عباد الله الذين يمثلهم المسلمين الأنقياء الأتقياء الأصفياء الربانيين وريثي النبوة، الذين أنعم الله عليهم، بتتبير علو بني إسرائيل، ومن يؤيدهم من شعوب وأمم في قناعاتهم الإنسانية مما ذكرنا في مقدمة هذا البحث، إحياء قيم السماء

وإقامة دين الله وشرائعه التي أهدرها المغضوب عليهم من بني إسرائيل (**الصهيونية اليهودية**)، ومن تبعهم في انحرافاتهم علىٰ غير هدىٰ، وأيدهم في جرائمهم، بحق الإنسانية كلها، من المسيحيين الضالين (**المسيحية الصهيونية**)، وتتبير علوهم في كل مراته.

سادسًا: إن الصراع بين الأمتين الربانية والمنحرفة، تجسد، في أوضح صوره، مرتين، أو كرتين، **الأولىٰ**: في صدر الإسلام، عندما تبّر سول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وصحبه رضوان الله عليهم، علوهم وإفسادهم في المدينة المنورة وجزيرة العرب، وتكلل جهادهم بدخولهم القدس الشريف، والمسجد الأقصىٰ المبارك، أول مرة، سنة ١٥ للهجرة، وتوقيع العهدة العمرية، التي نصت علىٰ إجلاء اليهود عن المدينة المقدسة، **والثانية**: هي عودة اليهود لفيفًا من أنحاء الأرض، في العصر الراهن، والسيطرة علىٰ الأرض المباركة بالقوة، وإنشاء كيانهم فيها، وعلوهم علوًا لم يشهد التاريخ قبله علوًّا لهم مثله، وهو ما يؤشر بوضوح علىٰ أننا نعيش إفسادهم الثاني المقصود في سورة الإسراء.

سابعًا: أن معركة الطوفان المجيدة هي الموقعة الحاسمة في هذه الكرة الثانية، وستأسس لنهاية كيانهم وتتبير علوهم وإفسادهم، ودخول المسجد المبارك ثاني مرة، بمعنىٰ تحريره، أو كف يدهم عنه في البداية، وإن الحرب ستبقىٰ سجالًا بيننا وبينهم حتىٰ قيام الساعة، وأنهم سوف يعودون للظهور والإفساد، وهزيمتهم علىٰ يدي عيسىٰ بن مريم عليه السلام في آخر الزمان، ونتوقع لن تكون تلك الكرة بقيام كيان لهم في الأرض المباركة ولكن ظهور وقوة وغزو فكري عسكري كبير مدعمًا بوسائل تقنية تؤثر علىٰ سلوك الناس وإيمانهم وقناعاتهم، ونرىٰ أن ظهور المسيح الحقيقي عليه السلام في آخر الزمان فيه حكمة القضاء علىٰ الفكرة المسيحية المحرفة التي تمثلت كما قلنا في ما يعرف بالصهيونية المسيحية، ما يضفي قيمة عظيمة علىٰ هذه العقيدة القرآنية وإعجاز الحديث الشريف.

ثامنًا: أن الأمة، حكوماتها وعلمائها وحركاتها وقياداتها، لم تكن علىٰ مستوىٰ رسالة السماء، لتساهم في صنع الحدث، وتسريع نهاية الكيان أو حتىٰ إنقاذ غزة، بل أقل بل خاذلة وبعضها وجد نفسه، راعبًا أو مكرهًا، في صف العدو، وإن الواجب الشرعي، والضرورة الحياتية للامة والبشرية كلها، تقتضي إعادة قراءة النصوص الدينية، في ضوء واقع الحياة، ليكون أكثر فهمًا لتطور الحياة، وقربًا للواقع الذي نشأ بعد انهيار الدولة الإسلامية، قبل مئة سنة، ولتكون حركة الإسلام (السياسي) أكثر إنتاجية وأشد تأثيرًا في الشعوب وأقدر علىٰ قيادة المرحلة وتغيير حركة التاريخ، وفي أهم الميادين: الدولة، والنقود، والجيوش، والإعلام، كما بينا في السياق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع:

ابن حنبل أحمد، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الرسالة، ط١، ١٤٢١.

ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، تفسير سورة الإسراء ج ١٦ ص ٢٨، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر- تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩ه.

البخاري، محمد بن إسماعيل- صحيح البخاري، الرسالة ناشرون، ٢٠١٨.

بسيوني، محمود ، الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان- المجلد الثاني، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٣، موقع جامعة مينيسوتا.

البغوي (الحسين بن مسعود بن محمد)، تفسير معالم التنزيل. تحقيق: حققه محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧ هـ .

بو ادميع الحسين، هل في القرآن نبوءة بنهاية الكيان الصهيوني، مجلة البيان الرقمية -العدد ٣٦١، ٢٥/ ٥/ ٢٠١٧.

بو ادميع الحسين، هل في القرآن نبوءة بنهاية الكيان الصهيوني، مجلة البيان الرقمية -العدد ٣٦١، ٢٥/ ٥/ ٢٠١٧.

الترمذي، محمد بن عيسىٰ بن سَوْرة بن موسىٰ بن الضحاك، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨م.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠ه.

الطبري، محمد بن جرير ، تفسير جامع البيان عن تأويل آي البيان – ط ١ ص ٤٥٤، دار هجر- القاهرة، ٢٠٠١.

الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك، شرح مشكل الآثار ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ - ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م

الطنطاوي، محمد السيد ، التفسير الوسيط، ج ١ ص ٢٠٤٧، دار المعارف- القاهرة.

القرطبي، (محمد بن أحمد)، تفسير الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

موقع الأمم المتحدة، مقال «تحليل أممي بالأقمار الصناعية: ٦٦٪ من مباني غزة لحقت بها أضرار، ٣٠ أيلول (سبتمبر) ٢٠٢٤.

موقع الجزيرة، بعد عام علىٰ الحرب: خسائر غزة الاقتصادية المباشرة ٣٣ مليار دولار، ٦/ ١٠/ ٢٠٢٤.

موقع الفضائية التركية تي آر تي مقال « اكتشف «لعنة العقد الثامن»... هل ستزول إسرائيل عام ٢٠٢٧؟ ، ٤/ ١١/ ٢٠٢٣.

موقع الفضائية الروسية «الإعلام الحكومي بغزة ينشر إحصائيات « حرب الإبادة الإسرائيلية» علىٰ قطاع غزة، (آر تي)، ٦/ ١٠/ ٢٠٢٤.

موقع جلوبال فير بور الأمريكي لعام ٢٠٢٤.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري ، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

جهود الشيخ أحمد بن حمد الخليلي في نصرة القضية الفلسطينية

أ. محمد بن سعيد بن خلفان الرزيقي [١]

الملخّص

يهدف هذا البحث إلىٰ إبراز جهود الشيخ الخليلي في نصرة القضيّة الفلسطينيّة، وتأتي أهمّيّته كون الشيخ الخليلي أحد القامات العلميّة، وآراؤه وبياناته التي يدلي بها تلقىٰ صدىٰ كبيرًا في الأوساط الشعبيّة العربية والإسلاميّة، فإبراز جهوده في القضية الفلسطينيّة يعدُّ مساهمة في توصيل صوته إلىٰ أوسع نطاق، وقد توصّل الباحث إلىٰ بعض النتائج، منها: أنّ الشيخ الخليلي يدعو دائمًا إلىٰ الوحدة الإسلاميّة ونبذ الخلافات وأسباب الفرقة، وعدّ قضية المسجد الأقصىٰ قضيّة إسلاميّة تهمّ جميع المسلمين وليست قضيّة جنس أو عرق، أو قضيّة قوميّة، كما عدّ التطبيع مع الكيان المحتلّ خيانة لله ولرسوله وللمسلمين.

الكلمات المفتاحية: أحمد الخليلي، قضيّة فلسطين، المسجد الأقصىٰ، الكيان الصهيوني.

Abstract

This research aims to highlight the efforts of Sheikh Al-Khalili in supporting the Palestinian cause. Its importance comes from the fact that Sheikh Al-Khalili is one of the scientific figures، and his opinions and statements that he makes have a great echo

(١) طالب دكتوراه، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، تاريخ استلام البحث، ١/ ١١/ ٢٠٢٤م، وتاريخ قبوله للنشر، ١٥/ ١٢/ ٢٠٢٤م، alruzaiqi٤m@gmail.com

in the Arab and Islamic popular circles. Highlighting his efforts in the Palestinian cause is a contribution to conveying his voice to the widest extent. The researcher has reached some results، including: Sheikh Al-Khalili always calls for Islamic unity and rejecting differences and causes of division ،and he considered the issue of Al-Aqsa Mosque an Islamic issue that concerns all Muslims and is not an issue of race or ethnicity ،or a national issue. He also considered normalization with the occupying entity a betrayal of God ،His Messenger ،and Muslims.

Keywords: Ahmed Al-Khalili ،the Palestinian issue، Al-Aqsa Mosque ،the Zionist entity.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين، وخاتم النبيين، سيدّنا وحبيبنا محمّد صلّىٰ الله عليه وسلّم، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، فأمّا بعد.

فإنّ قضايا الأمّة الإسلاميّة كثيرة، وقد وقف سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي -المفتي العام لسلطنة عُمان- موقفًا مشرّفًا تجاه قضايا الأمّة، مدافعًا عنها، وداعيًا إلىٰ لمّ شملها ووحدتها، وتجاوز خلافاتها، والوقوف صفًّا واحدًا ضدّ المعتدين، وتعدّ قضيّة المسجد الأقصىٰ وأرض فلسطين من أهمّ القضايا العالقة في أذهان المسلمين؛ والتي شغلت حيّزًا كبيرًا من تفكير الشيخ الخليليّ الذي لم يألُ جهدًا في المنافحة عن المسجد الأقصىٰ وأرض فلسطين، ولم يدّخر وسعًا في المجاهدة ولو بالكلمة والقلم، ودعوة الأمّة المسلمة إلىٰ الاتّحاد، واسترجاع المقدّسات من قبضة الصهاينة، وقد سلك الشيخ الخليلي جميع الطرق المتاحة له من أجل إحياء القضيّة في ضمير الأمّة الإسلاميّة من خلال كتاباته، وخُطبه، واجتماعاته، ولقاءاته، مؤكّدًا دومًا بأنّها القضيّة الأولىٰ للمسلمين، وأنّها قضيّة عقيدة ومقدّسات إسلاميّة، وليست قضيّة عرق، أو جنس، أو قضيّة قوميّة.

هذا، وقد رأىٰ الباحث الكتابة عن جهود الشيخ الخليلي ببحث بعنوان (**جهود الشيخ أحمد الخليلي في نصرة القضيّة الفلسطينيّة**) وجدير بالذكر أنّ ما يعرضه الباحث من مواقف الشيخ الخليليّ ما هي إلا نماذج من جهوده، وإلا فإنّ مواقفه لا يكفي حصرها بين دفّتي بحث كهذا. سائلًا المولىٰ عزّ وجلّ أن ينفعنا بما علّمنا، ويعلّمنا ما ينفعنا.

إشكاليّة البحث: يحاول بعض الأشخاص جعل قضيّة البيت المقدس قضيّة عاديّة، بين دولتين: فلسطين والكيان الصهيونّي، وبالتالي حلّ القضيّة ـ علىٰ حسب زعمهم ـ بتوقيع اتّفاقات سلام مع الكيان المحتلّ، وتطبيع العلاقات معه، ومن ثمّ تغييب القضيّة الفلسطينيّة عن وجدان المسلمين، لكنّ هناك من العلماء مَن تصدّىٰ لهذه الأفكار، ولم يسكت عمّا يجري من قتل، وظلم، وتدمير، ونهب ومساومة

للأراضي المقدّسة، ومن هؤلاء العلماء الشيخ العلّامة أحمد بن حمد الخليلي «مفتي سلطنة عمان» ، وتجلية للموقف نطرح سؤال البحث الرّئيس، وهو: ما جهود الشيخ أحمد الخليلي في نصرة قضايا الأمّة والقضيّة الفلسطينيّة خصوصًا؟

أهمّيّة البحث: تنبع أهمّيّة البحث من أنّ سماحة الشيخ أحمد الخليلي من أبرز العلماء المدافعين عن القضيّة الفلسطينيّة، ويتميّز بمواقفه النبيلة تجاه قضايا الأمّة، وبمساندته للمقاومة الإسلاميّة في أرض فلسطين، والإشادة بها في دفاعها عن المسجد الأقصىٰ والأراضي الفلسطينيّة، في حين خفتت أصوات كثير من العلماء في هذا الظرف الصعب -خصوصًا بعد طوفان الأقصىٰ- ممّا يجدر بنا دراسة مواقفه، وتحليلها، وتقديمها لأبناء الأمّة المسلمة؛ فهو -في الحقيقة- مدرسة؛ الكلُ يستقي من معينها.

أهداف البحث: إبراز دور الشيخ الخليلي في نصرة قضايا الأمّة عمومًا، والقضيّة الفلسطينيّة خصوصًا.

منهج البحث: اقتضت الدراسة أن يختار الباحث المنهج الوصفيّ التّحليلي خدمة للموضوع.

احتوىٰ البحث علىٰ تمهيد وثلاثة مباحث:

التمهيد؛ وفيه التعريف بالشيخ الخليلي؛ من حيث مولده، وحياته العلميّة، والمناصب التي تقلّدها، ومؤلّفاته.

المبحث الأوّل: مواقف الشيخ أحمد الخليلي تجاه قضايا الأمّة الإسلامية.

المبحث الثّاني: القضيّة الفلسطينيّة قبل طوفان الأقصىٰ.

المبحث الثّالث: القضيّة الفلسطينيّة بعد طوفان الأقصىٰ.

النتائج والتوصيات.

التمهيد: نبذة مختصرة في التعريف بالشيخ أحمد الخليلي

-**كنيته واسمه**: هو الشيخ العلّامة المجتهد أبو سليمان بدر الدين أحمد بن حمد بن سليمان بن ناصر ابن سالمين بن حميد الخليلي الخروصي.

-**مولده**: وُلد الشيخ أحمد الخليلي في اليوم الثاني عشر من شهر رجب عام ١٣٦١هـ الموافق له السابع والعشرون من شهر يوليو ١٩٤٢م في جزيرة زنجبار[١] التي رحل إليها والده الشيخ حمد بن سليمان الخليلي واستقرّ بها هناك مع أسرته، وكانت الجزيرة -آنذاك- وجهة العُمانيين؛ فالوجود العُماني كان قد ترسّخ هناك. وكان رجوعه مع أسرته إلىٰ عُمان في أواخر جمادىٰ الأولىٰ من عام ١٣٨٤هـ، وكان عمر الشيخ الخليلي وقتئذٍ ثلاثة وعشرين عامًا. وعند وصوله إلىٰ عُمان كانت أوّل مدينة حطّ فيها رحاله هي مدينة بهلاء موطن آبائه وأجداده[٢].

-**نشأته العلميّة**: تلقّىٰ الشيخ الخليلي علومه الأساسيّة علىٰ يد والديه في زنجبار، وأتمّ حفظ كتاب الله في التاسعة من عمره، وتلّقىٰ مبادئ علوم الدين واللغة علىٰ يد مشايخه العرب في شرق إفريقيا، لم يدخل الشيخ جامعة ولا كلّيّة ولا معهدًا؛ وإنّما كانت نشأته العلميّة نشأة عصاميّة، فكان كثير الاطّلاع، عاشقًا للقراءة؛ حتّىٰ برع في شتّىٰ العلوم، وفاق أقرانه وشيوخه[٣].

-**المناصب التي تقلّدها**: تقلّد سماحة الشيخ أحمد الخليلي مناصب عديدة،

---

(١) زنجبار: جزيرة تابعة لتنزانيا تقع في المحيط الهندي بين جزيرة بمبة ودار السلام. انظر: المغيري، سعيد بن علي، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٧٤.

(٢) انظر: لقاء مع سماحة الشيخ أحمد الخليلي ــ مفتي سلطنة عمان ــ في برنامج «المقابلة» علىٰ قناة الجزيرة بتاريخ: ١٢ يونيو ٢٠٢٢م.

(٣) انظر: الجهضمي، زايد بن سليمان، من معالم الفكر التربوي عند الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، سلطنة عمان، (د ن)، ط٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج١، ص٤٣. وانظر: لقاء مع سماحة الشيخ أحمد الخليلي ــ مفتي سلطنة عمان ــ في برنامج «المقابلة» علىٰ قناة الجزيرة بتاريخ: ١٢ يونيو ٢٠٢٢م.

ولعلّ من أبرزها:

١- المفتي العام لسلطنة عُمان (ما يزال علىٰ رأس عمله).

٢- رئيس مجلس معاهد السلطان قابوس للثقافة الإسلاميّة.

٣- رئيس معهد العلوم الشرعيّة (حاليًّا كلّيّة العلوم الشرعيّة).

٤- عضو لجنة التظلّمات (أعلىٰ هيئة قضاء في سلطنة عمان).

٥- رئيس لجنة المطبوعات، وتحقيق الكتب بوزارة التراث القومي والثقافة.

٦- عضو مجمع الفقه الإسلاميّ التابع لمنظّمة المؤتمر الإسلاميّ.

٧-عضو مؤسّسة آل البيت (المجمع الملكيّ لبحوث الحضارة الإسلاميّة) [١] وغيرها من المناصب.

-**مؤلّفاته**: للشيخ أحمد الخليلي الكثير من المؤلّفات، نذكر منها:

١- جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل، تفسير من أجلّ تفاسير القرآن الكريم، وأنفعها، وأوسعها، وأشملها، وأبدعها، لم يكتمل بعد.

٢- موسوعة برهان الحقّ يتكوّن من (١٤) جزءًا «دراسة معمّقة في تأصيل العقيدة الإسلاميّة ودرء الشبه عنها بالأدلّة العقليّة والنقليّة» .

٣- كتاب نداء الحق.

٤- كتاب الاستبداد.

٥- كتاب إعادة صياغة الأمّة الإسلاميّة.

٦- كتاب مصرع الإلحاد.

٧- كتاب الفتاوىٰ في الصلاة والصوم والزكاة والحجّ.

٨-كتاب أمّة الإسلام إلىٰ أين مسيرًا ومصيرًا؟ وغيرها من المؤلفات.

(١) الجهضمي، من معالم الفكر التربوي، ج١، ص١٦٢.

المبحث الأوّل: مواقف الشيخ أحمد الخليلي تجاه قضايا الأمة الإسلاميّة

شغلت قضايا الأمّة الإسلاميّة حيّزًا كبيرًا من تفكير الشيخ الخليلي «فهو يشاركهم دائمًا وجدانيًّا شعوريًّا، وعقليًّا؛ إن لم يكن بالعمل الإيجابي؛ فعن طريق تحرير المقالات الوظيفية المعبرّة التي تخدم القضيّة وتقوّي العزائم، وتشحذ الهمم، وتعضّد المواقف؛ فإن لم يكن هذا ولا ذاك فبالدعاء والتضرّع إلىٰ الله بالنصر والتمكين» [١].

المطلب الأوّل: موقفه من الوحدة الإسلاميّة

تعدّ قضيّة الوحدة الإسلاميّة من القضايا التي تشغل المسلمين المخلصين من هذه الأمّة، ويحدوهم الأمل أن يأتي اليوم الذي يتّحد فيه المسلمون علىٰ كلمة سواء، تاركين خلفهم جميع الخلافات، متطلّعين إلىٰ صبح تشرق فيه وحدتهم، وترتفع رايتهم عالية خفّاقة بين الأمم.

ويعزو سماحة الشيخ الخليلي تراجع المسلمين اليوم، وتفرّقهم إلىٰ عدّة أسباب من أهمها: غلبة العصبيّات، والجهل اللّذان أجّجا الأحقاد في نفوسها، وهي ـ بلا شكّ ـ عوامل مدمّرة لاتّحادها منذ قديم الزمان، وكذلك أدّت الموروثات الفكريّة الخاطئة بالأمّة إلىٰ الاختلاف، والتنازع، والتشتّت، ويضيف الشيخ الخليليّ أنّ هذه الموروثات تعمّقت في نفوسهم إلىٰ «أن أصبحت كلّ طائفة منهم تحرص علىٰ أن تستمسك بمواريثها مهما كان خطؤها وبعدها عن هدي الإسلام، ولا تحاول قطّ أن تعرض هذه المواريث علىٰ الأصول التي يجب أن يُرجع إليها وهي كتاب الله تعالىٰ أوّلًا، ثمّ الثابت الذي لا خلاف فيه من السنّة الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم»[٢].

---

(١) الزيني، محمد عبد الرحيم، الوحدة الإسلامية في فكر الشيخ الخليلي، سلطنة عمان، دار الكلمة الطيبة، ١٤٤٢هـ*٢٠٢١م، ص٢٥٤.

(٢) السعدي، فهد بن علي، لقاءات الفكر والدعوة مع سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، سلطنة عمان، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، (د ط) (د ت)، ص ٢٥٠.

وكم يتأسّف الشيخ الخليلي علىٰ تضييع الأمّة المسلمة لمقوّمات الوحدة الإسلاميّة، وعدم تحقيقها واقعًا ملموسًا؛ فنجده يقول وهو يشعر بغصّة: «والمسلمون -وا أسفاه- يمتلكون المقوّمات اللازمة لهذه الوحدة، ويضمّون إلىٰ ذلك رصيدًا ضخمًا من القواسم، والروابط المشتركة، وفوق هذا وذاك هم مأمورون شرعًا بهذا الاتّحاد، لكن لا تزال تتدفّق من أفواههم كلمات تزحم الأوراق، ومجاملات تخرج من جيب التقية أحيانًا، ومن ملفات تحسين الصورة أحيانًا أخرىٰ»[١].

لكنّ الشيخ الخليلي -علىٰ الرّغم ممّا يشعر به من ألم علىٰ شتات هذه الأمّة- لا يفقد الأمل في وحدتها، وهو دائمًا متفائلٌ لهذه الأمّة، بأن يأتي علىٰ ليلها صبح يمسح عنها غبار الفرقة والاختلافات، حيث إنّ الشيخ ما يزال يطرح قضيّة الوحدة الإسلاميّة في كلّ مجمع ومحفل، وخطاباته شاهدة علىٰ ذلك؛ فهو لا يكاد تتاح له فرصة أو مناسبة إلّا ومشروع الوحدة الإسلاميّة حاضر لديه، ولعلّنا نشير هنا إلىٰ أحد لقاءاته مع بعض وسائل الإعلام، ففي ذلك اللّقاء مهّد حديثه عن الوحدة الإسلاميّة بمقدّمة قال فيها: «الأمّة الإسلاميّة هي الأمّة التي اختارها الله تعالىٰ لنشر معاني الخير في الأسرة الإنسانيّة كلّها، ومهما حاول خصوم الدين الحنيف إلصاق التّهم البالية به، فهو الدين الذي اختاره الله سبحانه وتعالىٰ ليكون دين البشر، حيث يكتمل النضج الإنسانيّ» .

ثمّ يواصل حديثه ليصل من مقدّمته السابقة إلىٰ القول: «وكما حافظت الأمّة علىٰ ذاتيّتها العقائديّة؛ فإنّها قادرة علىٰ تحقيق وحدتها في كلّ مجالات الحياة، لتصبح خير أمّة أخرجت للنّاس، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ فعلىٰ المسلمين طرح النظريّات الإسلاميّة لحلّ جميع المشكلات العالميّة»[٢].

وفي ذات السياق يوضّح الشيخ الخليلي أنّ المسلمين يملكون من أسباب الوحدة ما يمكّنهم من تحقيقها علىٰ أرض الواقع؛ بينما غيرهم لا تتوفّر لهم هذه الأسباب؛

(١) السعدي، فهد بن علي، لقاءات في الفكر والدعوة، ص٢٤٦.
(٢) السعدي، لقاءات في الفكر والدعوة، ص٢١٣.

فيقول معلّلًا ذلك: «لأنّ الروابط التي تربط الدول الإسلاميّة روابط لا مثيل لها في تاريخ العلاقات بين الشعوب وأمم العالم؛ لأنّ الروابط الإسلاميّة ترتكز عل القيم الفاضلة، بينما تستند روابط الغرب وحلفائه علىٰ المادّيّات، التي نسجت العلاقات والمصالح المشتركة بين هذه الدول»[١].

وقد بيّن الشيخ الخليلي أهمّ ركائز الوحدة الإسلاميّة؛ فيقول: «فكم من أسباب داعية للوحدة والإتلاف بين الأمّة؛ فهم يؤمنون بإله واحد، ويتبعون نبيًّا واحدًا، ويتمسّكون بكتاب واحد، ويحجّون بيتًا واحدًا، ويستقبلون قبلة واحدة، وقد اتّفقوا علىٰ أركان الإسلام جميعًا، كما اتّفقوا علىٰ أركان الإيمان... ومعنىٰ ذلك أنّ أصول ما يتّفقون عليه أكثر بكثير ممّا يختلفون فيه»[٢].

ومن هذه المرتكزات التي أشار إليها الشيخ الخليلي[٣]:

أوّلًا: الأخوّة الإيمانيّة بين المسلمين.

ثانيًا: الحفاظ علىٰ السلام، وهو ممّا يأمرهم به دينهم.

ثالثًا: عون الضعيف ونصرة المظلوم، وهو ممّا يأمرهم به دينهم أيضًا.

رابعًا: التكامل في جميع المجالات الاقتصادية، والسياسيّة، والتربويّة، والتعليميّة، والإعلاميّة، وغيرها من المجالات.

وفي ذات المعنىٰ، يؤكّد سماحته أنّ العبادات من صلاة، وصيام، وزكاة، وحجّ من شأنها أن تجمع الأمّة المسلمة؛ فيقول: «فهذه الأمّة إنّما تجتمع وتتآلف في ظلال العبوديّة لله، وفي ظلال تقوىٰ الله؛ لأنّ عبادة الله تعالىٰ هي جامعة غير مفرّقة؛ فكلّ عبادة من العبادات المشروعة في الإسلام تنتزعُ من صدور العباد السخائم[٤] والأحقاد،

(١) السعدي، لقاءات في الفكر والدعوة، ص٢٠٩.

(٢) الخليلي، أحمد بن حمد، أمة الإسلام إلىٰ أين مسيرًا ومصيرًا، مسقط، سلطنة عمان، دار الكلمة الطيبة، ط١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص١٣٧.

(٣) السعدي، لقاءات في الفكر والدعوة، ص٢١٠ ــ ٢٠١١.

(٤) السخائم جمع سخيمة، والسخيمة الحقد والضغينة والموجدة في النفس. انظر: ابن منظور، محمد بن

وتفيض فيها شعورًا بواجب الوحدّة الإيمانيّة الرابطة بين عباد الله المؤمنين، وكلّ عبادة من العبادات تحطّم الحواجز المصطنعة بين العابدين، وتقضي علىٰ أسباب الفرقة والاختلاف بينهم؛ ليرتفعوا فوق أهوائهم ونزعاتهم ونزغاتهم، متوجّهين إلىٰ الله تعالىٰ المعبود الواحد الذي فرض بينهم هذه العبادة، وفرض عليهم عبوديّتهم له»[(١)].

وينتهي سماحته من ذلك كلّه إلىٰ أنّ أسباب اجتماع هذه الأمّة المسلمة كثيرة، ومتنوّعة؛ «فما عندها من الرصيد الدينيّ، والرصيد الفكريّ، والأخلاقيّ، والتاريخيّ، والأدبيّ كافٍ لأن يؤلّف بينها ويجمع شتاتها» [(٢)].

وبعد أن عرَض الشيخ أهمّ مقوّمات الوحدة الإسلاميّة يخلص إلىٰ نتيجة مفادها: أنّه إذا تحقّقت الوحدة الإسلاميّة فلن تستطيع أمّة من الأمم أن تلحق الأذىٰ بالمسلمين؛ لأنّنا بهذه الوحدة ننصر دين الله فينصرنا في جميع قضايانا، يقول الله تعالىٰ: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ۗ وَعَلَىٰ اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

المطلب الثاني: موقفه من بعض قضايا المسلمين مثل: (مسلمي الهند، والشعب الأفغاني، ومسجد آيا صوفيا بتركيا)

يتابع سماحة الشيخ الخليلي الأحداث اليوميّة التي تقع في مناطق متعدّدة من العالم عمومًا، والعالم الإسلاميّ خصوصًا، فقد كان وما يزال يتابع قضاياها في شرقها، وغربها، وجنوبها، وشمالها حريصًا علىٰ تماسكها، ورفع الظلم عنها، وكم يعتصر ألـمًا حينما يشاهد أو يسمع كرامة الأمّة تداس هنا أو هناك، أو حينما ينشب نزاع، أو حرب بين طائفتين مسلمتين، وكثيرًا ما يستشعر حديث النبيّ -صلّىٰ الله عليه وسلّم: «مثل

مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، حرف الميم، فصل السين المهملة، ج١٢، ص٢٨٢.

(١) السعدي، لقاءات الفكر والدعوة، ص٢٤٧.

(٢) السعدي، لقاءات الفكر والدعوة، ص٢٤٨.

المؤمنين في توادّهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمّىٰ»[١]، ولا يتوانىٰ في التصريح والتنديد بالظلم، ونصرة المظلوم، ولو بالكلمة من خلال ما أتيح له من وسائل إعلاميّة: مرئيّة أو مسموعة أو كتابيّة، ويرىٰ ذلك من واجبه الدينيّ؛ فمواقف الشيخ الخليليّ -لا حصر لها- ولا يمكن استقصاؤها في هذا البحث؛ ولكن يمكن الإشارة إلىٰ بعضها:

أوّلًا: اضطهاد المسلمين في الهند: أصدر سماحة الشيخ عدّة بيانات للتنديد بما يجري للمسلمين في الهند بين الحين والآخر من ظلم واضطهاد من قبل البوذيّين الذين يساندهم النظام الحاكم هناك، والذي يقع تحت سمع العالم وبصره، ومع ذلك لا يحرّك ساكنًا، متسائلًا سماحته في ذات الوقت: أين المنظّمات الدوليّة لحقوق الإنسان؟ وأين التعاون الإسلاميّ وأمانته العامّة؟ ويضيف تسائلًا آخر: هل هانت حقوق المسلمين حتّىٰ عند المسلمين أنفسهم فلا يحرّكون ساكنًا لانتهاكها؟

ويتابع الشيخ الخليلي حديثه مذكّرًا المسلمين بقول النبيّ صلّىٰ الله عليه وسلّم: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره»[٢]، فخذلان المسلم مقرون بظلمه، ثمّ يختم سماحته حديثه بسؤال يجيب عليه بنفسه إجابة ملؤها الأمل والتفاؤل كما هي عادته: «فمتىٰ يستيقظ ضمير العالم؟ ومتىٰ يفيق المسلمون من غفلتهم؟ كم رجونا ذلك فعسىٰ أن يكون قريبًا»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم، وتعاضدهم، رقم الحديث:٢٥٨٦، ج٤، ص١٩٩٩.

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم في الصحيح؛ عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم علىٰ بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره، التقوىٰ هاهنا»كتاب: البرّ والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله، رقم الحديث: ٢٥٦٤، ج٤، ص١٩٨٦.

(٣) منشور علىٰ موقع (إكس) التابع لسماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي بتاريخ:١٥ جمادىٰ الآخرة ١٤٤٤هـ./٨ يناير ٢٠٢٣م.

ثانيًا: انتصار الشعب الأفغاني علىٰ الأمريكان: كم استبشر سماحة الشيخ العلّامة الخليلي حينما سمع عن انتصار المسلمين هناك، واسترجاع حقوقهم، ودحر عدوّهم من كلّ أفغانستان، بعد عشرين سنة من الظلم والجور الذي وقع علىٰ الشعب الأفغانيّ، وقد سارع سماحته بتهنئة الشعب الأفغانيّ المسلم علىٰ هذا الانتصار، وعدّ ذلك الانتصار من آيات الله حيث يقول: «هي إحدىٰ آيات الله تعالىٰ، وقد تحطّمت الصّخرة الأمريكية بمواجهة إيمان المجاهدين، والمكافحين لأجل إعلاء كلمة الله، وهذا دليل علىٰ طريق النصر، فالطفل منهم يدرس القرآن والرشاش معلّق بجانبه، فهم يجمعون ما بين المصحف والبندقية، وبهذا انتصروا»[١].

ثالثًا: مسجد آيا صوفيا: ومشهد آخر من مشاهد وقوفه مع المسلمين، فقد هنّأ الشيخ الخليلي الشعب التركيّ وقيادته علىٰ إرجاع «آيا صوفيا» إلىٰ مكانته السابقة ليكون مسجدًا يُرفع فيه الآذان، وتُقام فيه الصلاة، وعدّ ذلك خطوة موفّقة من الشعب التركيّ وقائده، مذكّرًا الأمّة الإسلاميّة بأنّ هذا المعلم كان مَعْلَمًا إسلاميًّا منذ عهد السلطان المظفّر المنصور محمّد الفاتح[٢]. هذه هي بعض مواقف الشيخ الخليلي تجاه الأمّة الإسلاميّة، وللشيخ مواقف كثيرة لا يتّسع المقام لذكرها.

المطلب الثالث: قضيّة التفرقة المذهبيّة بين المسلمين:

كم عانت الأمّة الإسلاميّة من التشتّت والفرقة بسبب اختلافها في بعض الفروع الإسلاميّة؛ ممّا أدّىٰ إلىٰ الشحناء والتباغض؛ بل -أحيانًا- إلىٰ سلّ السيوف والتناحر فيما بينها، لا لشيء إلّا للتعصّب المذهبيّ المقيت. وكم يتأسّف الشيخ الخليلي علىٰ أولئك الذين يتعصّبون لبعض المذاهب، ويتجاهلون المذاهب الإسلاميّة الأخرىٰ المعتبرة[٣].

---

(١) لقاء مع الشيخ أحمد الخليلي في برنامج «المقابلة» علىٰ قناة الجزيرة، بتاريخ: ٢٣ يونيو ٢٠٢٢.

(٢) منشور علىٰ موقع (إكس) التابع لسماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي بتاريخ: ٢١ ذي القعدة ١٤٤١هـ الموافق له ١٢ يوليو ٢٠٢٠م.

(٣) يورد الشيخ شيئًا من ذلك: «ونحن نأسف أن تجد في علماء المسلمين من يجري في مثل هذا التيّار (يقصد

وإذا كان بعض الأفراد والجهات قد استغلّ تلك الفروق في الفروع ميدانًا رحبًا لتفسيق طوائف الأمّة المسلمة؛ بل وتكفيرها؛ فإنّ الشيخ الخليلي -ومن منطلق حرصه علىٰ وحدة الأمّة الإسلاميّة، ونبذ الفرقة والخلاف فيما بينها- له رأي مغاير؛ حيث عدّ الاختلاف في الفروع من محاسن هذا الدين؛ فنجده يقول: «وقد جعل الإسلام الاختلاف في بعض الجزئيّات التي تتعلّق بالنواحي الشرعيّة من محاسن هذا الدين الحنيف، فإنّ الله سبحانه وتعالىٰ في كتابه الكريم أخبرنا بما يُطمئنُ قلوبنا من أنّ الاختلاف عندما يكون اجتهادًا خالصًا لوجهه يؤجر عليه الجميع» .

ثم يمضي الشيخ في حديثه مستشهدًا بمواقف اختلف فيها صحابة رسول الله -صلّىٰ الله عليه وسلّم- وقد عمل كلّ فريق بما أدّىٰ إليه اجتهاده؛ فما كان من النبيّ -صلّىٰ الله عليه وسلّم- عندما علم بذلك إلّا أن أقرّهم جميعًا علىٰ فعلهم، ولم يخطّئ أيّ فريق منهم، ومن ذلك استشهاده باختلاف الصّحابة في صلاة العصر في غزوة بني قريظة عندما أمر الرّسول - صلىٰ الله عليه وسلم- المسلمين أن يصلّوا العصر في بني قريظة، وبينما كان الصحابة في الطريق أدركتهم صلاة العصر؛ فانقسموا إلىٰ قسمين منهم من أخذ بظاهر قول رسول الله -صلّىٰ الله عليه وسلّم- وقال: لا حرج علينا في تأخير الصلاة عن ميقاتها؛ لأنّه أمر من النبيّ -صلّىٰ الله عليه وسلّم- ومنهم من قال: لا، بل المراد بذلك أن نتعجّل السير، وعلينا أن نصلّي الصلاة في ميقاتها، وقد أقرّ النبيّ -صلّىٰ الله عليه وسلّم- هؤلاء وهؤلاء علىٰ اجتهادهم[1]، وهكذا يوظّف سماحته بعض الوقائع التاريخيّة بما يسهم في تضييق نطاق الاختلاف بين المسلمين؛ فهو يؤلّف ولا يفرّق.

العصبيّة المذهبيّة) فتجد في كلامهم وأحكامهم فظائع تقشعرُّ لها الأبدان فتجد مثلًا في (حاشية الصاوي علىٰ الجلالين) هذا الكلام العجيب الذي يحار منه العقل، ويطير منه اللب؛ حيث قال ما نصّه: «ولا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة، ولو وافق قول الصحابة، والحديث الصحيح والآية، فالخارج عن المذاهب الأربعة ضالّ مضلّ، وربما أدّاه ذلك للكفر، لأنّ الأخذ بظواهر الكتاب والسنّة من أصل الكفر» انظر: حاشية الصاوي، تفسير الجلالين، ٣/ ١٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان. لقاءات الفكر، ص٢٠٣.

(١) السعدي، لقاءات الفكر والدعوة، ص١٩٦.

ويؤكّد سماحة الشيخ الخليلي أنّ اختلاف المذاهب في القضايا الفرعيّة -التي لا تشتت الأمّة ولا توزعّها -يعدّ اختلافَ رحمة ونعمة، وأمّا الاختلاف الذي يؤدّي إلىٰ التنابز بالألقاب، والتفرقة، وقذف كلّ طائفةٍ طائفةً أخرىٰ بالباطل، ومحاولة وصفها بما يشينها في عين الآخرين، فهو الذي يُعاب وهو الذي لا يُقرُّ أبدًا[١].

وهكذا ينظر الشيخ الخليلي إلىٰ الاختلاف بنظرة إيجابيّة؛ حيث نجده في موضع آخر يقول: «وإن كانت ناشئة -أي الفرقة بين المسلمين- عن تعصّب مذهبيّ؛ فإنّ عليهم أن يدركوا أنّ المذاهب -إن أخلص أصحابها وجهتهم إلىٰ الله- كانت سبب تعمير لا تدمير، ومنشأ وفاق لا شقاق؛ لأنّ الاختلاف في الفروع نعمة ورحمة، وثروة لا تقدّر بثمن» ، معلّلًا ذلك بأنّ الاجتهاد المبنيّ علىٰ الأصل الشرعيّ له نصيب من الحقّ؛ وعندئذٍ يجد المسلم في اجتهاد إخوانه المسلمين ما يثلج صدره، ويحلّ مشكلته، ويكشف غمّته[٢].

وتعدّ المدرسة الإباضيّة من أبرز المدارس الذي تدعو إلىٰ التسامح ونبذ التعصّب المذهبيّ، فمتّبعوها حريصون علىٰ وحدة الصفّ الإسلاميّ، ونجد الشيخ الخليلي يشير إلىٰ هذا بقوله: «والإباضيّة في كلّ وقت وفي كلّ عصر كانوا يحرصون علىٰ أن يكونوا مع الجماعة المسلمة، وأن يكونوا في المقدّمة عندما يواجه المسلمون تحدّيات من قبل الآخرين، فعندما غزت الدّولة الإسبانيّة الجزائر في أيّام الدولة العثمانيّة جاء الإباضية من موطنهم «وادي ميزاب» الذي يبعد عن عاصمة الجزائر أكثر من ست مائة كيلومتر وقاوموا الغزاة الإسبان، وخلّصوا العاصمة الجزائريّة منهم، ولهذا كان للإباضية عند العثمانيّين منذ ذلك الوقت مكانة، فكانوا هم الذين يشرفون علىٰ التذكية في الجزائر إبّان حكم العثمانيّين، لأجل الثقة بهم في دينهم وأمانتهم حتّىٰ تكون الذكية شرعيّة ليس فيها ريب»[٣].

(١) السعدي، لقاءات الفكر والدعوة، ص ٢٤٣.
(٢) الخليلي، أحمد بن حمد، أمة الإسلام إلىٰ أين مسيرا ومصيرا، ص٩٨ ــ ٩٩.
(٣) السعدي، لقاءات الفكر والدعوة، ص٢٠٣.

ويقول سماحته: «مع التسامح الذي يجب أن يكون بين الأمّة لا نجعلها فروقًا تؤدّي إلىٰ القطيعة، وإنّما هي اجتهادات، ومهما كان الأمر فكلٌّ منّا أراد أن يوافق الحق، وكلٌّ منّا أراد الحرص علىٰ الصواب، ولكن إلىٰ جانب ذلك ندعو دائمًا إلىٰ أن تُنتزع من القلوب العصبيّة، وأن تكون النظرة نظرة سليمة، وأن يكون الاحتكام إلىٰ النصوص الصريحة الواضحة من القرآن والسنّة»[1].

هذه كانت بعضًا من مواقف الشيخ الخليلي نحو قضايا الأمّة، وننتقل معكم إلىٰ قضيّة الأمّة الكبرىٰ، قضيّة المسجد الأقصىٰ.

(١) السعدي، لقاءات الفكر والدعوة، ص٢٠٤.

المبحث الثّاني: القضيّة الفلسطينيّة قبل طوفان الأقصىٰ

المطلب الأوّل: مكانة المسجد الأقصىٰ عند الشيخ الخليلي

إنّ للمسجد الأقصىٰ مكانة خاصّة في قلوب المسلمين، فهو أوّل القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ومسرىٰ النبيّ -صلّىٰ الله عليه وسلّم- ومعراجه إلىٰ السماوات، وهو من المساجد التي تشدّ إليها الرحال، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيّ -صلّىٰ الله عليه وسلّم- قال: «لا تشدّ الرحال إلّا إلىٰ ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرّسول صلّىٰ الله عليه وسلّم، ومسجد الأقصىٰ»[١].

وقد شغل احتلال المسجد الأقصىٰ بال سماحة الشيخ الخليلي، واستولىٰ علىٰ تفكيره، بحيث لا يهنأ له بال، ولا يطيب له مقام، فهو لا يزال يعبّر عن مواقفه تجاه قضيّة الأمّة الأولىٰ بشتّىٰ العبارات، مستنهضًا الأمّة لتوحيدها في وجه الكيان الغاصب واسترداد المسجد الأقصىٰ من قبضة اليهود الغاصبين فهو يقول مبيّنًا مكانة المسجد الأقصىٰ: «ثمّ جاء بعد ذلك عهد الله تعالىٰ مرّة أخرىٰ بتوجيه عباده في أقدس شعيرة من شعائر الإسلام في الصلاة التي تقام أن يتوجّهوا إلىٰ المسجد الأقصىٰ المبارك، وجعل الله ذلك دليلًا علىٰ إيمان المؤمن: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ذلك لأنّ الله سبحانه وتعالىٰ أراد أن يمتحن المسلمين الذين كانوا آلفين للبيت الحرام، ويرون صرفهم عن التّوجّه إليه محنة كبيرة؛ لأنّهم ألفوا تعظيم هذا البيت منذ آبائهم الأوّلين، وأراد الله تعالىٰ أن يمتحنهم من هذه الناحية، ثمّ أراد لهذه الأمّة أن يجمع لها مقدّسات النبوّات السابقة بأسرها، فهي الأمينة علىٰ هذه المقدّسات، وقد قال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾[البقرة: ١٤٣]، وفي هذا -علىٰ أيّ حال- دليل علىٰ أنّ التوجّه إلىٰ المسجد الأقصىٰ -وإن كان علىٰ لسان رسول الله

(١) صحيح البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، رقم الحديث:١١٨٨ ج٢، ص٦٠.

-صلّىٰ الله عليه وسلّم- إنّما كان بتوجيه ربّانيّ، فهو شرع من عند الله؛ ذلك لأنّ الجعل إذا جاء في القرآن إمّا أن يكون جعلًا تشريعيًّا، وإمّا أن يكون جعلًا تكوينيًّا، وهنا الجعل هو جعل تشريعيّ، فإذًا هذه أمانة يجب علىٰ المسلمين جميعًا أن يحافظوا عليها»[١].

وفي موضع آخر، يقول سماحة الشيخ عن فضل المسجد الأقصىٰ، ومكانته عند المسلمين: «فالله سبحانه وتعالىٰ عندما أكرم النبي -صلّىٰ الله عليه وسلّم- بالرحلة التاريخيّة العظيمة التي جمعت بين المسجدين الشريفين، وجمعت بين الأرض والسماء، وهي رحلة الإسراء والمعراج، كانت رحلته الأرضيّة من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ؛ لأجل تنبيه هذه الأمّة إلىٰ أنّ قداسة المسجدين في شريعتها قداسة عظيمة، وأنّ عليها أن تحافظ علىٰ هذه القداسة، وعليها أن تحافظ علىٰ هذين المسجدين الشريفين، وألّا تجعل سبيلًا لعدو إليهما» .

ويستمرّ الشيخ الخليلي في الحديث عن المسجد الأقصىٰ مذكّرًا بمكانته لدىٰ المسلمين من جانب العبادة وكسب الأجور في الصلاة، وفضل الصلاة فيه، مشيرًا إلىٰ ما تضمّنه حديث رسول الله -صلّىٰ الله عليه وسلّم- من فضل الصلاة في المسجد الأقصىٰ، فيقول: «إنّ الصلاة في بيت المقدس أو في المسجد الأقصىٰ المبارك إنّما هي عن خمس مائة صلاة يصلّيها الإنسان في غيره من المساجد العاديّة»[٢].

وقد علق في أذهان بعض المسلمين أنّ قضيّة المسجد الأقصىٰ هي قضيّة تختصّ بفلسطين، لكنّ الشيخ الخليلي أراد تصحيح هذه الاعتقاد الذي علق بكثير من العقول، بقوله: «ليست قضيّة قوميّة إنّما هي قضيّة دينيّة تشمل المسلمين جميعًا، ليس العرب بأحقّ بالمسجد الأقصىٰ من العجم، إنّما المسلمون جميعًا شركاء في المسجد الأقصىٰ».

(١) سماحة الشيخ أحمد الخليلي، كلمة عن القدس، مؤتمر حملة أمناء المنبر، علىٰ الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=tJTNbnjCTvY، بتاريخ: ١٧/ ٥/ ٢٠٢٠م.

(٢) سماحة الشيخ الخليلي، القدس والأقصىٰ، علىٰ الموقع الإلكتروني: https://www.youtube.com/watch?v=n٦OSEgALnUoK ، تاريخ النشر١٤/ ١٠/ ٢٠٢٠

ثمّ يطرح الشيخ سؤالًا ليضفي مزيدًا من الإيضاح علىٰ هذه المسألة، وليبرهن كلامه السابق؛ فيقول: «ولذلك عندما احتُلّ في القرون السابقة علىٰ يد من كان تحريره؟ حُرّر علىٰ يد صلاح الدين الأيوبي ولم يكن عربيًّا»(١).

ويضرب سماحته مثالًا من الواقع علىٰ وجوب المحافظة علىٰ المسجد الأقصىٰ، وهو محافظة المسلمين علىٰ المساجد التي هي موجودة الآن في كلّ مكان وكيف أنّها تُصان ويُحافظ عليها من كلّ عبث أو التفريط فيها؛ فكذلك يجب أن يكون حالنا مع المسجد الأقصىٰ يجب أن نحافظ عليه؛ لأنّه «من أهمّ مساجد الله، من أهمّ بيوت الله في هذه الأرض لما فيه من خير كبير؛ إذ جعله الله سبحانه وتعالىٰ مكانًا مباركًا تنزّلت حوله رسالاته علىٰ جماعة من رسله، وقد كان مسرىٰ رسول الله -صلّىٰ الله عليه وسلّم- وهذا ممّا يجعله صنو المسجد الحرام، فقد بدأ مسرىٰ النبي -صلّىٰ الله عليه وسلّم- من المسجد الحرام وانتهىٰ إلىٰ المسجد الأقصىٰ».

وبعد أن بيّن سماحته قدسيّة المسجد الأقصىٰ، والأسباب التي تدعو المسلمين إلىٰ التمسّك به وعدم التفريط فيه، فإنّه يستنهض الأمّة المسلمة بأن تقوم بواجبها تجاه المسجد الأقصىٰ حاثًّا إيّاها «أن تهبّ جميعًا من أجل مناصرة المسجد الأقصىٰ والحفاظ عليه وعلىٰ حرماته، ومن أجل مناصرة كلّ مسلم في الأرض، ومناصرة كلّ شبر من بلاد الإسلام حتّىٰ تكون بلاد الإسلام خالصة من كلّ أثر من آثار أعدائها الذين يتآمرون عليها، والله تعالىٰ المستعان»(٢).

---

(١) الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، تحرير القدس الشريف، علىٰ الرابط: https://www.youtube.com/watch?app=desktop&v=YXuKuLzDgkQ، تاريخ ٢٢/ ٧/ ٢٠١٧.

(٢) سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، دور المسلمين في نصرة القدس، برنامج سؤال أهل الذكر، تلفزيون سلطنة عمان، علىٰ الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=eWUf٢f-d٠qmk، بتاريخ ١٣/ ٥/ ٢٠٢١م.

المطلب الثاني: ارتباط قضية المسجد الأقصىٰ بالعقيدة

كثيرًا ما يؤكّد الشيخ الخليلي علىٰ ارتباط القضيّة الفلسطينيّة بالعقيدة الإسلاميّة؛ ففي مناسبات عديدة يوضّح هذا الأمر، كما أنّه حينما يتحدّث عن القضيّة لا يفوته أن يعود بها إلىٰ جذورها التاريخيّة مذكّرًا المسلمين بأنّها أرض إسلاميّة؛ فمن ذلك قوله إنّ القدس «أرض إسلاميّة يجب المحافظة عليها؛ لأنّها دخلت في أمّة المسلمين من عهد الفاروق -رضي الله تعالىٰ عنه- عندما استلمها وسُلّم مفتاحها، واشترط عليه النصارىٰ الذين سلّموها له أن يبعد اليهود عنها، اشترطوا هكذا أن يبعد اليهود عنها، منذ ذلك الوقت هي أرض إسلاميّة، فعدم المحافظة عليها إنّما ذلك يرجع إلىٰ ضياع أمر المسلمين، لكن بجانب ذلك هي أيضًا أرض ترتبط بعقيدة الإسلام؛ لأنّ فيها بيت المقدس، بيت المقدس هو القبلة الأولىٰ للمسلمين، أُمروا بالاتّجاه إلىٰ بيت المقدس»[١].

هذا هو ديدن الشيخ الخليلي حينما يطرح القضيّة فإنّه يربطها بالعقيدة، ويقول في موضع آخر: «لا نزال نطرحها، ولا تزال هي قضيّتنا الأولىٰ؛ لأنّها قضيّة تتعلّق بالعقيدة، تتعلّق بالدين، تتعلّق بمواريث إسلاميّة، فنحن لا نفرط في هذه المواريث الإسلاميّة أبدًا»[٢].

ويقول في مناسبة أخرىٰ: «إنّ قضيّة القدس هي قضيّة تشغل بال كلّ من يؤمن بالله واليوم الآخر؛ لأنّ قضيّة القدس ليست قضيّة أرض احتُلّت، وإنّما هي قضيّة ترتبط بالعقيدة، فاحتلال القدس إنّما هو أمر له أثر كبير في عقيدة الإسلام؛ إذ الله سبحانه وتعالىٰ شرّف هذه البقعة المقدّسة في الشرائع السابقة»[٣].

---

(١) الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، أرض فلسطين علىٰ الرابط: https://www.youtube.com/shorts/BihZKkrjO٦I

(٢) الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، قضية فلسطين، علىٰ الرابط: https://www.youtube.com/nIlzmkHKiDkhga/shorts

(٣) سماحة الشيخ أحمد الخليلي، محاضرة بجامع الريان بمسقط، بعنوان: يا قدس سلامًا، علىٰ الرابط:

وفي مناسبة أخرىٰ يؤكّد علىٰ ارتباط القضيّة بالعقيدة؛ فنجده يقول: «ذلك لأنّ الله سبحانه وتعالىٰ جعلها قضيّة ليست قضيّة قوميّة، وليست قضيّة وطنيّة، وإنّما هي قضيّة وعقيدة تتعلّق بعقيدة هذه الأمّة، فالمسجد الأقصىٰ وأرض فلسطين ملك كلّ مسلم ومسلمة في أيّ بقعة من الأرض»[١].

المطلب الثّالث: تحرير المسجد الأقصىٰ

إنّ واجب رفع الرُّوح المعنويّة، وبثِّ الأمل في القيام من جديد، لهو من أعظم الواجبات، ليس تجاه فلسطين فحسب؛ لكن تجاه أمّة الإسلام بأسرها[٢].

الشيخ الخليلي رجل دائمًا متفائل جدًّا، فلا يتسرّب إليه اليأس أبدًا، واثق بوعد الله تعالىٰ بالنصر، يُحيي قضايا المسلمين من جديد ويبعث فيها روح الأمل، ويرىٰ أنّ الحلول ليست بعيدة المنال؛ بل هي في متناول الجميع، فيقول عن نفسه ــ حامدًا الله تعالىٰ ــ علىٰ ذلك: «أمّا أنا فلا أتشاءم قطّ ــ والحمد الله ــ أنا متفائل، ولا ريب أنّني أرىٰ يقظة المسلمين اليوم هي خيرًا منها بالأمس، مهما كانت الأحوال سابقًا... فهذه الصحوة الإسلاميّة إنّما هي تباشير صبح مقبل بمشيئة الله، وإنا لننتظر وصوله عمّا قريب ـإن شاء الله»[٣].

وفي مناسبة أخرىٰ يتفاءل الشيخ الخليلي، ويعبّر عن ذلك بقوله: «من البشائر التي تلوح من هذه القضيّة أن هناك من يطالب بالحقّ ومن يضحّي لأجل الحقّ، ومن يسعىٰ لنصرة الحقّ، وما دام الحقّ غير مهمل فإنّ البشارة واضحة في هذا، الأمّة بخير عندما

٥rcuD-=https://www.youtube.com/watch?app=desktop&v DgQxmI، ١٣/ ١١/ ٢٠٢٠م.

(١) سماحة الشيخ أحمد الخليلي، كلمة عن القدس، مؤتمر حملة أمناء المنبر، علىٰ الرابط: https:// www.youtube.com/watch?v=tJTNbnjCTvY ، بتاريخ :١٧/ ٥/ ٢٠٢٠م.

(٢) السرجاني، راغب، فلسطين وواجبات الأمة، القاهرة، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣١ه/ ٢٠١٠م، ، ص٩٥.

(٣) الشيخ أحمد الخليلي، الطريق إلىٰ القدس، ج١. علىٰ الرابط: https://www.youtube. com/watch?v=eGiPVGOvLoQ

يكون الحقّ غير مهمل، ولكن كون معظم الأمّة يقولون كما قال بنو إسرائيل لموسىٰ ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ **[المائدة: ٢٤]** هذه هي المصيبة، مفروض عليهم أن يتضامنوا معهم قولًا وفعلًا»[١].

ودائمًا ما يبتهل الشيخ الخليلي إلىٰ الله تعالىٰ بأن ينعم علىٰ الأمّة الإسلاميّة بفرحة تحرير المسجد الأقصىٰ؛ فمن أدعيته: «أسأله سبحانه أن يمن علينا بالفرحة الكبرىٰ، فرحة تحرير المسجد الأقصىٰ المبارك من الاحتلال، وأن يعيده إلىٰ حظيرة الإسلام، ويجعله في أيدي عباده الطهّر الركّع السجود الذين يمتثلون أمره، ويقومون بحدوده، ويطلعون بأحكامه، إنّه تعالىٰ علىٰ كلّ شيء قدير وبالإجابة جدير»[٢].

ويمضي الشيخ في حديثه عن المسجد الأقصىٰ عازيًا عدم تحريره ــ حتّىٰ يوم الناس هذا ــ واستمراره في أيدي المغتصبين إلىٰ شتات الأمّة الإسلاميّة، واختلافها فيما بينها، وعدم وحدتها، وكذلك غُيّبت القضيّة عن المسلمين فاعتبروها قضيّة قوميّة «فأصبحت هذه الأمّة كغيرها من الأمم تنظر إلىٰ الأمور بمقاييس الأرض، وتنبع قيمها من التراب، فقد اعتبرت قضيّة المسجد الأقصىٰ قضيّة قوميّة ترتبط بالجنس وترتبط بالتراب».

المطلب الثاني: موقف الشيخ الخليلي من التطبيع

يشتقّ من مادّة (طبع) في لسان العرب «الطبع» و«الطبيعة» وتعني «الخليقة والسجيّة التي جُبل عليها الإنسان»[٣].

---

(١) سماحة الشيخ أحمد الخليلي، غزة تنتصر، برنامج سؤال أهل الذكر، تلفزيون سلطنة عمان، علىٰ الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=pIgpL٤OKrjQ ، تاريخ النشر ٥/ ٩/ ٢٠٢٠م.

(٢) سماحة الشيخ العلامة أحمد الخليلي، كلمة عن القدس، مؤتمر حملة أمناء المنبر، علىٰ الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=tJTNbnjCTvY ، بتاريخ ١٧/ ٥/ ٢٠٢٠م.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة طبع.

وفي الاصطلاح «يعتبر مصطلح التطبيع من مبتكرات الصراع العربيّ الإسرائيليّ، يُقصد به تحويل آليّات الصراع إلىٰ آليّات للسلام، والمهادنة والتقارب بين الأطراف المتصارعة، وهو يعني: التبادل السلمي النشط في المجالات كافّة»[١]، وفي القضيّة الفلسطينيّة؛ فالتطبيع باختصار شديد يرمي إلىٰ نسيان القضيّة، ومحوها من ذاكرة المسلمين.

والتطبيع من المحن التي تمرّ بها الأمّة الإسلاميّة مع عدوّ الأمّة الكيان الصهيونيّ، واصطفاف بعض علماء السلطان إلىٰ جانب المطبّعين المستبدّين من الأنظمة العربيّة الحاكمة الذين يسومون الأمّة سوء العذاب ظلمًا وقهرًا، وقيّض الله تعالىٰ للأمّة من أهل الرشد من العلماء الوارثين، وقد قيّض الله للأمّة علماء يقومون في وجه المطبّعين والمسوّغين له من المرجفين لبيان الحقّ وكشف زيف بال التطبيع، بما أوتوا من علم وحكمة[٢].

والشيخ الخليلي هو أحد هؤلاء العلماء الذين وقفوا في وجه التطبيع والمطبّعين، فبعد يومين من توقيع اتّفاقيّات تطبيع بين الإمارات والكيان المحتلّ أصدر الخليلي بيانًا عبر موقعه في تويتر عبّر فيه عن موقفه من هذا التطبيع، وهو عدم جواز المساومة علىٰ المسجد الأقصىٰ؛ دون أن يذكر الدولة بعينها قائلًا: «إنّ قضيّة المسجد الأقصىٰ هي قضيّة كلّ عربيّ، ولا تجوز المساومة علىٰ المسجد الأقصىٰ».

بل يذهب الشيخ الخليلي إلىٰ أبعد من ذلك؛ فقد عدّ التطبيع خيانة لله، ولرسوله، ولكتابه وللأمّة جميعًا: «أقول إنّ هذه أمانة يتحمّلها كلّ مسلم؛ لأنّ مدّ اليد إلىٰ هذا العدوّ الغاصب علىٰ أيّ حال من الأحوال هو خيانة لله تعالىٰ ولرسوله ولكتابه ولهذه الأمّة ولهذه المقدّسات، فيجب إذًا أن يتّفق الكلّ علىٰ المحافظة علىٰ هذا المسجد

(١) الجربي، أيوب جمعة أحمد، التطبيع في منظور الفكر الإسلامي، المجلة الليبية للدراسات، دار الزاوية للكتاب، المجلد(٢١)، ٢٠٢١م، ص٤٥٣.

(٢) المساتي، عبد الصمد، وأثنان آخران، نحو تفكيك خطاب علماء التطبيع، المركز العلمي للنظر المقاصدي في القضايا المعاصرة، ط١، ١٤٤١ه/٢٠٢٣م.

الطّاهر وعلىٰ ما حوله من الأرض الطاهرة، وألّا يفرّطوا في ذلك، وأسأل الله للجميع التوفيق والعون والنصر والتأييد ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللهِ يَنصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٤-٥]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١][1].

وفي ذات السياق يحثّ الخليليّ الأمّة علىٰ عدم المساومة في القضيّة الفلسطينيّة؛ فيقول: «إذا لم تسمح الظروف للمسلمين بتحرير الأقصىٰ فليس لهم المساومة عليه بأيّ حال، بل عليهم أن يتركوا الأمر للقدر الإلهيّ، ليأتي الله بمن يشرّفه بالقيام بهذا الواجب كما حدث ذلك في الزمن البعيد».

ويختم الشيخ الخليلي حديثه حاثًّا المسلمين علىٰ الحفاظ علىٰ المسجد الأقصىٰ؛ فيقول: «منذ الإسراء بالنّبيّ الكريم -صلّىٰ الله عليه وسلّم- أصبح المسجد الأقصىٰ وجميع الأرض المقدّسة مَعْلَمًا إسلاميًّا بارزًا يجب علىٰ المسلمين أن يذبّوا عنه، ويحموه، ويصونوه من أيدي العابثين بكلّ ما أوتوا من قوة».

(١) سماحة الشيخ العلامة أحمد الخليلي، كلمة عن القدس، مؤتمر حملة أمناء المنبر في الذكرىٰ (٥١) علىٰ حرق المسجد الأقصىٰ، علىٰ الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=t-JTNbnjCTvY، بتاريخ ١٧/ ٥/ ٢٠٢٠م.

المبحث الثّالث: القضيّة الفلسطينيّة بعد طوفان الأقصىٰ

يعدّ يوم السابع من أكتوبر من عام ٢٠٢٣م أحد الأيّام المجيدة للمقاومة الإسلاميّة وللشعب الفلسطينيّ المناضل في طريق تحقيق النصر، وتحرير المسجد الأقصىٰ الشريف -بإذن الله- من قبضة اليهود الغاصبين، وحقّ له أن يسمّىٰ بطوفان الأقصىٰ، فقد كشف الله به هشاشة هذا الكيان، فما القوّة التي كان يتغنّىٰ بها إلّا هي أوهن من بيت العنكبوت، كما كشف طوفان الأقصىٰ مخطّطات التوسّع الإسرائيليّ، وتهجير أهل غزّة، وكشف عن الوجه السيّئ لبعض الأنظمة السياسيّة العربيّة، وغير العربيّة تجاه القضيّة الفلسطينيّة.

هذا، وقد وقف الشيخ الخليلي بجانب قضيّة المسجد الأقصىٰ، وأهل فلسطين الذين هم أصحاب الأرض، رافعًا من معنويّات المقاومة الإسلاميّة، فسارع سماحته لمباركة الطوفان، وعدّه خطوة لطريق النصر بإذن الله تعالىٰ.

المطلب الأوّل: بيان الشيخ الخليلي حول طوفان الأقصىٰ

لعلّ أوّل بيان لسماحة الشيخ الخليلي كان في نفس يوم طوفان الأقصىٰ عبر حسابه بمنصّة «إكس» قال فيه: «وفّق الله المقاومة الفلسطينيّة الباسلة في دفاعها عن حقوقها المشروعة واستبسالها في مواجهة العدوّ الغاشم المحتلّ»[1] ـــ وعلىٰ حسب علم الباحث ـ يعدّ هذا أوّل تصريح من مسؤول رسميّ بمستوىٰ مفتي عامّ؛ ممّا يدلّ علىٰ حرص الشيخ الخليلي علىٰ القضيّة الفلسطينيّة ومتابعة مجرياتها أوّلًا بأوّل.

ثمّ توالت بعد ذلك بياناته، وخطاباته الموجّهة للمقاومة، والشعب الفلسطينيّ، وللأمّة الإسلاميّة، وذلك عبر موقعه علىٰ منصّة (إكس) أو من خلال خطاباته المتلفزة، وما تزال متوالية مستمرّة إلىٰ يوم النّاس هذا؛ ومن هذه البيانات ـ علىٰ سبيل المثال ـــ

(١) منشور في موقع سماحة الشيخ أحمد الخليلي علىٰ منصة (إكس) بتاريخ: ٢١ ربيع الأول ١٤٤٥هـ الموافق له: ٧ أكتوبر٢٠٢٣م.

بيان حيّا فيه الشعب الفلسطينيّ علىٰ تكاتفه في سبيل تحرير المسجد الأقصىٰ قائلًا: «إنّا لنحيّي من أعماق قلوبنا الشعب الفلسطينيّ المسلم الشقيق علىٰ وحدته، وتلاحمه، ومسارعته إلىٰ تحرير ترابه المقدّس، ونواسيهم في شهدائهم الأبرار»[1].

ثمّ بعد أقلّ من أسبوع من طوفان الأقصىٰ ألقىٰ الشيخ الخليلي بيانًا تضمّن جملة من الأمور حول طوفان الأقصىٰ، مفتتحًا البيان بالآية الكريم: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]. والآية الكريمة تتضمّن وعدًا بنصر الله، ولعلّ سماحة الشيخ أراد من إيراد هذه الآية؛ التذكيرَ بنصر الله، الذي يؤمن به الشيخ دائمًا، ويراه قريبًا بإذن الله.

ثمّ وجه سماحته تحيّة للمقاومة ومن وقف بجانبهم، فقال: «هذه التحيّة إلىٰ أبطال المقاومة في غزّة وفي أرض فلسطين المحتلّة وفي كلّ البقاع، وكلّ من وقف معهم وساندهم وأيّدهم بالحال أو بالمال أو بالدعاء والتضرعّ إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ».

وسماحة الشيخ-كما هو معهود عنه- من أشدّ المساندين، والمؤيّدين للمقاومة، ويرىٰ أنّ المقاومة هي طريق النصر الوحيد: «نؤيّد هذه الوقفة المباركة ونشدّ أزرها، وندعو الله سبحانه وتعالىٰ أن يبارك فيها، ونسأل الله أن يثبّت أقدامهم، وأن يزلزل أقدام أعدائهم، ونسأله سبحانه وتعالىٰ أن يكتب لهم الفتح المبين والنصر العزيز، إنّه تعالىٰ علىٰ كلّ شيء قدير».

وكم كان الشيخ ينادي بضرورة دحر الكيان المغتصب، وتخليص المسجد الأقصىٰ من دنس اليهود الغاصبين، وقد رأىٰ في طوفان الأقصىٰ بشرىٰ لبداية الطريق

(١) منشور موقع سماحة الشيخ أحمد الخليلي علىٰ منصة (إكس) بتاريخ:٢٣ربيع الأول١٤٤٥هـ/ الموافق له: ٨ أكتوبر ٢٠٢٣م.

نحو النصر؛ فيقول موجّهًا كلامه للمقاومة: «ونقول لهم بأنّكم قد بعثتم فينا الأمل، وأحييتم فينا الرجاء، ورفعتم منّا الرؤوس وكشفتم عنا الغمّة، فشكر الله سعيكم، ونصركم نصرًا عزيزًا، وثبّت أقدامكم وقوّاكم علىٰ عدوّكم ودحر عدوّكم».

ويمضي الشيخ الخليلي في بيانه مذكّرًا الأمّة ومهوّنًا من قوّة العدوّ الغاصب؛ فهما كان له من صولة وجولة فإنّه لا يغلب الله تعالىٰ، فما حاله إلّا كما حال كلّ حزب ظالم نهايته الحتميّة الخسارة، مستشهدًا بما وقع في عهد رسول الله -صلّىٰ الله عليه وسلّم- من تآمر الأحزاب لكنّ الله ردّ كيدهم؛ فنجده يقول: «ومهما يكن تكالب الأحزاب الذين تكالبوا وراء العدوّ الشرس؛ فإنّ أولئك لن يغلبوا الله تعالىٰ كما كان ذلك في عهد رسول الله -صلّىٰ الله عليه وسلّم- عندما تآمر الأحزاب فردّهم الله علىٰ أعقابهم خاسئين: ﴿**وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَىٰ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا * وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا**﴾ [**الأحزاب: ٢٥-٢٧**].

واستمرارًا لدعوات الشيخ المستمرّة حول وجوب وقوف الأمّة الإسلاميّة حكّامًا ومحكومين مع القضيّة الفلسطينيّة؛ فقد وجّه الشيخ مجدّدًا الدعوة إلىٰ ذلك؛ لافتًا النّظر إلىٰ أنّ الظلم لا يرضاه العقلاء من النّاس من أيّ دين كان: «فإنّنا ندعو المسلمين حكّامًا ومحكومين في كلّ بقاع الأرض أن يقفوا معهم، كما ندعو الأمم ذات الضمائر الحيّة أن يقفوا أيضًا مع هذه الفئة المظلومة، وأن يؤيّدوا الحقّ المظلوم، وأن لا يبخسوا الحقّ، كما ندعو الذين هم في نفوسهم مرض أن يراجعوا أنفسهم».

وفي خضمّ هذا البيان يلفت سماحته النظر إلىٰ مسألة تخصّ المسلمين في عقيدتهم جميعًا، وهي في غايّة الأهمّيّة، وهو سماح بعض الأنظمة العربيّة لهؤلاء اليهود بدخول الجزيرة العربيّة ـ دون أن يذكر دولة بعينها ـ متأسّفًا علىٰ الوضع الذي آلت إليه من

موالاة اليهود؛ فنجده يقول: «ونأسف كثيرًا علىٰ الذين يفتحون لأولئك باب الهجرة إليهم في الجزيرة العربيّة ولو في أطرافها، مع أنّ الجزيرة العربية هي حمًىٰ للإسلام وحرم له، فالنبيّ -صلّىٰ الله عليه وسلّم- أمر أن لا يجتمع بجزيرة العرب دينان، حيث قال: «إن بقيت لأخرجنّ اليهود والنصارىٰ من جزيرة العرب حتّىٰ لا أدع فيها إلّا مسلمًا»، وذلك لأنّ جزيرة العرب إنّما هي حرم للإسلام، كما أنّ مكّة المكرّمة هي حرم للبيت الحرام، فكيف بهؤلاء وهم لم يكونوا قطّ مسالمين جاءوا محاربين سفّاكين للدّماء، نهّابين للأموال، منتهكين للحرمات، لا يرعون لأيّ مؤمن إلًا ولا ذمّة، وإنّما يحرصون علىٰ أن يبيدوا المؤمنين في أيّ مكان؟ كيف بهؤلاء؟ كيف يُسمح لهم بالإيواء إلىٰ جزيرة العرب؟ وهل تؤمن مكائدهم علىٰ الحرمين الشريفين؟ فإنّا لله وإنّا إليه راجعون» .

وفي هذا الخطاب دعا الشيخ الخليلي إلىٰ إنفاق المال ـ في كلّ محفل ومنبر ـ علىٰ المجاهدين والفقراء من أهل فلسطين: «ندعو جميع المسلمين إلىٰ السخاء بالمال وبذل المال لأجل الجهاد، لأجل تعزيز الحقّ، لأجل نصرة الحقّ، مستشهدًا بحديث النبيّ -صلّىٰ الله عليه وسلّم: « من جهّز غازيًا، فقد غزا»[1].

وفي كلمة الشيخ الخليلي التي ألقاها نيابة عنه ابنه الشيخ أفلح في مؤتمر القمّة الإسلاميّة الأخير؛ فقد عدّ سماحته طوفان الأقصىٰ من بشائر النصر، والمكاسب العظيمة؛ فممّا قاله: «وقد وضحت بحمد الله لكلّ ذي عينين بشائر هذه العاقبة الطيّبة وطلائع هذا النصر المبين، فكم كسبنا من مكاسب عظيمة، حسبكم أنّ العالم بأسره ـــما عدا نظمه الجائرة ـ غيّر موقفه من هذه القضيّة، وأدرك ما للمجاهدين من ميزة خاصّة تصلهم بالله تعالىٰ، وبحث عن سرّ ذلك فوجده في القرآن، ورغم القوانين الجائرة التي تتوعّد كلّ من يجاهر بعداوة الصهيونيّة؛ فإنّ أكثر الناس جاهروا بها

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب: فضل إعانة الغازي في سبيل الله، رقم الحديث:١٨٩٥، ج٣، ص١٥٠٧.

وشدّوا علىٰ يد المقاومة، وكثير منهم أخذوا يدخلون في دين الله أفواجًا، وهذا ما يبشّر بمستقبل باهر يعزّ الله فيه أولياءه ويذلّ أعداءه، ويظهر دينه علىٰ الدين كلّه، كما وعدنا الله في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

ثمّ يواصل الشيخ الخليلي سرد مكاسب الطوفان قائلًا: «فكم من أمم كانت جاهلة بالإسلام عرفته من خلال أخلاق المقاومة، ومعاملتهم للأطفال والنساء، ورفقهم بالأسرىٰ عملًا بكتاب الله وبهدي رسوله -عليه أفضل الصلاة والسلام».

ومن خلال الكلمة التي ألقاها حثّ سماحته المجتمع الإسلاميّ بـ «ألّا يألُ جهدًا في تعزيز المقاومة والترحيب بكلّ من يناصرها» موضحًا أنّه مهما افترقت وجهات النظر في بعض القضايا الجزئيّة فإنّ الكلّيّات التي نلتقي عليها جميعًا كفيلة بلمّ الشمل وجمع الكلمة، واستلال ما في النفوس من عداوات، فحسبنا أن نعمل بوصايا الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣].

وفي ذات السياق يشير سماحته إلىٰ أنّ الموالاة بين المسلمين هي أجدر بأن تُقوّىٰ لما يجمع بينهم من أواصر الدين الحنيف معبّرًا عن ذلك بقوله: «وإذا كانت الأمّة مدّت أيديها عندما اضطرت إلىٰ دول الكفر لتساندها في أزمتها فكيف بمن تجمعنا بهم شهادة أنّ لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله؟ فإنّه أولىٰ أن نتعاقد معه بالخناصر علىٰ مواجهة العدوّ المشترك، ودفع الخصم اللدود، وخير ضمان لهذه الوحدة هو ما دعانا الله تعالىٰ في هذا السياق في قوله تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وأن نتّقي ما حذّرنا الله منه سبحانه في قوله: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، فشدّوا بارك الله فيكم عزائم الإيمان لمواجهة كلّ عدوان من الذين كفروا، وبألفتكم وتوادّكم وتراحمكم تظهرون للعالم مزايا الإسلام التي يفتقدها، وتفتحون أعينه علىٰ محاسنه التي يجهلها، فلتكن هذه وجهتكم، وبهذا يقظتكم»[(١)].

المطلب الثاني: نصيحته للأمّة وعلمائها تجاه المسجد الأقصىٰ

قد رفع الله تعالىٰ قدر العلماء في كتابه العزيز وسنّة نبيّه المختار -صلّىٰ الله عليه وسلّم- فقد مدحهم الله تعالىٰ بأنّهم قائمون بالعدل؛ حيث ثلّث الله ذكرهم في قوله تعالىٰ: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] وفي الحديث: «وإنّ العلماء ورثة الأنبياء»[(٢)]، وغيرها من الآيات الكريمات والأحاديث النبويّة، وأهل الذكر هم العلماء، عليهم مسؤوليّة كبيرة في تبصير الناس دينهم بكلّ إخلاص وتفانٍ، وهم قدوة للنّاس؛ لأنّهم وضعوا ثقتهم بهم، فأيّ قول أو فعل يصدر منهم ـ بغضّ النظر فيه صلاح أو فساد ـ يتبعه عامّة الناس.

وفي قضيّة فلسطين فقد تخاذل بعض العلماء المحسوبين علىٰ الإسلام؛ مع أنّ الحقّ واضح في هذه القضيّة؛ ممّا حدا بالشيخ الخليلي أن يوجّه رسالة إلىٰ العلماء عبر منبر اتّحاد علماء المسلمين، جاء فيها:

---

(١) كلمة سماحة الشيخ أحمد الخليلي يُلقيها ابنه: د.أفلح الخليلي، مؤتمر القمّة الإسلاميّ، علىٰ الرابط: https://youtu.be/uxQMHZHku٨w?si=Bl١JD_vHSrR٠S٢X٨، بتاريخ ١٠/ ١/ ٢٠٢٤م.

(٢) أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، كتاب العلم، باب الحث علىٰ طلب العلم، رقم الحديث:٣٦٤١، ج٣، ص٣١٣.

« بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيّدنا ونبيّنا محمّد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أصحاب السماحة والفضيلة رئيس ونوّاب وأعضاء اتّحاد علماء المسلمين، يا علماء الأمة السلام عليكم جميعًا ورحمة الله وبركاته، أحييكم بهذه التحية المباركة الطيبة وأشكركم علىٰ عنايتكم بالاجتماع في هذا الظرف الحرج الذي تمر به هذه الأمة بين تخاذل أبنائها وتكالب أعدائها ولله الأمر، وإنّي أناشدكم بأن تؤدوا رسالتكم بكل صدق وبكل صراحة وبكل أمانة إلىٰ هذه الأمة جميعًا حكامًا ومحكمين ليعرفوا ما هو الواجب عليهم في هذه القضية، وأنّ هذا التخاذل لا يسعه أحد منهم، فلله الأمر من قبل ومن بعد»

مشيرًا سماحته إلىٰ أنّ الأمة الإسلامية أُصيبت في أعز ما تملك بسبب تخاذلها، وابتعادها عمّا يدعوها إليه الإسلام من الاتّحاد، وكونها متآخية فيما بينها، قويّة علىٰ عدوّها مستشهدًا بقوله تعالىٰ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَىٰ الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُم﴾ [الفتح: ٢٩]، مستدركًا سماحته علىٰ ما ينبغي أن يكون من أمر هذه الأمّة أن تكون علىٰ رحمة فيما بينها، وأن تكون شديدة علىٰ عدوّها الذي لا يريد بها إلّا الهوّان والذلّ، ولكن مع الأسف الشديد أخذت تسارع في عدوّها بسبب ما أصابها من المرض كما قال الله تعالىٰ: ﴿فَتَرَىٰ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِم يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢]»[(١)].

المطلب الثالث: دعوة الخليلي إلىٰ مقاطعة المنتجات الصهيونيّة

لا شكّ أنّ «من أعظم فوائد المقاطعة أنّها تحافظ علىٰ حالة يقظة شعوريّة عالية عند المسلم، فيتذكّر دومًا عدُوّه ولا ينسىٰ أبدًا القضيّة التي يقاطع من أجلها، خاصّة

(١) سماحة الشيخ الخليلي، كلمة موجّهة لعلماء المسلمين، علىٰ الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=r_HuEpctRf٨، بتاريخ ٢٢/ ١٠/ ٢٠٢٣م.

إذا كانت المقاطعة تخصُّ شيئًا نتعامل معه كلّ يوم؛ فالاحتكاك به كبير، ومن هنا فإنّ دوام المقاطعة يحافظ علىٰ دوام الاستنفار للأمّة... كما أنّ المقاطعة تشعر العدوّ بقوّة المسلمين واتّحادهم، وتُظِهر مدىٰ تمسُّكهم بحقّهم، وهذا يفتُّ في عضده، ويُضعِف من همّته»[١].

والشيخ الخليلي من العلماء الذين يرون وجوب مقاطعة منتجات الكيان المحتلّ والداعمين له وبضائعهم قبل طوفان الأقصىٰ، وهو اليوم بعد الطوفان أكثر تمسّكًا برأيه؛ بل يرىٰ المقاطعة واجبًا علىٰ جميع المسلمين معتبرًا أنّ المقاطعة من أنفع الوسائل في إضعاف العدوّ؛ حيث يقول: «سلاح المقاطعة من أمضىٰ الأسلحة وأنجحها في إخضاع العدوّ، لذلك أراه واجبًا علىٰ الأمّة، وأدعو إليه كلّ من يريد الخير لأمّته ووطنه».

ثم يلفت الخليلي النظر إلىٰ علماء السلطان الذين يرون عدم جواز المقاطعة إلّا بأمر من الحاكم أو السلطان فيقول: «ولا عبرة بما ينادي به المتخاذلون من كون المقاطعة تحتاج إلىٰ إذن من القائم بالأمر»، ثمّ يواصل الشيخ حديثه مفنّدًا دعواهم معتبرًا ذلك تأليهًا وتقديسًا للبشر»، ولو صحّ ذلك لما كان لأحد أن يدفع شراء عن نفسه أو دينه أو حتّىٰ أن يعبد ربّه إلّا بإذن خاصّ، وما ذلك إلّا من تأليه الأشخاص وتقديس البشر، وهو من أعظم البدع في الإسلام»[٢].

ولقد لاقىٰ بيان سماحته حول المقاطعة صدىٰ كبيرًا بين أوساط المجتمع العماني والإسلامي عمومًا؛ ذلك أنّ بيان سماحته تداولته وسائل إعلام عربيّة وعالميّة.

وبعد عام من دعوة سماحته إلىٰ المقاطعة أصدر سماحته بيانًا آخر أعرب فيه عن سروره بما وصلت إليه المقاطعة من نتائج تبشّر بالخير، حيث أتت المقاطعة ثمارها؛

---

(١) السرجاني، راغب، فلسطين واجبات الأمة، القاهرة، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣١ه/ ٢٠١٠م، ص٨١.

(٢) منشور علىٰ موقع (إكس) الخاص بسماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، بتاريخ ٣ جمادىٰ الأولىٰ ١٤٤٥هـ الموافق ١٦/ ١١/ ٢٠٢٣م.

نتيجة استجابة المخلصين من هذه الأمّة لهذه المقاطعة، وأعلنت الكثير من الشركات المُقاطعة خسائرها التي تقدّر بالملايين.

وقد جاء في المنشور: «سررنا أيّما سرور بما أدّت إليه المقاطعة الصامدة التي اشترك فيها المخلصون من العرب والمسلمين، وجميع الأحرار الأمناء في العالم لجميع الشركات التي تدعم الكيان الصهيونيّ في عدوانه علىٰ الشعب الفلسطينيّ المظلوم، وغيره من الشعوب المجاورة له، ولا ريب أنّ لهذه المقاطعة دورًا فعّالًا في نصرة الحقّ، وتحدّي الظلم، ومواجهة غطرسة المتكبّرين، وستكون نتيجة ذلك -إن شاء الله- نصرًا عزيزًا وفتحًا مبينًا يجني ثمراته المعتدىٰ عليهم، وتعود به عليهم حقوقهم الكاملة موفورة غير منقوصة، ويتحرّر به كلّ شبر من أسر الاحتلال، ويتحقّق بذلك وعد الله تعالىٰ الصادق بالنصر والتمكين لمن صدق في نصرته لله تعالىٰ، وهو سبحانه حسبنا ونعم الوكيل»[(١)].

هذه هي نماذج من موقف الشيخ الخليلي من المقاطعة، وقد أتت ثمارها بفضل الله تعالىٰ.

ولا يفوت سماحة الشيخ الخليلي؛ الدعوة إلىٰ إنفاق المال علىٰ المرابطين بأرض فلسطين وأسرهم والفقراء والمساكين، وتوجيه الزكاة إليهم، لأجل الظرف الصعب الذي يمرّون به؛ فهم أحوج الناس إليها، يقول سماحته في أحد منشوراته علىٰ منصّة (إكس): «ومع هذا، فإنّنا ندعو جميع المسلمين -ولا سيّما في هذه الأيّام المباركات- للإنفاق من حُرِّ أموالهم علىٰ الشعب الفلسطينيّ المنكوب، خصوصًا أهل غزّة، لإمدادهم بالقوت والسلاح وسائر تكاليف الحياة، فإنّ النفقة في هذا أصبحت متعيّنة علىٰ كلّ مسلم»[(٢)].

(١) منشور لسماحة الشيخ الخليلي علىٰ موقعه بمنصة (إكس،) ٣ جمادىٰ الأولىٰ ١٤٤٦ه الموافق له: ٥ نوفمبر٢٠٢٤م.

(٢) منشور لسماحة الشيخ الخليلي علىٰ موقع (إكس) بتاريخ:٣ ذي الحجة ١٤٤٥هـ الموافق له: ٩يونيو ٢٠٢٥٤م

الخاتمة: النتائج والتوصيات

توصّل الباحث إلىٰ بعض النتائج والتوصيات، وهي كالتالي:

أوّلًا: النتائج؛ فمن أهمّها:

١- وقف الشيخ أحمد الخليلي مع جميع قضايا الأمّة الإسلاميّة؛ فكان وما يزال ينافح عنها، ويدعو إلىٰ حلّ مشكلاتها، ورفع الظلم عن المظلومين، ودعا إلىٰ وحدة الأمّة الإسلاميّة وإلىٰ لمّ شملها، وتجاوز جميع أسباب الخلافات التي تؤدّي إلىٰ الفرقة بين المسلمين، معتبرًا أنّ الاختلافات بين المذاهب الإسلاميّة هي اختلافات رحمة وتكامل، كما أنّها ليست شرعًا منزّلًا، وإنّما عبارة عن اجتهادات علماء في فروع الشريعة الإسلاميّة، ويجب أن يُنظر إلىٰ المشتركات فإنّهم متّفقون علىٰ أصول الدين.

٢- وقف الشيخ الخليلي مع قضيّة المسجد الأقصىٰ؛ فكانت القضيّة الأولىٰ لديه، وما تزال تشغل باله، وتؤرّق مضجعه، لذلك ينادي في كلّ المحافل المحلّيّة والدوليّة، بمساندة فلسطين، والمجاهدين المدافعين عن المسجد الأقصىٰ؛ لأنّها قضيّة عقيدة تخصّ المسلمين في كلّ مكان، ويرىٰ سماحته أنّ المقاومة هي السبيل الوحيد لتحرير أرض بيت المقدس والأراضي الفلسطينيّة، لذلك فدعمها ومساندتها من واجبات هذه الأمّة.

٣- ساند الشيخ الخليلي طوفان الأقصىٰ، مشيدًا بما قام به المقاومون في حماس وعدّها خطوة مباركة لتحرير المسجد الأقصىٰ من أيدي اليهود المغتصبين، وتظهر مساندته لطوفان الأقصىٰ من خلال الآتي:

أ ـ البيانات التي يصدرها الشيخ عبر موقعه علىٰ منصّة (إكس) التي تحثّ المقاومة علىٰ المضيّ قدمًا في تحرير الأقصىٰ، والصبر علىٰ ذلك، ممّا كان لهذه البيانات أهمّيّة خاصّة عند المقاومة والفلسطينيّين بشكل عامّ؛ فقد رفعت من معنويّاتهم في ظلّ تخاذل عربيّ وإسلاميّ ودوليّ.

ب ـ المقاطعة: حثّ الشيخ الخليلي علىٰ مقاطعة المنتجات الصهيونيّة، وبضائع الدّول الداعمة للكيان المحتلّ، ويرىٰ أنّ المقاطعة تضعف من اقتصاد العدوّ وينجبر علىٰ الخضوع للمطالب المشروعة للشعب الفلسطينيّ.

ج ـ الدعم الماليّ: يدعو الشيخ الخليلي إلىٰ دعم المقاومة وأهل غزّة المستضعفين بالمال، وتوجيه أموال الزكاة إلىٰ المرابطين بأرض فلسطين.

التوصيات:

١ - أوصي بجمع بيانات الشيخ الخليلي ومنشوراته حول قضية المسجد الأقصىٰ وفلسطين وتفريغها؛ حيث ما يزال الكثير من المادة العلميّة علىٰ شكل لقاءات متلفزة أو خطابات عبر اليوتيوب، أو علىٰ موقعه في منصة (إكس) وإصدار كتاب بذلك.

٢ - عمل ندوة عالميّة حول فكر الشيخ أحمد الخليلي بشكل عامّ وقضيّة المسجد الأقصىٰ علىٰ وجه الخصوص.

المراجع والمصادر:

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ،

أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، كتاب العلم، باب الحث علىٰ طلب العلم، رقم الحديث: ٣٦٤١.

الجربي، أيوب جمعة أحمد، التطبيع في منظور الفكر الإسلامي، المجلة الليبية للدراسات، دار الزاوية للكتاب، المجلد (٢١)، ٢٠٢١م.

الجهضمي، زايد بن سليمان، من معالم الفكر التربوي عند الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، سلطنة عمان، (د ن)، ط٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

الخليلي، أحمد بن حمد، أمة الإسلام إلىٰ أين مسيرا ومصيرا، مسقط، سلطنة عمان، دار الكلمة الطيبة، ط١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م،

الزيني، محمد عبد الرحيم، الوحدة الإسلامية في فكر الشيخ الخليلي، سلطنة عمان، دار الكلمة الطيبة، ١٤٤٢هـ.٢٠٢١م.

السرجاني، راغب، فلسطين وواجبات الأمة، القاهرة، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، ط١،١٤٣١ه/ ٢٠١٠م.

السعدي، فهد بن علي بن هاشل، لقاءات في الفكر والدعوة مع سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، سلطنة عمان، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، (د ط) (د ت).

المساتي، عبد الصمد، وآخرون، نحو تفكيك خطاب علماء التطبيع، المركز العلمي للنظر المقاصدي في القضايا المعاصرة، ط١، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٣م.

المغيري، سعيد بن علي، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم، وتعاضدهم، رقم الحديث: ٢٥٨٦.

المواقع الإلكترونية:

الشيخ العلامة أحمد الخليلي، كلمة عن القدس، مؤتمر حملة أمناء المنبر، علىٰ الرابط: https: //www. youtube. com /watch?v=tJTNbnjCTvY، بتايخ: ١٧/ ٥/ ٢٠٢٠م.

الشيخ الخليلي، القدس والأقصىٰ، علىٰ الموقع الإلكتروني: https: // www. youtube. com /watch?v=n٦OSEgALnUoK، تاريخ النشر ١٤/ ١٠/ ٢٠٢٠

الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، تحرير القدس الشريف، علىٰ الرابط: https: //www. youtube. com /watch?app=desktop&v=YX-uKuLzDgkQ، تاريخ٢٢/ ٧/ ٢٠١٧.

الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، دور المسلمين في نصرة القدس، برنامج سؤال أهل الذكر، تلفزيون سلطنة عمان، علىٰ الرابط: https: //www. youtube. com /watch?v=eWUf٢fd٠qmk، بتاريخ ١٣/ ٥/ ٢٠٢١م.

الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، أرض فلسطين علىٰ الرابط: https: //www. youtube. com /shorts /BihZKkrjO٦I

الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، قضية فلسطين، علىٰ الرابط: https: //www. youtube. com /shorts /nIlzmkHKiDkhga

الشيخ أحمد الخليلي، محاضرة بجامع الريان بمسقط، بعنوان: يا قدس سلاما، علىٰ الرابط: https: //www. youtube. com /watch?app=desk-top&v=٥rcuDDgQxmI، ١٣/ ١١/ ٢٠٢٠م.

سماحة الشيخ أحمد الخليلي، كلمة عن القدس، مؤتمر حملة أمناء المنبر، على الرابط: https: //www. youtube. com /watch?v=tJTNbnjCTvY، بتاريخ: ١٧/ ٥/ ٢٠٢٠م.

الشيخ أحمد الخليلي، الطريق إلى القدس، ج١. على الرابط: https: //www. youtube.com /watch?v=eGiPVGOvLoQ

الشيخ أحمد الخليلي، غزة تنتصر، برنامج سؤال أهل الذكر، تلفزيون سلطنة عمان، على الرابط: https: //www. youtube. com /watch?v=pIg-pL٤OKrjQ، تاريخ النشر٥/ ٩/ ٢٠٢٠م.

الشيخ العلامة أحمد الخليلي، كلمة عن القدس، مؤتمر حملة أمناء المنبر، على الرابط: https: //www. youtube. com /watch?v=tJTNbnjCTvY، بتايخ ١٧/ ٥/ ٢٠٢٠م.

الشيخ العلامة أحمد الخليلي، كلمة عن القدس، مؤتمر حملة أمناء المنبر في الذكرى(٥١) على حرق المسجد الأقصى، على الرابط: https: //www. you-tube. com /watch?v=tJTNbnjCTvY، بتاريخ ١٧/ ٥/ ٢٠٢٠م.

الشيخ أحمد الخليلي يُلقيها ابنه: د. أفلح الخليلي، مؤتمر القمة الإسلامي، على الرابط: https: //youtu. be /uxQMHZHku٨w?si=Bl١JD_vHS-rR٠S٢X٨، بتاريخ ١٠/ ١/ ٢٠٢٤م.

الشيخ الخليلي، كلمة موجهة لعلماء المسلمين، على الرابط: https: //www. youtube.com /watch?v=r_HuEpctRf٨،بتاريخ٢٢/ ١٠/ ٢٠٢٣م

موقع سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي على منصة (إكس) تويتر سابقًا